

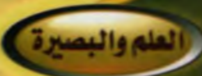


لأصحاب الفضيلة

عبد العزيز بن باز — محمد بن صالح العثيمين

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ













دار ابن الجوزي

القاهرة

الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة/ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز

الدعوة إلى الله وأسلوبها المشروع/ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز

الدعوة إلى الله وأثرها في انتشار الإسلام/ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز

الدعوة إلى الله وأثرها في المجتمع/ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز

الدعوة بين الغلو والتفريط/ الشيخ محمد بن صالح العثيمين

الحكمة في الدعوة/ الشيخ محمد بن صالح العثيمين

الابتلاء سنة الدعوة/ الشيخ محمد بن صالح العثيمين

الحكمة وسيلة من وسائل الدعوة/ الشيخ محمد بن صالح العثيمين

كُنْ دَاعِيًا/ الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

تفاني السلف في الدعوة إلى الله/ الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

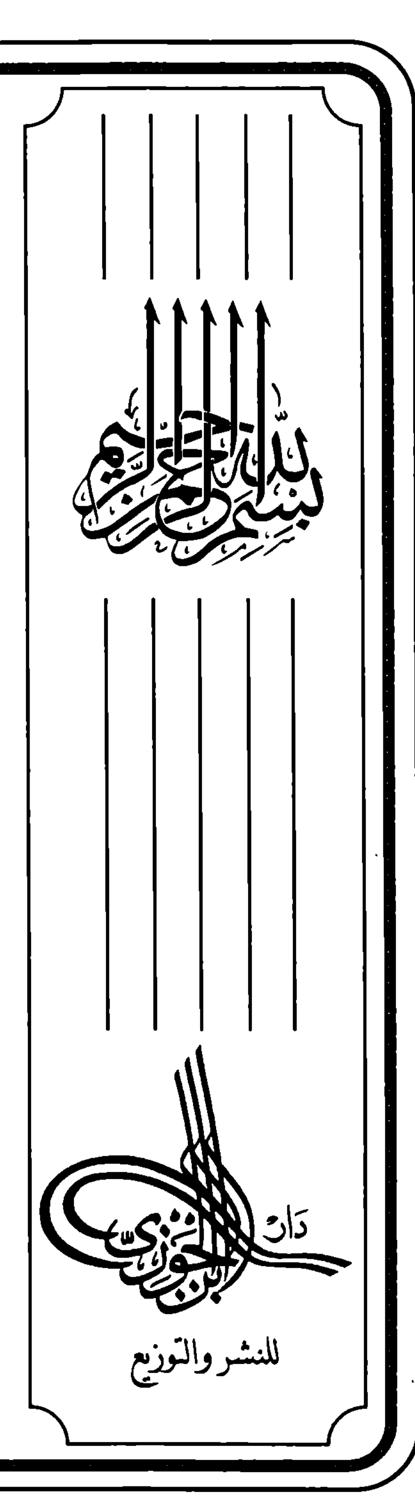
كيف تدعو إلى الله؟/ الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

أخلاق الداعي إلى الله/ الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

الضوابط الشرعية للدعوة إلى الله/ الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

ملحق الفتاوى/ فتاوى اللجنة - فتاوى الشيخ ابن باز - فتوى للشيخ ابن عثيمين





الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م
رقم الإيداع: ١٠٤٨١ / ٢٠٠٦

دار ابن الجوزي

جمهورية مصر العربية - القاهرة
١٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة

سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبدالله بن باز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخليله وأمينه على وحيه، أرسله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على طريقته في الدعوة إلى سبيله، وصبروا على ذلك، وجاهدوا فيه حتى أظهر الله بهم دينه، وأعلى كلمته ولو كره المشركون، وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

فإن الله ﷻ إنما خلق الجن والإنس ليعبد وحده لا شريك له، وليعظم أمره ونهيه، وليعرف بأسمائه وصفاته، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾، وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾.

فبين سبحانه أنه خلق الخلق ليعبد، ويعظم، ويطاع أمره ونهيه؛ لأن العبادة: هي توحيده وطاعته مع تعظيم أوامره ونواهيه، وبين ﷻ أيضا أنه

خلق السماوات والأرض وما بينهما ليعلم أنه على كل شيء قدير، وأنه قد أحاط بكل شيء علما.

فعلم بذلك أن من الحكمة في إيجاد الخليقة: أن يعرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته، وأنه على كل شيء قدير، وأنه العالم بكل شيء جل وعلا، كما أن من الحكمة في خلقهم وإيجادهم أن يعبدوه ويعظموه ويقدسوه ويخضعوا لعظمته.

إن العبادة: هي الخضوع لله جل وعلا والتذلل له، وسميت الوظائف التي أمر الله بها المكلفين - من أوامر وترك نواه - عبادة؛ لأنها تؤدي بالخضوع والتذلل لله ﷻ.

ثم لما كانت العبادة لا يمكن أن تستقل بتفاصيلها العقول، كما أنه لا يمكن أن تعرف بها الأحكام من الأوامر والنواهي على التفصيل، أرسل الله ﷺ الرسل، وأنزل الكتب لبيان الأمر الذي خلق الله من أجله الخلق، ولإيضاحه وتفصيله للناس، حتى يعبدوا الله على بصيرة، وحتى ينتهوا عما نهاهم عنه على بصيرة، فالرسل عليهم الصلاة والسلام هم هداة الخلق، وهم أئمة الهدى، ودعاة الثقلين جميعا إلى طاعة الله وعبادته، فالله سبحانه أكرم العباد بهم، ورحمهم بإرسالهم إليهم، وأوضح على أيديهم الطريق السوي، والصراط المستقيم، حتى يكون الناس على بينة من أمرهم، وحتى لا يقولوا: ما ندري ما أراده الله منا، ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقطع الله المعذرة، وأقام الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾، وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ ، وقال سبحانه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾

فبين سبحانه أنه أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ ليحكم بين الناس بالحق والقسط، وليوضح للناس ما اختلفوا فيه من الشرائع والعقائد، من توحيد الله وشريعته ﷻ، فإن قوله ﷻ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يعني: على الحق، لم يختلفوا من عهد آدم عليه الصلاة والسلام إلى نوح.. كان الناس على الهدى، كما قال ابن عباس ﷺ، وجماعة من السلف والخلف، ثم وقع الشرك في قوم نوح، فاختلفوا فيما بينهم، واختلفوا فيما يجب عليهم من حق الله، فلما وقع الشرك والاختلاف أرسل الله نوحا عليه الصلاة والسلام، وبعده الرسل، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ .

فالله أنزل الكتاب ليبين حكم الله فيما اختلف فيه الناس، وليبين شرعه فيما جهله الناس، وليأمر الناس بالتزام شرع الله والوقوف عند حدوده، وينهي الناس عما يضرهم في العاجل والآجل، وقد ختم الرسل جل وعلا بأفضلهم وإمامهم، وبسيدهم نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله عليه وعليهم من ربهم أفضل الصلاة والتسليم، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، ودعا إلى الله سرا وجهرا، وأوذي في الله أشد الأذى، ولكنه صبر على ذلك كما صبر من قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام، صبر كما صبروا، وبلغ كما بلغوا، ولكنه أوذي أكثر، وصبر أكثر، وقام بأعباء الرسالة أكمل قيام، عليه وعليهم الصلاة والسلام،

مكث ثلاثا وعشرين سنة يبلغ رسالات الله ويدعو إليه، وينشر أحكامه، منها ثلاث عشرة سنة في أم القرى - مكة المكرمة - أولا بالسر، ثم بالجهر، صدع بالحق، وأوذي، وصبر على الدعوة وعلى أذى الناس، مع أنهم يعرفون صدقه وأمانته، ويعرفون فضله ونسبه ومكانته، ولكنه الهوى والحسد والعناد من الأكابر، والجهل والتقليد من العامة، فالأكابر جحدوا واستكبروا وحسدوا، والعامة قلدوا واتبعوا وأساءوا، فأوذي بسبب ذلك أشد الأذى عليه الصلاة والسلام. ويدلنا على أن الأكابر قد عرفوا الحق وعاندوا قوله سبحانه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

فبين سبحانه أنهم لا يكذبون رسول الله ﷺ، بل يعلمون صدقه وأمانته في الباطن، وكانوا يسمونه: الأمين قبل أن يوحى إليه - عليه الصلاة والسلام - ولكنهم جحدوا الحق حسدا وبغيا عليه - عليه الصلاة والسلام - لكنه عليه الصلاة والسلام لم يبال بذلك ولم يكترث به، بل صبر واحتسب وسار في الطريق، ولم يزل داعيا إلى الله جل وعلا، وصابرا على الأذى، مجاهدا بالدعوة، كافا عن الأذى، متحملا له ، صافحا عما يصدر منهم حسب الإمكان، حتى اشتد الأمر، وعزموا على قتله عليه الصلاة والسلام، فعند ذلك أذن الله له بالخروج إلى المدينة، فهاجر إليها عليه الصلاة والسلام، وصارت عاصمة الإسلام الأولى، وظهر فيها دين الله، وصار للمسلمين بها دولة وقوة، واستمر عليه الصلاة والسلام في الدعوة وإيضاح الحق، وشرع في الجهاد بالسيف، وأرسل الرسل يدعون الناس إلى الخير والهدى، ويشرحون لهم دعوة نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام، وبعث السرايا، وغزا الغزوات المعروفة؛ حتى أظهر الله دينه على يديه، وحتى أكمل الله به

الدين، وأتم عليه وعلى أمته النعمة، ثم توفي عليه الصلاة والسلام بعدما أكمل الله به الدين، وبلغ البلاغ المبين عليه الصلاة والسلام، فتحمل أصحابه من بعده الأمانة، وساروا على الطريق، فدعوا إلى الله ﷻ، وانتشروا في أرجاء المعمورة دعاة للحق ، ومجاهدين في سبيل الله ﷻ، لا يخشون في الله لومة لائم ، يبلغون رسالات الله، ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله جل وعلا، فانتشروا في الأرض غزاة مجاهدين، ودعاة مهتدين، وصالحين مصلحين، ينشرون دين الله، ويعلمون الناس شريعته، ويوضحون لهم العقيدة التي بعث الله بها الرسل، وهي إخلاص العبادة لله وحده، وترك عبادة ما سواه من الأشجار، والأحجار، والأصنام، وغير ذلك، فلا يدعى إلا الله وحده، ولا يستغاث إلا به، ولا يحكم إلا شرعه، ولا يصلى إلا له، ولا ينذر إلا له. . . إلى غير ذلك من العبادات.

وأوضحوا للناس: أن العبادة حق لله، وتلوا عليهم ما ورد في ذلك من الآيات، مثل قوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ ، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ ، ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ ، ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣﴾ .

وصبروا على ذلك صبرا عظيما، وجاهدوا في الله جهادا كبيرا، رضي الله عنهم وأرضاهم ، وتبعهم على ذلك أئمة الهدى من التابعين وأتباع التابعين من العرب وغير العرب، ساروا في هذا السبيل، سبيل الدعوة إلى الله ﷻ، وتحملوا أعباءها، وأدوا الأمانة، مع الصدق والصبر والإخلاص في الجهاد في سبيل الله، وقتال من خرج عن دينه، وصد عن سبيله، ولم يؤد الجزية التي فرضها الله، إذ كان من أهلها، فهم حملة الدعوة وأئمة الهدى بعد

رسول الله ﷺ، وهكذا أتباع الصحابة من التابعين وأتباع التابعين وأئمة الهدى، ساروا على هذا الطريق كما تقدم، وصبروا في ذلك، وانتشر دين الله، وعلت كلمته على أيدي الصحابة ومن تبعهم من أهل العلم والإيمان، من العرب والعجم، من هذه الجزيرة جنوبها وشمالها، ومن غير الجزيرة من سائر أرجاء الدنيا، ممن كتب الله له السعادة، ودخل في دين الله، وشارك في الدعوة والجهاد، وصبر على ذلك، وصارت لهم السيادة والقيادة والإمامة في الدين، بسبب صبرهم وإيمانهم وجهادهم في سبيل الله ﷻ، وصدق فيهم قوله سبحانه فيما ذكر في بني إسرائيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

صدق هذا في أصحاب الرسول ﷺ وفيمن سار على سبيلهم، صاروا أئمة وهداة ودعاة للحق، وأعلاما يقتدى بهم، بسبب صبرهم وإيمانهم، فإن بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، فأصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام وأتباعه بإحسان إلى يومنا هذا هم الأئمة، وهم الهداة، وهم القادة في سبيل الحق.

وبذلك يتضح لكل طالب علم أن الدعوة إلى الله من أهم المهمات، وأن الأمة في كل زمان ومكان في أشد الحاجة إليها، بل في أشد الضرورة إلى ذلك.

ويتلخص الكلام في الدعوة إلى الله ﷻ في أمور:

الأمر الأول: حكمها وفضلها.

الأمر الثاني: كيفية أدائها وأساليبها.

الأمر الثالث: بيان الأمر الذي يدعى إليه.

الأمر الرابع: بيان الأخلاق والصفات التي ينبغي للدعاة أن يتخلقوا بها وأن يسيروا عليها.

فنقول وبالله المستعان وعليه التكلان وهو المعين والموفق لعباده ﷻ.

الأمر الأول

بيان حكم الدعوة إلى الله ﷻ وبيان فضلها :

أما حكمها :

فقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله ﷻ، وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة، منها: قوله سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ ، ومنها: قوله جل وعلا: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾ ، ومنها: قوله ﷻ: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ، ومنها: قوله سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ﴾ .

فبين سبحانه أن أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصائر، والواجب - كما هو معلوم - هو اتباعه، والسير على منهاجه عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ .

وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله ﷻ فرض كفاية، بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة، وعملا صالحا جليلا.

وإذا لم يقم أهل الإقليم، أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام، صار الإثم عاما، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه، أما بالنظر إلى عموم البلاد، فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله جل وعلا في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله ﷻ بالطرق الممكنة، فإن الرسول ﷺ قد بعث الدعاة، وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك والرؤساء ودعاهم إلى الله ﷻ.

وفي وقتنا اليوم قد يسر الله ﷻ أمر الدعوة أكثر، بطرق لم تحصل لمن قبلنا، فأمور الدعوة اليوم متيسرة أكثر، من طرق كثيرة، وإقامة الحجة على الناس اليوم ممكنة بطرق متنوعة: عن طريق الإذاعة، وعن طريق التلفزة، وعن طريق الصحافة، . . . من طرق شتى.

فالواجب على أهل العلم والإيمان، وعلى خلفاء الرسول أن يقوموا بهذا الواجب ، وأن يتكاتفوا فيه، وأن يبلغوا رسالات الله إلى عباد الله، ولا يخشوا في الله لومة لائم، ولا يحابوا في ذلك كبيرا ولا صغيرا ولا غنيا ولا فقيرا، بل يبلغون أمر الله إلى عباد الله، كما أنزل الله، وكما شرع الله، وقد يكون ذلك فرض عين إذا كنت في مكان ليس فيه من يؤدي ذلك سواك، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه يكون فرض عين، ويكون فرض كفاية، فإذا كنت في مكان ليس فيه من يقوى على هذا الأمر، ويبلغ أمر الله سواك، فالواجب عليك أنت أن تقوم بذلك، فأما إذا وجد من يقوم بالدعوة والتبليغ، والأمر والنهي غيرك ، فإنه يكون حينئذ في حقك سنة، وإذا بادرت إليه وحرصت عليه كنت بذلك منافسا في الخيرات، وسابقا إلى الطاعات، ومما احتج به على أنها فرض كفاية قوله جل وعلا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾

قال الحافظ ابن كثير عند هذه الآية وجماعة ما معناه: ولتكن منكم أمة منتصبة لهذا الأمر العظيم، تدعو إلى الله، وتنشر دينه، وتبلغ أمره ﷻ، ومعلوم أيضا أن الرسول عليه الصلاة والسلام دعا إلى الله، وقام بأمر الله في مكة حسب طاقته، وقام الصحابة كذلك رضي الله عنهم وأرضاهم بذلك حسب طاقتهم، ثم لما هاجروا قاموا بالدعوة أكثر وأبلغ، ولما انتشروا في البلاد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام قاموا بذلك أيضا رضي الله عنهم وأرضاهم، كل على قدر طاقته وعلى قدر علمه، فعند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل - كحالنا اليوم - تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته، وإذا كان في محل محدود كقرية ومدينة ونحو ذلك، ووجد فيها من تولى هذا الأمر، وقام به وبلغ أمر الله كفى، وصار التبليغ في حق غيره سنة؛ لأنه قد أقيمت الحجة على يد غيره ونفذ أمر الله على يد سواه.

ولكن بالنسبة إلى بقية أرض الله، وإلى بقية الناس، يجب على العلماء حسب طاقتهم، وعلى ولاة الأمر حسب طاقتهم، أن يبلغوا أمر الله بكل ما يستطيعون، وهذا فرض عين عليه على حسب الطاقة والقدرة .

وبهذا يعلم أن كونها فرض عين، وكونها فرض كفاية أمر نسبي يختلف، فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى أشخاص، وسنة بالنسبة إلى أشخاص وإلى أقوام؛ لأنه وجد في محلهم وفي مكانهم من قام بالأمر وكفى عنهم.

أما بالنسب إلى ولاة الأمور ومن لهم القدرة الواسعة، فعليهم من الواجب أكثر، وعليهم أن يبلغوا الدعوة إلى ما استطاعوا من الأقطار، حسب الإمكان بالطرق الممكنة، وباللغات الحية التي ينطق بها الناس، يجب أن يبلغوا أمر الله بتلك اللغات حتى يصل دين الله إلى كل أحد باللغة التي يعرفها، باللغة

العربية وبغيرها، فإن الأمر الآن ممكن وميسور بالطرق التي تقدم بيانها، طرق الإذاعة والتلفزة والصحافة، وغير ذلك من الطرق التي تيسرت اليوم، ولم تتيسر في السابق، كما أنه يجب على الخطباء - في الاحتفالات ، وفي الجمع ، وفي غير ذلك - أن يبلغوا ما استطاعوا من أمر الله ﷻ، وأن ينشروا دين الله حسب طاقتهم، وحسب علمهم.

ونظرا إلى انتشار الدعوة إلى المبادئ الهدامة وإلى الإلحاد، وإنكار رب العباد، وإنكار الرسالات، وإنكار الآخرة، وانتشار الدعوة النصرانية في الكثير من البلدان، وغير ذلك من الدعوات المضللة - نظرا إلى هذا فإن الدعوة إلى الله ﷻ اليوم أصبحت فرضا عاما، وواجبا على جميع العلماء، وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام، فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان بالكتابة والخطابة، وبالإذاعة وبكل وسيلة استطاعوا، وأن لا يتقاعسوا عن ذلك، أو يتكلوا على زيد أو عمرو، فإن الحاجة ، بل الضرورة ماسة اليوم إلى التعاون والاشتراك، والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل ذلك؛ لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله، والتشكيك في دينه، ودعوة الناس إلى ما يخرجهم من دين الله ﷻ، فوجب على أهل الإسلام أن يقابلوا هذا النشاط المضل، وهذا النشاط الملحد بنشاط إسلامي، وبدعوة إسلامية على شتى المستويات، وبجميع الوسائل وبجميع الطرق الممكنة، وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدعوة إلى سبيله.

الأمر الثاني

كيفية أدائها وأساليبها:

أما كيفية الدعوة وأسلوبها: فقد بينها الله ﷻ في كتابه الكريم، وفيما جاء في سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، ومن أوضح ذلك قوله جل وعلا: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾.

فأوضح سبحانه الكيفية التي ينبغي أن يتصف بها الداعية ويسلكها، يبدأ أولا بالحكمة، والمراد بها: الأدلة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق، والداحضة للباطل؛ ولهذا قال بعض المفسرين: المعنى: بالقرآن؛ لأنه الحكمة العظيمة؛ لأن فيه البيان والإيضاح للحق بأكمل وجه، وقال بعضهم: معناه: بالأدلة من الكتاب والسنة.

وبكل حال، فالحكمة كلمة عظيمة، معناها: الدعوة إلى الله بالعلم والبصيرة، والأدلة الواضحة المقنعة الكاشفة للحق، والمبينة له، وهي كلمة مشتركة تطلق على معان كثيرة، تطلق على النبوة، وعلى العلم والفقه في الدين، وعلى العقل، وعلى الورع، وعلى أشياء أخرى، وهي في الأصل كما قال الشوكاني رحمه الله: الأمر الذي يمنع عن السفه، هذه هي الحكمة، والمعنى: أن كل كلمة وكل مقالة تردعك عن السفه، وتزجرك عن الباطل فهي حكمة، وهكذا كل مقال واضح صريح، صحيح في نفسه، فهو حكمة، فالآيات القرآنية أولى بأن تسمى حكمة، وهكذا السنة الصحيحة أولى بأن تسمى حكمة بعد كتاب الله، وقد سماها الله حكمة في كتابه العظيم، كما في قوله جل وعلا: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾، يعني: السنة، وكما في قوله سبحانه: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾

فالأدلة الواضحة تسمى: حكمة، والكلام الواضح المصيب للحق يسمى: حكمة، كما تقدم، ومن ذلك الحكمة التي تكون في فم الفرس: وهي بفتح الحاء والكاف، سميت بذلك؛ لأنها تمنع الفرس من المضي في السير، إذا جذبها صاحبها بهذه الحكمة.

فالحكمة كلمة تمنع من سمعها من المضي في الباطل، وتدعوه إلى الأخذ بالحق والتأثر به، والوقوف عند الحد الذي حده الله ﷻ.

فعلى الداعية إلى الله ﷻ أن يدعو بالحكمة، ويبدأ بها، ويعنى بها، فإذا كان المدعو عنده بعض الجفا والاعتراض دعوته بالموعظة الحسنة، بالآيات والأحاديث التي فيها الوعظ والترغيب، فإن كان عنده شبهة جادلته بالتي هي أحسن، ولا تغلظ عليه، بل تصبر عليه ولا تعجل ولا تعنف، بل تجتهد في كشف الشبهة، وإيضاح الأدلة بالأسلوب الحسن، هكذا ينبغي لك أيها الداعية أن تتحمل وتصبر ولا تشدد؛ لأن هذا أقرب إلى الانتفاع بالحق وقبوله وتأثر المدعو، وصبره على المجادلة والمناقشة، وقد أمر الله جل وعلا موسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون أن يقولا له قولا لينا وهو أطغى الطغاة، قال الله جل وعلا في أمره لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ ، وقال الله سبحانه في نبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ .

فعلم بذلك أن الأسلوب الحكيم والطريق المستقيم في الدعوة أن يكون الداعي حكيما في الدعوة، بصرا بأسلوبها، لا يعجل ولا يعنف، بل يدعو بالحكمة، وهي المقال الواضح المصيب للحق من الآيات والأحاديث، وبالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، هذا هو الأسلوب الذي ينبغي

لك في الدعوة إلى الله ﷻ، أما الدعوة بالجهل فهذا يضر ولا ينفع، كما يأتي بيان ذلك إن شاء الله عند ذكر أخلاق الدعاة؛ لأن الدعوة مع الجهل بالأدلة قول على الله بغير علم، وهكذا الدعوة بالعنف والشدة ضررها أكثر.

وإنما الواجب والمشروع هو الأخذ بما بينه الله ﷻ في سوره النحل، وهو قوله سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ .

إلا إذا ظهر من المدعو العناد والظلم، فلا مانع من الإغلاظ عليه، كما قال الله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ .

الأمر الثالث :

بيان الأمر الذي يدعى إليه :

أما الشيء الذي يدعى إليه، ويجب على الدعاة أن يوضحوه للناس، كما أوضحه الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو الدعوة إلى صراط الله المستقيم، وهو الإسلام، وهو دين الله الحق، هذا هو محل الدعوة، كما قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ .

فسبيل الله جل وعلا: هو الإسلام، وهو الصراط المستقيم، وهو دين الله الذي بعث به نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام، هذا هو الذي تجب الدعوة إليه، لا إلى مذهب فلان ولا إلى رأي فلان، ولكن إلى دين الله، إلى صراط الله المستقيم، الذي بعث الله به نبيه وخليله محمدا عليه الصلاة والسلام، وهو ما دل عليه القرآن العظيم، والسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعلى رأس ذلك الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، إلى الإخلاص لله وتوحيده بالعبادة، والإيمان به وبرسله، والإيمان باليوم

الآخر، وبكل ما أخبر الله به ورسوله، هذا هو أساس الصراط المستقيم، وهو الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ومعنى ذلك: الدعوة إلى توحيد الله والإخلاص له، والإيمان به وبرسله عليهم الصلاة والسلام، ويدخل في ذلك الدعوة إلى الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسله، مما كان وما يكون من أمر الآخرة، وأمر آخر الزمان وغير ذلك.

ويدخل في ذلك أيضا الدعوة إلى ما أوجب الله من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت... إلى غير ذلك.

ويدخل أيضا في ذلك الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ بما شرع الله في الطهارة والصلاة، والمعاملات، والنكاح والطلاق، والجنايات، والنفقات، والحرب والسلم، وفي كل شيء؛ لأن دين الله ﷻ دين شامل، يشمل مصالح العباد في المعاش والمعاد، ويشمل كل ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم ودنياهم، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وينهى عن سفاسف الأخلاق وعن سيئ الأعمال، فهو عبادة وقيادة، يكون عابدا، ويكون قائدا للجيش. عبادة وحكم، يكون عابدا مصليا صائما، ويكون حاكما بشرع الله منفذا لأحكامه ﷻ. عبادة وجهاد، يدعو إلى الله، ويجاهد في سبيل الله من خرج عن دين الله. مصحف وسيف، يتأمل القرآن ويتدبره وينفذ أحكامه بالقوة، ولو بالسيف إذا دعت الحاجة إليه. سياسة واجتماع، فهو يدعو إلى الأخلاق الفاضلة والأخوة الإيمانية، والجمع بين المسلمين والتأليف بينهم، كما قال جل وعلا: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾.

فدين الله يدعو إلى الاجتماع، وإلى السياسة الصالحة الحكيمة، التي تجمع ولا تفرق، تؤلف ولا تباعد، تدعو إلى صفاء القلوب، واحترام

الأخوة الإسلامية، والتعاون على البر والتقوى، والنصح لله ولعباده، وهو أيضا يدعو إلى أداء الأمانة والحكم بالشريعة، وترك الحكم بغير ما أنزل الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ .

وهو أيضا سياسة واقتصاد، كما أنه سياسة وعباده وجهاد، فهو يدعو إلى الاقتصاد الشرعي المتوسط، ليس رأسماليا غاشما ظالما لا يبالي بالحرمات، ويجمع المال بكل وسيلة وبكل طريق، وليس اقتصادا شيوعيا إلحاديا لا يحترم أموال الناس، ولا يبالي بالضغط عليهم وظلمهم والعدوان عليهم، فليس هذا ولا هذا، بل هو وسط بين الاقتصادين، ووسط بين الطريقين، وحق بين الباطلين، فالغرب عظموا المال وغلوا في حبه وفي جمعه، حتى جمعوه بكل وسيلة، وسلكوا فيه ما حرم الله ﷻ، والشرق من الملحدين من السوفييت ومن سلك سبيلهم لم يحترموا أموال العباد، بل أخذوها واستحلوها، ولم يبالوا بما فعلوا في ذلك، بل استعبدوا العباد، واضطهدوا الشعوب، وكفروا بالله، وأنكروا الأديان، وقالوا: لا إله، والحياة مادة، فلم يبالوا بهذا المال، ولم يكترثوا بأخذه بغير حله، ولم يكترثوا بوسائل الإبادة والاستيلاء على الأموال، والحيلولة بين الناس وبين ما فطرهم الله عليه من الكسب والانتفاع، والاستفادة من قدراتهم ومن عقولهم، وما أعطاهم الله من الأدوات، فلا هذا ولا هذا .

فالإسلام جاء بحفظ المال واكتسابه بالطرق الشرعية البعيدة عن الظلم والغش والربا وظلم الناس والتعدي عليهم، كما جاء باحترام الملك الفردي والجماعي، فهو وسط بين النظامين، وبين الاقتصاديين ، وبين الطريقين الغاشمين، فأباح المال ودعا إليه، ودعا إلى اكتسابه بالطرق الحكيمة، من

غير أن يشغل كاسبه عن طاعة الله ورسوله ﷺ، وعن أداء ما أوجب الله عليه؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» وقال: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من سؤال الناس أعطوه أو منعوه**»وسئل ﷺ: أي الكسب أطيب؟ فقال: «**عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما أكل أحد طعاما أفضل من أن يأكل من عمل يده وكان نبي الله داود يأكل من عمل يده**».

فهذا يبين لنا أن نظام الإسلام في المال نظام متوسط، لا مع رأس المال الغاشم من الغرب وأتباعه، ولا مع الشيوعيين الملحدين الذين استباحوا الأموال، وأهدروا حرمات أهلها، لم يبالوا بها، واستعبدوا الشعوب وقضوا عليها، واستحلوا ما حرم الله منها، فلك أن تكسب المال وتطلبه بالطرق الشرعية، وأنت أولى بمالك وبكسبك بالطريقة التي شرعها الله، وأباحها جل وعلا.

والإسلام أيضا يدعو إلى الأخوة الإيمانية، وإلى النصح لله ولعباده، وإلى احترام المسلم لأخيه، لا غل ولا حسد ولا غش ولا خيانة، ولا غير ذلك من الأخلاق الذميمة، كما قال جل وعلا: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله**» .... الحديث.

فالمسلم أخو المسلم، يجب عليه احترامه وعدم احتقاره، ويجب عليه إنصافه وإعطاؤه حقه من كل الوجوه التي شرعها الله ﷻ، وقال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**» وقال ﷺ: «**المؤمن مرآة أخيه المؤمن**» فأنت يا أخي مرآة أخيك، وأنت لبنة من البناء الذي قام عليه بنيان الأخوة الإيمانية، فاتق الله في حق أخيك، واعرف حقه، وعامله بالحق والنصح والصدق، وعليك أن تأخذ الإسلام كله ولا تأخذ جانبا دون جانب، لا تأخذ العقيدة وتدع الأحكام والأعمال، ولا تأخذ الأعمال والأحكام وتدع العقيدة، بل خذ الإسلام كله، خذه عقيدة، وعملا، وعبادة، وجهادا، واجتماعا، وسياسة، واقتصادا وغير ذلك، خذه من كل الوجوه، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ .

قال جماعة من السلف: معنى ذلك: ادخلوا في السلم جميعه، يعني: في الإسلام، يقال للإسلام: سلم؛ لأنه طريق السلامة، وطريق النجاة في الدنيا والآخرة، فهو سلم وإسلام، فالإسلام يدعو إلى السلم، يدعو إلى حقن الدماء بما شرع من الحدود والقصاص والجهاد الشرعي الصادق، فهو سلم وإسلام، وأمن وإيمان؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ أي: ادخلوا في جميع شعب الإيمان، لا تأخذوا بعضا وتدعوا بعضا، عليكم أن تأخذوا بالإسلام كله ، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ يعني: المعاصي التي حرمها الله ﷻ فإن الشيطان يدعو إلى المعاصي وإلى ترك دين الله كله، فهو أعدى عدو؛ ولهذا يجب على المسلم أن يتمسك بالإسلام كله، وأن

يدين بالإسلام كله، وأن يعتصم بحبل الله ﷻ، وأن يحذر أسباب الفرقة والاختلاف في جميع الأحوال، فعليك أن تحكم شرع الله في العبادات، وفي المعاملات، وفي النكاح والطلاق، وفي النفقات، وفي الرضاع، وفي السلم والحرب، ومع العدو والصديق، وفي الجنايات، وفي كل شيء.

دين الله يجب أن يحكم في كل شيء، وإياك أن توالي أخاك لأنه وافقك في كذا، وتعادي الآخر لأنه خالفك في رأي أو في مسألة، فليس هذا من الإنصاف، فالصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في مسائل ومع ذلك لم يؤثر ذلك في الصفاء بينهم والموالاة والمحبة رضي الله عنهم وأرضاهم.

فالمؤمن يعمل بشرع الله، ويدين بالحق، ويقدمه على كل أحد بالدليل، ولكن لا يحمله ذلك على ظلم أخيه وعدم إنصافه إذا خالفه في الرأي في مسائل الاجتهاد التي قد يخفى دليلها، وهكذا في المسائل التي قد يختلف في تأويل النص فيها، فإنه قد يعذر، فعليك أن تنصح له، وأن تحب له الخير، ولا يحملك ذلك على العداء والانشقاق، وتمكين العدو منك ومن أخيك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الإسلام دين العدالة، ودين الحكم بالحق والإحسان، دين المساواة إلا فيما استثنى الله ﷻ، ففيه الدعوة إلى كل خير، وفيه الدعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، والإنصاف والعدالة والبعد عن كل خلق ذميم، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝١٣﴾

والخلاصة: أن الواجب على الداعية الإسلامي أن يدعو إلى الإسلام كله، ولا يفرق بين الناس، وأن لا يكون متعصبا لمذهب دون مذهب، أو لقبيلة دون قبيلة، أو لشيخه أو رئيسه أو غير ذلك، بل الواجب أن يكون هدفه إثبات الحق وإيضاحه، واستقامة الناس عليه، وإن خالف رأي فلان أو فلان أو فلان، ولما نشأ في الناس من يتعصب للمذاهب، ويقول: إن مذهب فلان أولى من مذهب فلان، جاءت الفرقة والاختلاف، حتى آل ببعض الناس هذا الأمر إلى أن لا يصلي مع من هو على غير مذهبه، فلا يصلي الشافعي خلف الحنفي، ولا الحنفي خلف المالكي ولا خلف الحنبلي، وهكذا وقع من بعض المتطرفين المتعصبين، وهذا من البلاء ومن اتباع خطوات الشيطان، فالأئمة أئمة هدى: الشافعي، ومالك، وأحمد، وأبو حنيفة، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وأشباههم كلهم أئمة هدى ودعاة حق، دعوا الناس إلى دين الله، وأرشدوهم إلى الحق، ووقع هناك مسائل بينهم، اختلفوا فيها؛ لخفاء الدليل على بعضهم، فهم بين مجتهد مصيب له أجران، وبين مجتهد أخطأ الحق فله أجر واحد، فعليك أن تعرف لهم قدرهم وفضلهم، وأن تترحم عليهم، وأن تعرف أنهم أئمة الإسلام ودعاة الهدى، ولكن لا يحملك ذلك على التعصب والتقليد الأعمى، فتقول: مذهب فلان أولى بالحق بكل حال، أو مذهب فلان أولى بالحق لكل حال لا يخطئ، «لا» هذا غلط.

عليك أن تأخذ بالحق، وأن تتبع الحق إذا ظهر دليله ولو خالف فلانا أو فلانا، وعليك أن لا تتعصب وتقلد تقليدا أعمى، بل تعرف للأئمة فضلهم وقدرهم، ولكن مع ذلك تحتاط لنفسك ودينك، فتأخذ بالحق وترضى به، وترشد إليه إذا طلب منك، وتخاف الله وتراقبه جل وعلا، وتنصف من

نفسك، مع إيمانك بأن الحق واحد، وأن المجتهدين إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد - أعني: مجتهدي أهل السنة أهل العلم والإيمان والهدى - كما صح بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ.

المقصود من الدعوة والهدف منها :

أما المقصود من الدعوة والهدف منها : فالمقصود والهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإرشادهم إلى الحق حتى يأخذوا به، وينجو من النار، وينجو من غضب الله، وإخراج الكافر من ظلمة الكفر إلى النور والهدى، وإخراج الجاهل من ظلمة الجهل إلى نور العلم، والعاصي من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة، هذا هو المقصود من الدعوة، كما قال جل وعلا : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ .

فالرسل بعثوا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ودعاة الحق كذلك يقومون بالدعوة وينشطون لها؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولإنقاذهم من النار ومن طاعة الشيطان، ولإنقاذهم من طاعة الهوى إلى طاعة الله ورسوله.

الأمر الرابع:

بيان الأخلاق والصفات التي ينبغي للدعاة أن يتخلقوا بها وأن يسيروا عليها :

أما أخلاق الدعاة وصفاتهم التي ينبغي أن يكونوا عليها، فقد أوضحها الله جل وعلا في آيات كثيرة، في أماكن متعددة من كتابه الكريم منها:

أولاً: الإخلاص: فيجب على الداعية أن يكون مخلصا لله ﷻ، لا يريد رياء ولا سمعة، ولا ثناء الناس ولا حمدهم، إنما يدعو إلى الله يريد وجهه

ﷻ، كما قال سبحانه : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ، وقال ﷻ : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ .

فعليك أن تخلص لله ﷻ، هذا أهم الأخلاق، هذا أعظم الصفات أن تكون في دعوتك تريد وجه الله والدار الآخرة.

ثانياً : أن تكون على بينه في دعوتك - أي : على علم - لا تكن جاهلا بما تدعو إليه : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ .

فلا بد من العلم، فالعلم فريضة، فإياك أن تدعو على جهالة، وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم، فالجاهل يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح، فاتق الله يا عبد الله، إياك أن تقوله على الله بغير علم، لا تدعو إلى شيء إلا بعد العلم به، والبصيرة بما قاله الله ورسوله، فلا بد من بصيرة وهي العلم، فعلى طالب العلم وعلى الداعية أن يتبصر فيما يدعو إليه، وأن ينظر فيما يدعو إليه ودليله، فإن ظهر له الحق وعرفه دعا إلى ذلك، سواء كان ذلك فعلا أو تركا، فيدعو إلى الفعل إذا كان طاعة لله ورسوله، ويدعو إلى ترك ما نهى الله عنه ورسوله على بينة وبصيرة.

ثالثاً : أن تكون حليما في دعوتك، رفيقا فيها، متحملا صبورا، كما فعل الرسل عليهم الصلاة والسلام، إياك والعجلة، إياك والعنف والشدة، عليك بالصبر، عليك بالحلم، عليك بالرفق في دعوتك، وقد سبق لك بعض الدليل على ذلك، كقوله جل وعلا : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ ، وقوله جل وعلا في قصة موسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ .

وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: **«اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به ومن ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه»** خرجه مسلم في الصحيح.

فعليك يا عبد الله، أن ترفق في دعوتك، ولا تشق على الناس، ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليما صبورا، سلس القياد، لين الكلام، طيب الكلام؛ حتى تؤثر في قلب أخيك، وحتى تؤثر في قلب المدعو، وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها، ويتأثر بها، ويثني عليك بها، ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع.

ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي - بل يجب - أن يكون عليها الداعية: العمل بدعوته، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس ممن يدعو إلى شيء ثم يتركه، أو ينهى عنه ثم يرتكبه، هذه حال الخاسرين، نعوذ بالله من ذلك.

أما المؤمنون الرابحون فهم دعاة الحق يعملون به وينشطون فيه ويسارعون إليه، ويبتعدون عما ينهون عنه، قال الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾، وقال سبحانه موبخا اليهود على أمرهم الناس بالبر ونسيان أنفسهم: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾ .

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: **«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع عليه أهل النار فيقولون له يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول**

بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه» هذه حال من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم خالف قوله فعله وفعله قوله، نعوذ بالله من ذلك.

فمن أهم الأخلاق ومن أعظمها في حق الداعية: أن يعمل بما يدعو إليه، وأن ينتهي عما ينهى عنه، وأن يكون ذا خلق فاضل، وسيرة حميدة، وصبر ومصابرة، وإخلاص في دعوته، واجتهاد فيما يوصل الخير إلى الناس، وفيما يبعدهم من الباطل، ومع ذلك يدعو لهم بالهداية، هذا من الأخلاق الفاضلة، أن يدعو لهم بالهداية ويقول للمدعو: هداك الله، وفقك الله لقبول الحق، أعانك الله على قبول الحق، تدعوه وترشده وتصبر على الأذى، ومع ذلك تدعو له بالهداية، قال النبي عليه الصلاة والسلام لما قيل عن **«دوس»**: إنهم عصوا، قال: **«اللهم اهد دوسا وائت بهم»** تدعو له بالهداية والتوفيق لقبول الحق، وتصبر وتصابر في ذلك، ولا تقنط ولا تيأس، ولا تقل إلا خيرا، لا تعنف ولا تقل كلاما سيئا ينفر من الحق، ولكن من ظلم وتعدى له شأن آخر، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ .

فالظالم الذي يقابل الدعوة بالشر والعناد والأذى له حكم آخر، في الإمكان تأديبه على ذلك بالسجن أو غيره، ويكون تأديبه على ذلك على حسب مراتب الظلم، لكن ما دام كافا عن الأذى فعليك أن تصبر عليه، وتحتسب، وتجادله بالتي هي أحسن، وتصفح عما يتعلق بشخصك من بعض الأذى، كما صبر الرسل وأتباعهم بإحسان.

وأسأل الله ﷻ أن يوفقنا جميعا لحسن الدعوة إليه، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا، وأن يمنحنا جميعا الفقه في دينه، والثبات عليه، ويجعلنا من

الهداة المهتدين، والصالحين المصلحين، إنه جل وعلا جواد كريم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.



الدعوة إلى الله وأسلوبها المشروع

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على عبده ورسوله قائد الغر المحجلين وإمام الدعاة إلى رب العالمين نبينا وإمامنا محمد ابن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد، فإني أشكر الله ﷻ على ما من به من هذا اللقاء بإخوة في الله وأبناء كرام في هذا المكان المبارك في مكة المكرمة وفي رحاب البيت العتيق للتناصح والتواصي بالدعوة إلى الله ﷻ وبيان ثمراتها وفوائدها وأسلوبها، أسأل الله جل وعلا أن يجعله لقاء مباركا، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعا، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يمنحنا جميعا الفقه في دينه والثبات عليه، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يولي عليهم خيارهم ويصلح قادتهم، وأن يرزقهم جميعا الفقه في الدين والاستقامة عليه إنه جل وعلا جواد كريم، ثم أشكر القائمين على جامعة أم القرى وعلى رأسهم الأخ الكريم معالي الدكتور: راشد بن راجح مدير هذه الجامعة على دعوته لي لهذا اللقاء، وأسأل الله أن يوفق الجميع لما يرضيه، وأن يبارك في جهود الجميع ويكللها بالصلاح والنجاح، وأن يعيذنا جميعا من مضلات الفتن وطوارق المحن إنه سميع قريب.

أيها الإخوة في الله عنوان هذه المحاضرة: الدعوة إلى الله سبحانه وأسلوبها المشروع.

الدعوة إلى الله شأنها عظيم، وهي من أهم الفروض والواجبات على المسلمين عموما وعلى العلماء بصفة خاصة، وهي منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهم الأئمة فيها عليهم الصلاة والسلام، فالدعوة إلى الله طريق الرسل وطريق أتباعهم إلى يوم القيامة، والحاجة إليها بل الضرورة معلومة، فالأمة كلها من أولها إلى آخرها بحاجة شديدة، بل في ضرورة إلى الدعوة إلى الله، والتبصير في دين الله، والترغيب في التفقه فيه والاستقامة عليه، والتحذير مما يضاده أو يضاد كماله الواجب أو ينقص ثواب أهله ويضعف إيمانهم.

فالواجب على أهل العلم بشريعة الله أينما كانوا أن يقوموا بمهمة الدعوة؛ لأن الناس في أشد الضرورة إلى ذلك في مشارق الأرض ومغاربها، ونحن في غربة من الإسلام وقلة من علماء الحق، وكثرة من أهل الجهل والباطل والشر والفساد، فالواجب على أهل العلم بالله وبدينه أن يشمروا عن ساعد الجد، وأن يستقيموا على الدعوة وأن يصبروا عليها يرجون ما عند الله من المثوبة ويخشون مغبة التأخر عن ذلك والتكاسل عنه، والله ﷻ أوجب على العلماء أن يبينوا، وأوجب على العامة أن يقبلوا الحق وأن يستفيدوا من العلماء وأن يقبلوا النصيحة، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فأحسن الناس قولا من دعا إلى الله وأرشد إليه وعلم العباد دينهم وفقههم فيه وصبر على ذلك وعمل بدعوته ولم يخالف قوله فعله ولا فعله قوله، هؤلاء هم أحسن الناس قولا وهم أصلح الناس وأنفع الناس للناس وهم الرسل الكرام والأنبياء وأتباعهم من علماء الحق.

فالواجب على كل عالم وطالب علم أن يقوم بهذا العمل حسب طاقته وعلمه وقد يتعين عليه إذا لم يكن في البلد أو في القبيلة أو في المكان الذي

وقع فيه المنكر غيره فإنه يجب عليه عينا أن يقول الحق وأن يدعو إليه، وعند وجود غيره يكون فرض كفاية إذا قام به البعض كفى وإن سكتوا عنه أثموا جميعا فالواجب على أهل العلم بالله وبدينه أن ينصحوا لله ولعباده وأن يقوموا بواجب الدعوة في بيوتهم ومع أهليهم وفي مساجدهم وفي طرقاتهم وفي بقية أنحاء قريتهم وبلادهم وفي مراكبهم من طائرة أو سيارة أو قطار أو غير ذلك.

فالدعوة مطلوبة في كل مكان أينما كنت والحاجة ماسة إليها أينما كنت، فالناس في الطائرة محتاجون، وفي السيارة محتاجون، وفي القطار محتاجون، وفي السفينة محتاجون إلى غير ذلك، وأهلك كذلك يلزمك أن تعنى بهم أولا كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ وقال ﷻ لنبيه وخليله محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾.

فالواجب على طالب العلم أن يعنى بأهله ووالديه وأولاده وإخوانه إلى غير ذلك يعلمهم ويرشدهم ويدعوهم إلى الله ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كما قال ﷻ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾ ثم قال سبحانه: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ يعني من كان بهذه الصفة فهو المفلح على الحقيقة على الكمال، وقد أمر الله بالدعوة في آيات ورغب فيها سبحانه كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية، وقوله سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ وأخبر سبحانه أن الدعوة إلى الله على بصيرة هي

سبيل النبي ﷺ وهي سبيل أتباعه من أهل العلم كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾.

فالواجب علينا جميعا أن نعنى بهذه المهمة أينما كنا، والواجب على أهل العلم كما تقدم أن يعنوا بها غاية العناية ولا سيما عند شدة الضرورة إليها في هذا العصر فإن عصرنا يعتبر عصر غربة للإسلام لقلة العلم والعلماء بالسنة والكتاب ولغلبة الجهل، وكثرة الشرور والمعاصي وأنواع الكفر والضلال والإلحاد، فالواجب حينئذ يتأكد على العلماء في الدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى ما خلقوا له من توحيد الله وطاعته وأداء واجبه وترك معصيته.

يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ ويقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ وهذه العبادة تحتاج إلى بيان، وهذه العبادة هي التي خلقنا لها وأمرنا بها وبعثت الرسل عليهم الصلاة والسلام لبيانها وللدعوة إليها فلا بد من بيانها للناس من أهل العلم، وهي الإسلام والهدى وهي الإيمان والبر والتقوى.

هذه هي العبادة التي خلقنا لها أن نطيع الله ونطيع رسوله ﷺ في الأوامر والنواهي، وأن نخصه بالعبادة دون كل ما سواه، وهذه الطاعة تسمى عبادة، لأنك تؤديها بذل وخضوع لله، والعبادة ذل وخضوع لله ﷻ وانكسار بين يديه بطاعة أوامره وترك نواهيه، وأصلها وأساسها توحيده والإخلاص له وتخصيصه بالعبادة وحده دون كل ما سواه، والإيمان برسله عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم خاتمهم وإمامهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، ثم فِعْلُ ما أوجب الله من بقية الأوامر وترك ما نهى الله عنه، هذه هي العبادة،

وهذه هي التقوى، وهذه هي الإسلام الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ وهي الإيمان أيضا الذي قال الله فيه جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وقال فيه النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة» الحديث، أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق..

وهذا هو الإيمان وهو الهدى وهو الإسلام وهو العبادة التي خلقنا لها وهو البر، فهي ألفاظ متقاربة المعنى، معناها طاعة الله ورسوله والاستقامة على دين الله، فمن استقام على دين الله فقد اتقى، ومن استقام على دين الله فقد آمن به، ومن استقام على دين الله فقد أخذ بالإسلام، وأخذ بالهدى كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ ومن استقام على دين الله فهو على البر الذي قال فيه سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣﴾ فالدعوة إليه سبحانه هي دعوة إلى البر وإلى التقى وإلى الإيمان وإلى الإسلام وإلى الهدى.

فعليك أيها العالم بالله وبدينه أن تنبه إلى هذا الأمر وأن تشرحه للناس وتوضح لهم حقيقة دينهم، ما هو الإسلام؟ ما هو الإيمان؟ ما هو البر؟ ما هو التقوى؟ هو طاعة الله ورسوله هو العبادة التي خلقنا لها، سماها الله إسلاما وسماها إيمانا وسماها هدى في قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ وسماها برا في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣﴾ إلى غير ذلك.. وسماها الله إسلاما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾.

فالدعوة إلى الله جل وعلا دعوة إلى هذا الأمر، دعوة إلى عبادة الله التي خلقنا لها، دعوة إلى الاستقامة على ذلك، دعوة إلى طاعة الله ورسوله،

دعوة إلى الإسلام، دعوة إلى البر، دعوة إلى الإيمان، والمعنى أنك تدعو الناس إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، وطاعة أوامره وترك نواهيه، وهذا الذي تدعو إليه يسمى إسلاما ويسمى عبادة، ويسمى تقوى، ويسمى طاعة الله ورسوله، ويسمى برا ويسمى هدى ويسمى صلاحا وإصلاحا كلها أسماء متقاربة المعنى.

فعلى الدعاة إلى الله وهم العلماء أن يبسطوا للناس هذا الأمر وأن يشرحوه وأن يوضحوه أينما كانوا مشافهة؛ في خطب الجمعة وفي الدروس، وفي المواعظ العامة، وفي المناسبات التي تحصل بينهم، يبينون للناس هذه الأمور ويوضحونها للناس، وينتهزون الفرص في كل مناسبة؛ لأن الضرورة تدعو إلى ذلك والحاجة الشديدة تدعو إلى ذلك لقلة العلم والعلماء وكثرة الحاجة والضرورة إلى البيان، وهكذا يكون التعليم والتوجيه من طريق المكاتبات، ومن طريق المؤلفات، ومن طريق الإذاعة ووسائل الإعلام، ومن طريق المكالمات الهاتفية، لا يتأخر العالم عن أي طريق يبلغ فيه العلم تارة بالكتب، وتارة بالخطب في الجمع وفي الأعياد وغيرها، وتارة بتأليف الرسائل التي تنفع الناس.

فالواجب أن يكون وقت العالم معمورا بالدعوة والخير وأن لا يشغله شاغل عن دعوة الناس وتعريفهم بدين الله، أن تكون أوقاته معمورة بطاعة الله، والدعوة إلى سبيله والصبر على ذلك كما صبر الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ فمن أراد من أهل العلم أن يكون من أتباعه على الحقيقة فعليه بالدعوة إلى الله على بصيرة حتى يكون من أتباعه على الحقيقة ينفع الناس وينفع نفسه ثم له بذلك مثل أجورهم ولو كانوا ملايين، هذه نعمة عظيمة

وفائدة كبيرة، لك يا عبد الله الداعي إلى الله لك مثل أجور من هداه على يديك. لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» وهذا أمر عظيم من دعا إلى خير فله مثل أجر فاعله، دعوت كافرا فأسلم يكون لك مثل أجره، دعوت مبتدعا فترك البدعة يكون لك مثل أجره، دعوت إنسانا يتعامل بالربا فأطاعك يكون لك مثل أجره، دعوت إنسانا يتعاطى المسكر فأجابك يكون لك مثل أجره، دعوت إنسانا عاقا لوالديه فأطاعك وبر والديه يكون لك مثل أجره، دعوت إنسانا يغتاب الناس فترك الغيبة يكون لك مثل أجره، وهكذا.. هذا خير عظيم «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**».

والحديث الآخر يقول ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا**» وهذا الحديث من أصح الأحاديث، وقد رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فأنت يا عبد الله إن دعوت إلى خير فلك مثل أجور المهتدين على يديك، وإن دعوت إلى شر فعليك مثل أوزارهم وآثامهم، نسأل الله العافية، وفي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لعلي لما بعثه لخيبر: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**» **وهذه الفائدة العظيمة.**

واحد من اليهود يهديه الله على يده خير له من حمر النعم، وأنت كذلك ذهبت إلى قرية من القرى أو مدينة من المدن أو قبيلة من القبائل فدعوتهم إلى الله، وهدى الله على يديك واحدا خير لك من حمر النعم، والمقصود خير من الدنيا وما عليها، وهكذا لو كنت في بلاد فيها كفار فدعوتهم وهداهم الله

على يديك لك مثل أجورهم ولك بكل واحد خير من حمر النعم، وهنا كفار يوجدون من العمال فإذا تيسر للعالم الذهاب إليهم ودعوتهم فهداهم الله على يديه أو هدى بعضهم يكون له مثل أجورهم.

فالدعوة إلى الله في كل مكان لها ثمراتها العظيمة مع الكفار ومع العصاة ومع غيرهم، قد يكون غير عاص لكن عنده كسل وعدم نشاط فإذا سمع دعوتك زاد نشاطه في الخير ومسابقته إلى الطاعات فيكون لك مثل أجره.

أما أسلوب الدعوة فبينه الرب جل وعلا وهو الدعوة بالحكمة أي بالعلم والبصيرة، بالرفق واللين لا بالشدة والغلظة هذا هو الأسلوب الشرعي في الدعوة إلا من ظلم، فمن ظلم يعامل بما يستحق لكن من يتقبل الدعوة ويصغي إليها أو ترجو أن يتقبلها لأنه لم يعارضك ولم يظلمك فارفق به.

يقول جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ فالحكمة هي العلم، قال الله قال رسوله، والموعظة الحسنة الترغيب والترهيب تبين ما في طاعة الله من الخير العظيم وما في الدخول في الإسلام من الخير العظيم وما عليه إذا استكبر ولم يقبل الحق إلى غير ذلك، أما الجدال بالتي هي أحسن فمعناه بيان الأدلة من غير عنف عند وجود الشبهة لإزالتها وكشفها.

فعند المجادلة تجادل بالتي هي أحسن وتصبر وتتحمل كما في الآية الأخرى يقول سبحانه: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾ فالظالمون لهم شأن آخر، لكن ما دمت تستطيع الجدال بالتي هي أحسن وهو يتقبل أو ينصت أو يتكلم بأمر لا يعد فيه ظالما ولا معتديا فاصبر وتحمل بالموعظة والأدلة الشرعية والجدال الحسن، يقول الله

سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وقول النبي ﷺ: «**البر حسن الخلق**».

وقد أثنى الله على النبي ﷺ في أمر الدعوة فقال جل وعلا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ ونبينا أكمل الناس في دعوته وأكمل الناس في إيمانه لو كان فظا غليظ القلب لانفض الناس من حوله وتركوه فكيف أنت، فعليك أن تصبر وعليك أن تتحمل ولا تعجل بسب أو كلام سيئ أو غلظة، وعليك باللين والرحمة والرفق.

ولما بعث الله موسى وهارون لفرعون ماذا قال لهما، قال سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ فأنت كذلك لعل صاحبك يتذكر أو يخشى وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه**» وهذا وعد عظيم في الرفق ووعيد عظيم في المشقة ويقول عليه الصلاة والسلام: «**من يحرم الرفق يحرم الخير كله**» ويقول ﷺ: «**عليكم بالرفق فإنه لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**».

فالواجب على الداعي إلى الله أن يتحمل وأن يستعمل الأسلوب الحسن الرفيق اللين في دعوته للمسلمين والكفار جميعا، لا بد من الرفق مع المسلم ومع الكافر ومع الأمير وغيره ولا سيما الأمراء والرؤساء والأعيان فإنهم يحتاجون إلى المزيد من الرفق والأسلوب الحسن لعلهم يقبلون الحق ويؤثرونه على ما سواه، وهكذا من تأصلت في نفسه البدعة أو المعصية ومضى عليه فيها السنون يحتاج إلى صبر حتى تقتلع البدعة وحتى تزال بالأدلة، وحتى يتبين له شر المعصية وعواقبها الوخيمة فيقبل منك الحق ويدع المعصية.

فالأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله وإثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات. ويلحق بهذا الباب ما قد يفعله بعض الناس من المظاهرات التي قد تسبب شرا عظيما على الدعاة فالمسيرات في الشوارع والهتافات والمظاهرات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبة التي هي أحسن، فتنصح الرئيس والأمير وشيخ القبيلة بهذا الطريق لا بالعنف والمظاهرة.

فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات ولا المسيرات ولم يُهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم، ولا شك أن هذا الأسلوب يضر الدعوة والدعاة ويمنع انتشارها ويحمل الرؤساء والكبار على معاداتها ومضادتها بكل ممكن فهم يريدون الخير بهذا الأسلوب لكن يحصل به ضده، فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم ولو طالت المدة أولى به من عمل يضر الدعوة ويضايقها أو يقضي عليها ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالنصيحة مني لكل داع إلى الله أن يستعمل الرفق في كلامه وفي خطبته وفي مكاتباته وفي جميع تصرفاته حول الدعوة، يحرص على الرفق مع كل أحد إلا من ظلم، وليس هناك طريق أصلح للدعوة من طريق الرسل فهم القدوة وهم الأئمة وقد صبروا، صبر نوح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وصبر هود، وصبر صالح، وصبر شعيب، وصبر إبراهيم، وصبر لوط، وهكذا غيرهم من الرسل ثم أهلك الله أقوامهم بذنوبهم وأنجى الله الأنبياء وأتباعهم.

فلك أيها الداعية أسوة في هؤلاء الأنبياء والأخيار، ولك أسوة بالنبي محمد ﷺ الذي صبر في مكة وصبر في المدينة على وجود اليهود عنده

والمنافقين ومن لم يُسلم من الأوس والخزرج حتى هداهم الله وحتى يسر الله إخراج اليهود وحتى مات المنافقون بغيظهم، فأنت لك أسوة بهؤلاء الأخيار فاصبر وصابر واستعمل الرفق ودع عنك العنف ودع كل سبب يضيق على الدعوة ويضرها ويضر أهلها. واذكر قوله تعالى يخاطب نبيه محمدا ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ الآية.

واسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يوفقنا وإياكم وسائر المسلمين للعلم النافع والعمل الصالح وحسن الدعوة إليه، وأن يوفق علماءنا جميعا في كل مكان ودعاة الحق في كل مكان للعلم النافع والبصيرة، والسير على المنهج الذي سار عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام في الدعوة إليه وإبلاغ الناس دينه، إنه جل وعلا جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



الدعوة إلى الله وأثرها في انتشار الإسلام

سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله باز

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله، واهتدى بهداه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإني أشكر للمسئولين في الرابطة ما تكرموا به من تقديم الدعوة إلي للمشاركة في موسم الرابطة الثقافي لهذا العام ١٣٩١ هـ.

وأسأل الله ﷻ أن ينفع المسلمين بهذا الموسم، وأن يكلل جهود القائمين عليه بالنجاح. وأن يجزل لهم المثوبة، إنه خير مسئول. وقد رأى المسئولون في الرابطة أن تكون المحاضرة في «أثر الدعوة في انتشار الإسلام» وقد أجبتهم إلي ذلك، ورأيت أن يكون العنوان ما سمعتم وهو فضل الدعوة. ومن هذا يعلم أن هذه المحاضرة ذات شقين: أحدهما: يتعلق بفضل الدعوة، والثاني: يتعلق بأثرها في انتشار الإسلام.

أما ما يتعلق بفضل الدعوة، فكل من له أدنى إلمام بالعلم، يعرف أن الدعوة شأنها عظيم، وهي مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام، والرسل عليهم الصلاة والسلام هم الأئمة في هذا الشأن، وهم الأئمة في الدعوة، وهي وظيفتهم. لأن الله جل وعلا بعثهم دعاة للحق، وهداة للخلق عليهم

الصلاة والسلام، فكفى الدعوة شرفا، وكفاها منزلة عظيمة أن تكون وظيفة الرسل وأتباعهم إلى يوم القيامة. قال الله تعالى في كتابه المبين: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فبين ﷻ أن الرسل جميعا بعثوا بهذا الأمر العظيم الدعوة إلى عبادة الله وحده، واجتناب الطاغوت.

والمعنى أنهم بعثوا لدعوة الناس إلى إفراد الله بالعبادة، وتخصيصه بها، دون كل ما سواه، وتحرير الناس من عبادة الطاغوت، إلى عبادة الله وحده.

والطاغوت كل ما عبد من دون الله من شجر وحجر، أما ما عبد من دون الله من الأنبياء والصالحين والملائكة فليس المعبود منهم طاغوتا، ولكن الطاغوت هو الشيطان الذي دعا إلى ذلك وزين ذلك، وإلا فالرسل والملائكة والصالحون يبرءون إلى الله ﷻ من عبادة من عبدهم. فالطاغوت كل ما عبد من دون الله من الجمادات، ومن العقلاء الذين يرضون بذلك كفرعون وأشباهه، أما من لا يرضى بذلك فالطاغوت هو الشيطان الذي دعا إلى عبادته وزينها.

وقال ﷻ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فبين ﷻ أن الرسل بعثوا مبشرين ومنذرين، مبشرين من أطاعهم بالنصر والتأييد والجنة والكرامة، ومنذرين من عصاهم بالخيبة والندامة والنار.

وفي بعثهم إقامة الحجة، وقطع المعذرة، حتى لا يقول قائل ما جاءنا من بشير ولا نذير فالله ﷻ بعث الرسل إقامة للحجة، وقطعا للمعذرة، وهداية للخلق، وبيانا للحق. وإرشادا للعباد إلى أسباب النجاة، وتحذيرا لهم من أسباب الهلاك عليهم الصلاة والسلام فهم خير الناس وأصلح الناس، وأنفع

الناس للناس، وقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ فأخبر سبحانه أنه بعث هذا الرسول الكريم محمدا عليه الصلاة والسلام شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله- فعلم بذلك أن وظيفة الدعوة إلى الله هي تبليغ الناس الحق، وإرشادهم إليه، وتحذيرهم مما يخالفه ويضاده. وهكذا أتباعهم إلى يوم القيامة. مهمتهم الدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى ما خلقوا له، وتحذيرهم من أسباب الهلاك، كما قال ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ فأمر الله نبيه أن يبلغ الناس أن سبيله التي هو عليها الدعوة إلى الله ﷻ، وهكذا أتباعه هم على ذلك.

والمعنى: قل يا محمد، أو قل يا أيها الرسول للناس: هذه سبيلي أنا ومن اتبعني. فعلم بذلك أن الرسل وأتباعهم هم أهل الدعوة، وهم أهل البصائر، فمن دعا على غير بصيرة فليس من أتباعهم، ومن أهمل الدعوة فليس من أتباعهم، وإنما أتباعهم على الحقيقة هم الدعاة إلى الله على بصيرة، يعني أتباعهم الكمل الصادقين الذين دعوا إلى الله على بصيرة، ولم يقصروا في ذلك، وعملوا بما يدعون إليه، وكل ما حصل من تقصير في الدعوة، أو في البصيرة كان نقصا في الاتباع، ونقصا في الإيمان وضعفا فيه، فالواجب على الداعية إلى الله ﷻ، أن يكون ذا بصيرة، أي ذا علم، فالدعوة على جهل لا تجوز أبدا، لأن الداعية إلى الله على جهل يضر ولا ينفع، ويخرب ولا يعمر، ويضل ولا يهدي، فالواجب على الدعاة إلى الله ﷻ التأسي بالرسل بالصبر والعلم والنشاط في الدعوة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾.

فالدعوة إلى الله ﷻ هي سبيل الرسل وطريقهم عليهم الصلاة والسلام، وفي ذلك غاية الشرف والفضل للدعاة أتباع الرسل، المقتدين بهم، السائرين

على منهاجهم عليهم الصلاة والسلام، ومن شرط ذلك أن يكون الداعية على بصيرة وعلم وبينة، بما يدعو إليه، ومما يحذر منه حتى لا يضر الناس، وحتى لا يدعو إلى ضلالة وهو لا يدري، أو يدعو إلى باطل وترك حق وهو لا يدري، حتى يكون على بينة ليعرف ما يدعو إليه، وما يدعو إلى تركه.

وقال ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ هذا الأمر العظيم وإن كان موجها إلى الرسول العظيم ﷺ، فهو أمر للأمة جميعا، وإن خوطب به النبي ﷺ فهو الأصل والأساس، وهو القدوة عليه الصلاة والسلام، ولكنه مع ذلك موجه للأمة جميعا، لأن القاعدة الشرعية أن أمته تابعة له في الأمر والنهي إلا ما دل الدليل على أنه خاص به عليه الصلاة والسلام.

فالدعوة إلى الله فرض كفاية على الجميع، وواجب على الجميع، قال الله جل وعلا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ فعلى المسلمين أن يتأسوا بنبيهم عليه الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله، والتوجيه إليه، وإرشاد العباد إلى أسباب النجاة، وتحذيرهم من أسباب الهلاك، وفي هذه الآية العظيمة بيان كيفية الدعوة وأسلوبها ونظامها وما ينبغي للداعي أن يكون عليه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ قال جماعة من علماء التفسير: معنى ذلك: بالآيات والأحاديث، يعني ادع إلى الله بآيات الله وبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام. لما فيها من الحكمة، ولما فيها من الفقه والردع والبيان والإيضاح والكلمة الحكيمة هي التي فيها الردع عن الباطل، والتوجيه إلى الخير، وفيها الإقناع والتوجيه إلى ما فيه السعادة.

فالداعي إلى الله جل وعلا، ينبغي له أن يتحرى في دعوته ما يقنع المدعو. ويوضح الحق. ويردعه عما يضره، بالأسلوب الحسن الطيب،

اللين الرقيق، ولهذا قال بعده: ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ فليكن الداعي ذا حكمة، وذا موعظة حسنة، عند الحاجة إليها، فهو يوضح الحق ويبينه، ويرشد إليه بالآيات والأحاديث الواضحة البينة الصحيحة، حتى لا يبقى شبهة للمدعو.

ومن الحكمة إيضاح المعنى وبيانه بالأساليب المؤثرة التي يفهمها المدعو وبلغته التي يفهمها حتى لا تبقى عنده شبهة. وحتى لا يخفى عليه الحق بسبب عدم البيان. أو بسبب عدم إقناعه بلغته. أو بسبب تعارض بعض الأدلة، وعدم بيان المرجح، فإذا كان هناك ما يوجب الموعظة وعظ وذكر بالآيات الزواجر، والأحاديث التي فيها الترغيب والترهيب. حتى ينتبه المدعو ويرق قلبه، وينقاد للحق.

فالمقام قد يحتاج فيه المدعو إلى موعظة وترغيب وترهيب على حسب حاله، وقد يكون مستعدا لقبول الحق، فعند أقل تنبيه يقبل الحق، وتكفيه الحكمة، وقد يكون عنده بعض التمنع وبعض الإعراض فيحتاج إلى موعظة وإلى توجيه، وإلى ذكر آيات الزجر والترغيب وأحاديث الزجر والترغيب والترهيب حتى يلين قلبه، ويقبل الحق.

وقد يكون عنده شبه فيحتاج إلى جدال بالتي هي أحسن. حتى تزاح الشبهة، ويتضح الحق ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

فإذا كان المدعو عنده بعض الشبه. فعليك أيها الداعي أن توضح الحق بدلائله. وأن تزيح الشبهة بالدلائل التي تزيحها، حتى يبقى معك المدعو على أمر بين واضح، وليكن هذا بالتي هي أحسن؛ لأن العنف والشدة قد يضيعان الفائدة. وقد يقسو قلب المدعو بسبب ذلك ويحصل له به الإعراض والتكبر عن القبول فعليك بالرفق والجدال بالتي هي أحسن حتى يقبل منك الحق، وحتى لا تضيع الفرصة. وتذهب الفائدة سدى. بسبب العنف

والشدة، ما دام صاحبك يريد منك الحق. ولم يظلم ولم يتعد. أما عند الظلم والتعدي فله نهج آخر. وسبيل آخر، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾.

فإذا كان أهل الكتاب يجادلون بالتي هي أحسن، فالمسلمون من باب أولى أن يجادلوا بالتي هي أحسن، لكن من ظلم ينتقل معه إلى شيء آخر، فقد يستحق الظالم الزجر، والتوبيخ، وقد يستحق التأديب والسجن، إلى غير ذلك على حسب ظلمه.

والآيات في فضل الدعوة، والحث عليها كثيرة، ولكن من أهم ذلك وأوضحه ما بينا. ومن هذا قوله ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ ففي هذه الآية الكريمة بيان أنه لا أحسن قولا ممن دعا إلى الله، وفي ذلك غاية الحث على الدعوة، وغاية التحريض عليها، إذا كان لا أحسن قولا. ممن دعا إلى الله، فحقيق بالمؤمن.

وحقيق بطالب العلم أن يبادر ويسارع إلى هذا المقام العظيم، مقام الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو الدعوة إلى الله والإرشاد إلى دينه الحق، وهذه الطائفة رأسها وأئمتها الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهم أحسن الناس قولا، وهم أئمة الهدى والدعوة، وهم أولى الناس بالدخول في هذه الآية الكريمة، لأنهم القدوة والأساس في الدعوة إلى الله ﷻ عليهم الصلاة والسلام. ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ هذه الآية العظيمة تبين لنا أن الداعي إلى الله ﷻ ينبغي أن يكون ذا عمل صالح يدعو إلى الله بلسانه.

ويدعو إلى الله بأفعاله أيضا، ولهذا قال بعده ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فالداعي إلى الله ﷻ يكون داعية باللسان، وداعية بالعمل، ولا أحسن قولا من هذا الصنف من الناس، هم الدعاة إلى الله بأقوالهم الطيبة. وهم يوجهون الناس بالأقوال والأعمال. فصاروا قدوة صالحة في أقوالهم وأعمالهم وسيرتهم. وهكذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام، دعاة إلى الله بالأقوال والأعمال والسيرة، وكثير من المدعوين ينتفعون بالسيرة أكثر مما ينتفعون بالأقوال ولا سيما العامة وأرباب العلوم القاصرة فإنهم ينتفعون من السيرة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ما لا ينتفعون من الأقوال التي قد لا يفهمونها.

فالداعي إلى الله ﷻ من أهم المهمات في حقه أن يكون ذا سيرة حسنة وذا عمل صالح وذا خلق فاضل حتى يقتدى بفعاله وأقواله وسيرته. ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ يعني الداعي يصرح بما هو عليه ويبين أنه على المنهج الأسمى، على الحق، يقول هذا معتزا به فرحا به مغتبطا به لا مرائيا ولا مفاخرا ولكنه مبين للحق يقول إني على صراط مستقيم، أنا من المسلمين، لست نصرانيا ولا يهوديا ولا وثنيا ولكنني مسلم حنيف أدعو إلى الله على بصيرة أدعو إلى ديني، أدعو إلى الحق، ويقول هذا عن اغتباط، وعن سرور، وعن اعتراف صادق، وعن إيمان بما يدعو إليه حتى يعلم المدعوون أنه على بينة، وأنه على طريق واضح ومنهج صحيح وأنه إذا دعا ألد الإسلام فإنه يدعو إليه وهو من أهله، ليس يدعو إليه وهو من غير أهله بل هو يدعو إليه وهو عليه آخذ به ملتزم به.

وكثير من الدعاة قد يدعون إلى شيء وهم على خلافه، لكن دعوا إليه إما لمال أخذوه وإما رياء وإما لأسباب أخرى لكن الداعي الصادق إلى الله يدعوا إلى الإسلام لأنه دينه ولأنه الحق الذي لا يجوز غيره، ولأنه سبيل

النجاة وسبيل العزة والكرامة ولأنه دين الله الذي لا يرضى سواه سجانه وتعالى. فهذه الآية العظيمة فيها الحث والتحريض على الدعوة إلى الله ﷻ وبيان منزلة الدعاة وأنهم أحسن الناس قولا إذا صدقوا في قولهم وعملوا الصالحات وهم أحسن الناس قولا ولا أحد أحسن منهم قولا أبدا وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم أتباعهم على بصيرة إلى يوم القيامة.

ومن الدعاة إلى الله الداخلين في هذه الآية المؤذنون فإنهم دعاة إلى الله ينادون على رءوس الأشهاد بتكبير الله وتعظيمه والشهادة له بالوحدانية ولنبيه بالرسالة عليه الصلاة والسلام، فهم من الدعاة إلى الله وهم داخلون في هذه الآية الكريمة.

ومما صح في السنة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في شأن الدعوة وفضلها قوله عليه الصلاة والسلام لما بعث عليا رضي الله عنه إلى خيبر قال: «**ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**»متفق عليه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

أقسم عليه الصلاة والسلام وهو الصادق وإن لم يقسم أن هداية رجل واحد على يد علي رضي الله عنه خير له من حمر النعم فدل ذلك على أن الدعوة إلى الله شأنها عظيم وأنها منزلة عظمى. وفي هذا بيان أن المقصود من الدعوة والجهاد ليس قتل الناس ولا أخذ أموالهم ولكن المقصود هدايتهم وإنقاذهم مما هم فيه من الباطل وإخراجهم من الظلمات إلى النور وانتشالهم من وهذه الضلالة وأوحال الرذيلة إلى عز الهدى وشرف التقوى. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**والله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**»

وفيه من الفوائد حث الغزاة وأئمة الغزو على التريث وعدم العجلة في القتال وأن يجتهدوا في الدعوة وإرشاد المدعوين وتنبيههم على أسباب النجاة لعلهم يرجعون ويجيبون الداعي، ولعلهم يتركون القتال ويدخلون في دين الله ﷻ، فليس مقصود المسلمين ولا مقصود الإسلام والجهاد القتل وسبي النساء والذرية والأموال، وإنما المقصود من ذلك هداية الناس وإرشادهم إلى الحق الذي خلقوا له كما سبق، فإذا امتنعوا وأصروا ولم يقبلوا الحق بعد ذلك فالجهاد يفر إليه عند الحاجة أما إذا كفت الدعوة وقبلوا الحق فلا حاجة إلى الجهاد، وإنما يصار إليه عند امتناع المدعو وعدم قبوله الحق فعند هذا شرع الله الجهاد بالسلاح لقمع المبطلين وإزاحتهم عن طريق الدعوة، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور وفتح الطريق أمام الدعوة إلى الله ﷻ حتى ينتشر الإسلام في أرض الله.

وفيه من الفوائد أيضا الدلالة على أن هداية واحد خير من حمر النعم، يعني: أن الهداية لواحد من الكفار على يدك أيها الداعي أو أيها الأمير فيه خير عظيم وفضل كبير. قال بعض الأئمة: معنى ذلك خير من الدنيا وما عليها؛ لأن الدنيا زائلة والآخرة باقية فخيرها ولو كان قليلا خير من الدنيا وما عليها، ولهذا قال ﷺ: «موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها». وإنما ذكر ﷺ حمر النعم لأن حمر النعم، أنفس أموال العرب وأرفعها عندهم فمثل بها، وإلا فالمقصود أن هداية رجل واحد أو أكثر من ذلك خير من الدنيا وحطامها الزائل الفاني.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» أخرجه مسلم في الصحيح وهو يدل على أن من دعا إلى الخير وأرشد إليه كان له مثل أجر فاعله، وهذه فضيلة عظيمة للدعوة وشرف عظيم للدعاة أن الله ﷻ يعطيهم مثل أجور من هداه الله على أيديهم.

فيا له من خير ويا له من فضل ويا لها من منزلة. فيا أخي ادع إلى ربك وإلى دينك وإلى اتباع نبيك عليه الصلاة والسلام يحصل لك مثل أجور من هداه الله على يديك هذه مزية عظيمة وفضل كبير وفي ذلك حث وتحريض للدعاة على الدعوة والصبر عليها إذا كنت تحصل بذلك على مثل أجور من هداه الله على يدك فحقيق بك أن تشمر وأن تسارع إلى الدعوة وأن تصبر عليها وفي هذا خير عظيم وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم أيضا في الصحيح «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا**» وهذا أيضا فضل عظيم: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه**» وهذا مثل ما تقدم في حديث: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**».

وهذه الأحاديث وما جاء في معناها فيها الحث والتحريض على الدعوة وبيان فضلها وأنها في منزلة عظيمة من الإسلام وأنها وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وقد بعث الله تعالى الرسل جميعا دعاة لله ﷻ ومبشرين بدينه ومنذرين من عصاه فحقيق بك أيها المؤمن أن تسير على منهاجهم الصالح، وأن تستمر على طريقهم الواضح بالدعوة إلى الله والتبشير بدينه، والتحذير من خلافه، وإنما يتم هذا الفضل ويحصل هذا الخير ويتضاعف، بالصبر والإخلاص والصدق فمن ضعف صبره أو ضعف صدقه أو ضعف إخلاصه لا يستقيم مع هذا الأمر العظيم.

ولا يحصل به المطلوب كما ينبغي، فالمقام يحتاج إلى إخلاص فالمرائي ينهار ولا يثبت عند الشدائد، ويحتاج إلى صبر فذو الملل وذو الكسل لا يحصل به المقصود على التمام، فالمقام يحتاج إلى إخلاص وإلى صدق وإلى صبر، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ وكما قال

سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ وقال ﷻ: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

فلا بد من الصدق كما قال ﷻ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ﴾ ولا بد من الصبر كما قال جل وعلا: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وكما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يُوقِنُونَ فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. فالدعاة إلى الله ﷻ إذا صبروا وصدقوا وكانت دعوتهم على علم وعلى بصيرة، صاروا أئمة للناس يقتدى بهم في الشدة والرخاء، والعسر واليسر، كما سبق في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

فعليك يا عبد الله بالصبر على دعوتك وإيمانك وعملك الصالح وعليك باليقين في أعمالك. كن على بصيرة. تعلم وتفقه وتثقف في الدين وكن على بينة في أمورك حتى تكون دعوتك عن صبر وعن يقين، وبهذا تكون إماما يقتدى به. وتكون إماما وقدوة وأسوة صالحة في أعمالك الطيبة وسيرتك الحسنة، وبهذا ينتهي الكلام على فضل الدعوة وهو الشق الأول.

أما الشق الثاني: وهو أثرها في انتشار الإسلام. فنقول إن الله جل وعلا بعث الرسل كما سبق عليهم الصلاة والسلام دعاة للحق وهداة للخلق ولم يبلغنا أن الرسل الأولين كانوا يجاهدون على دعوتهم، وإنما ذكر الله الجهاد بعد بعث موسى عليه الصلاة والسلام.

ومن وقت آدم إلى نزول التوراة كان الرسل دعاة فقط ليس هناك جهاد فانتشر الإسلام بالدعوة والبيان والكتب المنزلة من السماء فكان الرسل عليهم الصلاة والسلام يدعون إلى الله وينذرون الناس فانتشر دينهم وإسلامهم بالدعوة من عهد آدم إلى أن بعث الله موسى عليه الصلاة والسلام.

والإسلام هو دين الله، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ فهو دين الله لجميع المرسلين وجميع الأمم كما قال ﷻ عن نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وهو أول الرسل وقال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام عشرة قرون كلهم على الإسلام حتى وقع الشرك في قوم نوح وقال جل وعلا في قصة إبراهيم وإسماعيل وهما يعمران الكعبة: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ فطلبا أن يكونا مسلمين.

وقال في قصة يوسف: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وقال في قصة موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ وقال عن بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فالدين عند الله هو الإسلام، ولكن الله بعث محمدا عليه الصلاة والسلام بأكمله وأتمه، بعثه بالإسلام وبشريعة كاملة في الإسلام، فالذي بعث الله به محمدا ﷺ هو أكمل الدين وأتمه، بعثه بالإسلام الذي هو دين الله وبعثه بشريعة كاملة صالحة لجميع الزمان والمكان حتى تقوم الساعة.

أما ما بعث الله به الأنبياء الماضين فهو دين الإسلام ولكن بشرائع خاصة لأقوامهم خاصة، شرائع خاصة لأقوامهم، كل رسول بعثه الله إلى قومه بشريعة خاصة والدين هو الإسلام، وهو توحيد الله كما قال ﷻ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ فكل أمة بعث إليها رسول ليدعوهم إلى الإسلام، والاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، فكل رسول بعثه الله بهذا الإسلام وهو دين الله وتوحيده بإفراده بالعبادة، وترك عبادة ما سواه وبعث معه شريعة خاصة تلائم

زمانه وتناسب وقته وقومه حتى ختم الله جل وعلا الشرائع والنبوات ببعث محمد عليه الصلاة والسلام وبشريعة كاملة ودين شامل ونظام عام لجميع الأمة في حاضرها وقت نزول القرآن وفي مستقبلها إلى يوم القيامة. وجعله دينا شاملا لجميع الشئون؛ شئون الدين والدنيا، شئون العبادة وشئون المعاملة، وشئون الأحوال الشخصية وشئون الجنايات، وغير ذلك في جميع الأمور جعله دينا شاملا منظما لجميع مصالح العباد، منظما لجميع ما يحتاجون إليه في شئونهم العاجلة والآجلة مفصلا لكل ما يتطلبه العاقل وتقتضيه الحاجة.

وبهذا يعلم أن انتشار الإسلام في عهد آدم وما بعده وعهد نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وهو إسرائيل ويوسف عليهم الصلاة والسلام جميعا والأنبياء بعدهم كان بالدعوة: انتشر الإسلام بالدعوة وظهر بالدعوة. كان الرسل يدعون وهكذا أنصارهم وأتباعهم يدعون إلى الله جل وعلا.

فانتشر الإسلام في أممهم بالدعوة لا بالجهاد ولا بالسيف فلم يذكر الله في كتابه العزيز عن أولئك أنهم جاهدوا بالسيف وإنما دعوا إلى الله وأنذروا الناس وبشروهم فقبل الدعوة من هداه الله وأباها من سبقت له الشقاوة نعوذ بالله من ذلك.

وكانت الأمم قبل موسى عليه الصلاة والسلام إذا عاندوا الرسول وأبوا اتباعه جاءهم العذاب فأهلكوا عن آخرهم إلا من آمن بالله. فآدم عليه الصلاة والسلام ومن كان في زمانه من ذريته إلى عهد نوح كانوا على الإسلام والهدى ولا يلزم من ذلك أن لا يكون فيهم معصية فقد عصى قابيل وقتل أخاه هابيل بغير حق ولكنهما كانا على الإسلام.

ثم زين الشيطان لقوم نوح الغلو في الصالحين في قالب المحبة لهم ودعاهم إلى تصوير صورهم ونصبها في مجالسهم، ثم بعد ذلك زين لمن بعدهم التعلق بها وعبادتها حتى وقع الشرك في قوم نوح بسبب الغلو في الصالحين وتصوير الصور والابتداع في الدين.

ولهذا حذر الرسول عليه الصلاة والسلام من الصور وحذر من البدع لأن البدع والصور من وسائل الشرك نسأل الله العافية، ولما أخبرته أم حبيبة وأم سلمة بالكنيسة التي رأتاها في الحبشة وما فيها من الصور، قال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله**». فأخبر عليه الصلاة والسلام أنهم شرار الخلق بسبب غلوهم في صالحيهم باتخاذ المساجد على قبورهم وتصوير الصور عليها وهكذا وقع في قوم نوح فالإسلام انتشر بالدعوة فلما أبى قوم نوح إلا العناد والشرك ولم يستجيبوا لداعيهم نوح عليه الصلاة والسلام ألف سنة إلا خمسين عاما أرسل الله عليهم الطوفان فأهلكهم عن آخرهم بالغرق إلا من كان مع نوح في السفينة، نسأل الله العافية.

وقوم هود هلكوا بريح عقيم وقوم صالح بالرجفة والصيحة حتى هلكوا عن آخرهم، هكذا عاقب الله كثيرا من الأمم بأنواع من العقوبات بسبب كفرهم وضلالهم وامتناعهم عن قبول الدعوة الإسلامية.

ثم شرع الجهاد في عهد موسى عليه الصلاة والسلام لنصر الحق وقمع الباطل، ثم شرع الله الجهاد على يد نبينا محمد ﷺ على الوجه الأكمل، ونبينا عليه الصلاة والسلام لما بعثه الله مكث في مكة بضعة عشر عاما يدعو إلى الله ﷻ ولم يكن هناك جهاد بالسيف ولكنه الدعوة والتبشير بالإسلام.

وقد أنكر قومه دعوته وآذوه وآذوا أصحابه ولكنه صبر على ذلك عليه الصلاة والسلام وكان مستترا بها أولا ثم أمره الله بالصدع فأظهر الدعوة وصبر على الأذى وهكذا أصحابه.

وكان من السابقين إلى ذلك أبو بكر الصديق ﷺ سبق إلى الإسلام والدعوة، وخديجة ﷺ وعلي ﷺ، وزيد بن حارثة، هؤلاء الأربعة هم السابقون إلى الإسلام والدعوة، ثم تابعهم الناس، وكان الصديق ﷺ شريفا في قومه معظما مألوفا ذا معروف وإحسان وذا تجارة ومال، وذا خلق كريم، فكان يدعو إلى الله سرا ويبشر بالإسلام حتى أسلم على يديه جم غفير منهم عثمان ﷺ والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله رضي الله عن الجميع. وأسلم جم غفير في مكة بالدعوة لا بقهر ولا بجهاد ولكن بالدعوة والتوجيه وقراءة القرآن وشرح محاسن الإسلام، وكان الرسول ﷺ يدعو ويقرأ عليهم القرآن ويبين لهم ما أشكل عليهم فيتقبلون الحق ويرضون به ويدخلون في دين الله جل وعلا.

ثم انتشر الإسلام والدعوة إليه في القبائل والبادية والقرى المجاورة لمكة بسبب الدعوة، وبسبب ما يسمعونه من الصحابة الذين أسلموا وأجابوا النبي عليه الصلاة والسلام وكان النبي عليه الصلاة والسلام يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج كل عام يطلب منهم أن يجيبوه وأن يؤوه وأن ينصروه حتى يبلغ رسالة ربه عليه الصلاة والسلام فلم يقدر الله سبحانه ذلك إلا للأنصار ﷺم وأرضاهم فأجابه الأنصار واجتمعوا به عند الجمرة في المرة الأولى وكانوا ستة دعاهم إلى الإسلام فأجابوا وقبلوا الحق وصاروا رسلا إلى قومهم فذهبوا إلى المدينة ودعوا إلى الله ﷻ، وبشروا بالإسلام فأجاب إلى الإسلام منهم بشر كثير ثم قدم منهم في السنة الثانية اثنا عشر منهم الستة

الأقدمون ومن جملتهم أسعد بن زرارة ﷺ وجماعة كانوا من الخزرج سوى اثنين من الأوس وقيل ثلاثة فاجتمعوا به عليه الصلاة والسلام أيضا في وسط أيام التشريق وتلا عليهم القرآن وبايعوه على الإسلام ثم رجعوا إلى بلادهم فدعوا إلى الله ﷻ وانتشر الإسلام في بيوت الأنصار إلا قليلا، منهم ودخل في دين الله جم غفير من الأنصار، ثم تعاقدوا على أن يطلبوا من النبي على أن يهاجر إليهم وأن ينقذوه من حال المشركين وأذاهم.

وكان قد بعث إليهم عليه الصلاة والسلام مصعب بن عمير بعد البيعة الأولى فكان يعلم ويرشد في المدينة، فكان يعلم الناس ويرشدهم، وأسلم على يديه جماعة كثيرة وانتشر الإسلام بسبب ذلك، ومن جملة من أسلم على يديه سيد الأوس سعد بن معاذ، والسيد الثاني من الأوس أسيد بن الحضير، وبسبب إسلامهما انتشر الإسلام في الأوس، وبسبب إسلام أسعد بن زرارة هو وسعد ابن عبادة وجماعة من الخزرج انتشر الإسلام في الخزرج وظهر دين الله هناك ثم قدموا في السنة الثالثة قدم منهم سبعون رجلا من الأنصار، وقيل ثلاثة وسبعون وبايعوا النبي ﷺ على الإسلام والنصرة والإيواء، وتم ذلك بحضرة عمه العباس ﷺ، ثم شرع المسلمون في الهجرة إلى المدينة بإذنه عليه الصلاة والسلام، ثم هاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة وقام بالدعوة إلى الله هناك ونشر الإسلام، وهكذا المسلمون الذين أسلموا من الحاضرة والبادية نشروا الإسلام بالدعوة ومن جملتهم أبو ذر الغفاري وعمرو بن عبسة السلمي وغيرهما .

ثم شرع الله الجهاد على أطوار ثلاثة: أولا: أذن فيه، ثم أمروا أن يقاتلوا من قاتلهم ويكفوا عمن كف عنهم ثم شرع الله الجهاد العام طلبا ودفاعا، وهذه الأطوار باقية على حسب ضعف المسلمين وقوتهم فإذا قوي المسلمون

وجب عليهم الجهاد طلبا ودفاعا وإذا ضعفوا عن ذلك وجب عليهم الدفاع وسقط عنهم الطلب حتى يقدروا ويستطيعوا.

والمقصود من الجهاد كما تقدم هو نشر الإسلام وإخراج الناس من الظلمات إلى النور وإزاحة العقبات من طريق الدعوة والقضاء على العناصر الفاسدة التي تمنع الدعوة وتحول بين الدعاة إلى الله وتبيين مقاصدهم الطيبة ولهذا شرع الله الجهاد لإزاحة العراقيل عن طريق الدعوة.

ولإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وانتشالهم من الباطل إلى الحق والهدى، وإخراجهم من ظلم الأديان وضيق الدنيا إلى سعة الإسلام وعدل الإسلام، ومضى على ذلك نبي الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام وأتباعهم بإحسان حتى ظهر دين الله وانتشر الحق بالدعوة الصحيحة الإسلامية.

وبالجهاد الذي يناصرها ويؤيدها إذا وقف في طريقها أحد، حتى أزاحوا الروم عن الشام واستولوا على مملكة الفرس، وانتشر الإسلام في اليمن وغيره من أنحاء الجزيرة العربية بسبب الدعوة إلى الله والجهاد الصادق في سبيل الله، وأزيحت العقبات عن طريق الدعوة.

وبهذا يعلم أن انتشار الإسلام بالدعوة كان هو الأساس وهو الأصل، وأما الجهاد بالسيف فكان منفذا للحق وقامعا للفساد عند وجود المعارضين الواقفين في طريق الدعوة. وبالجهاد والدعوة فتحت الفتوحات بسبب أن أكثر الخلق لا يقبل الدعوة بمجردها لمخالفتها لهواه، ولما في نفسه من حب للشهوات المحرمة ورياسته الفاسدة الظالمة فجاء الجهاد يقمع هؤلاء ويزيحهم عن مناصبهم التي كانوا فيها عقبة كأداء في طريق الدعوة، فالجهاد مناصر للدعوة ومحقق لمقاصدها ومعين للدعاة على أداء واجبهم.

والدعوة إلى الله ﷻ على حالين: إحداهما: فرض عين والثانية: فرض كفاية فهي فرض عين عند عدم وجود من يقوم باللازم كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كنت في بلد أو قبيلة أو منطقة من المناطق ليس فيها من يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأنت عندك علم فإنه يجب عليك عينا أن تقوم بالدعوة وترشد الناس إلى حق الله وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر.

أما إذا وجد من يقوم بالدعوة ويبلغ الناس ويرشدهم فإنها تكون في حق الباقين العارفين بالشرع سنة لا فرضا، وهكذا الجهاد كله، فرض كفاية عند وجود من يكفي، فيسقط الجهاد والأمر والنهي والدعوة عن الباقين ويكون في حقهم سنة مؤكدة، وعند عدم وجود من يكفي يتعين الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله عليك حسب طاقتك وحسب إمكانك كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وقال جل وعلا: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وقد قام الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم بالدعوة والجهاد بعد نبيهم عليه الصلاة والسلام قياما عظيما، فأبو موسى ومعاذ وعلي رضي الله عنهم بعثوا إلى اليمن في حياة النبي ﷺ فقاموا بالدعوة هناك ثم رجع معاذ في عهد الصديق ورجع علي وأبو موسى في حجة الوداع، فقام خلفاؤهم بالدعوة هناك ونشر الإسلام.

وقام الصحابة الذين سافروا إلى العراق والشام بالدعوة إلى الله هناك ونشر الإسلام، ثم بعد وفاة النبي ﷺ قاموا بالدعوة والجهاد والتعليم والتفقيه في الشام والعراق واليمن ومصر وغير ذلك، وفي شرق وشمال أفريقيا ثم لم تزل الدعوة تنتشر في أفريقيا كلها، وفي الشرق والغرب كله حتى ظهرت الدعوة وانتشرت في أقصى المغرب والمشرق.

وفي وقتنا هذا ضعف أمر الجهاد لما تغير المسلمون وتفرقوا وصارت القوة والسلاح بيد عدونا وصار المسلمون الآن إلا من شاء الله لا يهتمون إلا بمناصبهم وشهواتهم العاجلة وحظهم العاجل ولا حول ولا قوة إلا بالله. فلم يبق في هذه العصور إلا الدعوة إلى الله ﷻ والتوجيه إليه.

وقد انتشر الإسلام بالدعوة في هذه العصور في أماكن كثيرة في أفريقيا شرقها وغربها ووسطها وفي أوربا، وفي أمريكا وفي اليابان، وفي كوريا، وفي غير ذلك من أنحاء آسيا، وكل هذا بسبب الدعوة إلى الله بعضها على أيدي التجار وبعضها على أيدي من قام بالدعوة وسافر لأجلها وتخصص لها.

وبهذا يعلم طالب العلم ومن آتاه الله بصيرة أن الدعوة إلى الله ﷻ من أهم المهمات وأن واجبها اليوم عظيم لأن الجهاد اليوم مفقود في غالب المعمورة والناس في أشد الحاجة إلى الدعاة والمرشدين على ضوء الكتاب والسنة فالواجب على أهل العلم أينما كانوا أن يبلغوا دعوة الله وأن يصبروا على ذلك وأن تكون دعوتهم نابعة من كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة عليه الصلاة والسلام وعلى طريق الرسول وأصحابه ومنهج السلف الصالح رضي الله عنهم وأهم ذلك وأعظمه الدعوة إلى توحيد الله وتخليص القلوب من الشرك والخرافات والبدع لأن الناس ابتلوا بالبدع والخرافات إلا من رحم الله فيجب على الداعية أن يهتم بتنقية العقيدة وتخليصها مما شابها من خرافات وبدع وشركيات، كما يقوم بنشر الإسلام بجميع أحكامه وأخلاقه، والطريق إلى ذلك هو تفقيه الناس في القرآن والسنة، فالقرآن هو الأصل الأصيل في دعوة الناس إلى الخير ثم السنة بعد ذلك تفسر القرآن.

وتدل عليه، وتعبر عنه، وتوضح معناه وتبينه، وخلق النبي ﷺ يجب أن يتأسى المسلمون به ويقتدوا به عليه الصلاة والسلام، قال الله جل وعلا:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ قالت عائشة ﵂: «كان خلقه القرآن» فالداعية إلى الله ينبغي له أن يهتم بالقرآن الكريم وأن يعنى به تلاوة وتدبرا وقراءة على الناس وتوجيها لهم إليه حتى يدرسوه ويتعلموه ويعملوا به، وهكذا السنة يعلمهم إياها ويبشرهم بها ويحثهم عليها ويوضح سيرة النبي ﷺ، وسيرة أصحابه حتى يسيروا على طريقهم الصالح وعلى نهجهم الطيب، وهذا هو الطريق والسبيل إلى نشر الإسلام وتخليص الناس من الشرك والخرافات والبدع وهو دعوتهم إلى الله وإرشادهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن على ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والطريقة السلفية التي سار عليها رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وسار عليها أصحابه الكرام وأتباعهم بإحسان.

وأسأل الله ﷻ أن يوفقنا جميعا لما فيه رضاه، وأن يهدينا صراطه المستقيم وأن يمن علينا وعلى المسلمين جميعا بسلوك طريق نبينا محمد ﷺ وطريق أصحابه والثبات عليه والدعوة إليه والذب عنه والتحذير من خلافه.

كما نسأله سبحانه أن يصلح ولاة أمر المسلمين وأن يمن عليهم بالتوفيق والهداية وأن يجمعهم وشعوبهم على الحق والهدى وأن ينصر بهم الحق ويخذل بهم الباطل وأن يقيم بهم علم الجهاد لنصر دين الله، الجهاد الصالح الشرعي حتى يكونوا دعاة إلى الله ومرشدين إليه ﷻ إنه جل وعلا جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

۞ ۞ ۞

الدعوة إلى الله
وأثرها في المجتمع

سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله باز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلقد رفع الله شأن الدعاة إليه وأبلغ في الثناء عليهم، حيث يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ ولا ريب أن هذا الثناء يحفز الهمم ويلهب الشعور ويخفف عبء الدعوة ويدعو إلى الانطلاق في سبيلها بكل نشاط وقوة. وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري رحمه الله أنه تلا هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية.

فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته، وقال إنني من المسلمين. هذا خليفة الله. انتهى.

ولا ريب أن الرسل عليهم الصلاة والسلام هم سادة الناس في الدعوة وهم أولى الناس بهذه الصفات الجليلة التي ذكرها الحسن رحمه الله وأولاهم بذلك وأحقهم به على التمام والكمال. إمامهم وسيدهم وأفضلهم وخاتمهم نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ الذي بلغ الرسالة وأدى

الأمانة وصبر على الدعوة إلى ربه أتم صبر وأكمله، حتى أظهر الله به الدين وأتم به النعمة ودخل الناس بسبب دعوته في دين الله أفواجا.

ثم سار أصحابه الكرام بعده على هذا السبيل العظيم والصراط المستقيم فصدقوا الدعوة ونشروا لواء الإسلام في غالب المعمورة، لكمال صدقهم وعظيم جهادهم وصبرهم على الدعوة والجهاد صبرا لا يعتريه ضعف أو فتور، وتحقيقهم الدعوة والجهاد بالعمل في جميع الأحوال، فضربوا بذلك للناس بعد الرسل أروع الأمثال وأصدقها في الدعوة والجهاد والعلم النافع والعمل الصالح، وبذلك انتصروا على أعدائهم وبلغوا مرادهم وحازوا قصب السبق في كل ميدان.

وهم أولى الناس بعد الرسل بالثناء والصفات السالفة التي ذكرها الحسن، وكل من سار على سبيلهم وصبر على الدعوة إلى الله، وبذل فيها وسعه فله نصيبه من هذا الثناء الجزيل الذي دلت عليه الآية الكريمة والصفات الحميدة التي وصف بها الحسن الدعاة إلى الحق، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: **«من دل على خير فله مثل أجر فاعله»** وقال عليه الصلاة والسلام: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»** خرجهما مسلم في صحيحه.

وقال لعلي رضي الله عنه لما بعثه إلى خيبر: **«فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»** متفق على صحته.

وفي هذه الأحاديث وما جاء في معناها تنبيه للدعاة إلى الله والمجاهدين في سبيله على أن المقصود من الجهاد والدعوة إلى الله سبحانه هو هداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور وانتشالهم من وهذه الشرك وعبادة

الخلق إلى عز الإيمان ورفعة الإسلام وعبادة الإله الحق الواحد الأحد الذي لا تصلح العبادة لغيره ولا يستحقها سواه ﷻ.

وليس المقصود من الدعوة والجهاد هو سفك الدماء وأخذ المال واسترقاق النساء والذرية وإنما يجيء ذلك بالعرض لا بالقصد الأول، وذلك عند امتناع الكفار من قبول الحق وإصرارهم على الكفر وعدم إذعانهم للصغار وبذل الجزية حيث قبلت منهم فعند ذلك شرع الله للمسلمين قتالهم واغتنام أموالهم واسترقاق نسائهم وذرياتهم، ليستعينوا بهم على طاعة الله ويعلموهم شرع الله، وينقذوهم من موجبات العذاب والشقاء ويريحوا أهل الإسلام من كيد المقاتلة وعدوانهم ووقوفهم حجر عثرة في طريق انتشار الإسلام ووصوله إلى القلوب والشعوب.

ولا ريب أن هذا من أعظم محاسن الإسلام التي يشهد له بها أهل الإنصاف والبصيرة من أبنائه وأعدائه، وذلك من رحمة الله الحكيم العليم الذي جعل هذا الدين الإسلامي دين رحمة وإحسان وعدل ومساواة يصلح لكل زمان ومكان ويفوق كل قانون ونظام.

ولو جمعت عقول البشر كلهم وتعاضدوا على أن يأتوا بمثله أو أحسن منه لم يستطيعوا إلى ذلك من سبيل، فسبحان الذي شرعه ما أحكمه وأعدله، وما أعلمه بمصالح عباده، وما أبعد تعاليمه من السفه والعبث وما أقربها من العقول الصحيحة والفطر السليمة.

فيا أيها الأخ المسلم، ويا أيها العاقل الراغب في الحق تدبر كتاب ربك وسنة نبيك ﷺ وادرس ما دل عليه من التعاليم القويمة والأحكام الرشيدة والأخلاق الفاضلة تجد ما يشفي قلبك ويروي غلتك ويشرح صدرك ويهديك إلى سواء السبيل.

ونسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، ويفقههم في الدين، وينصر بهم الحق، وأن يوفق ولاة أمرهم لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد، وأن يعينهم على القيام بالدعوة إليه على بصيرة إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،
العدد الثاني، السنة الثانية، شوال عام ١٣٨٩هـ.



الدعوة بين الغلو والتفريط

الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، أرسله الله -تعالى- بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

سأتحدث أيها الأخوة عن موضوع هام يهم جميع المسلمين، لا في بلادنا هذه ولكن في بلادنا وبلاد عامة المسلمين؛ ألا هو الدعوة إلى الله ﷻ، فإن الدعوة إلى الله أحد أركان الأعمال الصالحة التي لا يكون الربح إلا بها، كما قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾، فإن التواصي بالحق يلزم منه الدعوة إلى الحق، والتواصي بالصبر يلزم منه الدعوة إلى الصبر على دين الله ﷻ في أصوله وفروعه.

إن الدعوة إلى الله تحتاج إلى علم؛ لأن هذا هو الطريق الذي كان عليه النبي ﷺ، كما أمر الله نبيه أن يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾، فلا يمكن لأي

داعية أن تنجح دعوته وأن تكون موافقة لما كان عليه النبي ﷺ وأن يكون محققًا لاتباع النبي ﷺ إلا إذا كانت الدعوةُ مبنيةً على بصيرة.

وتأمل قوله تعالى: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ ففيها شرطان مهمان:

الأول: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ لأن من الدعاة مَن لا يُخلص في دعوته إلى الله، مَن يدعو إلى حدود نفسه، مَن يدعو الناس ليكونَ مشهورًا بينهم، ويطلب التعظيم بين الناس، ويطلب المدح والثناء على دعوته، ومن الدعاة مَن يدعو إلى الله تعالى ظاهرًا؛ ولكنه يريد أن ينتصر قولُه سواء كان حقًا أم باطلًا؛ ولذلك تجده يجادل فيما يدعو إليه وإن كان باطلًا؛ ليحقق الانتصار الذاتي النفسي، وهذا في الحقيقة لا يكون داعيًا إلى الله، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ وهذا هو شرط الإخلاص أن يكون الإنسان قاصدًا بدعوته إلى الله ﷻ نفعَ عباد الله، وتوجيههم إلى شريعة الله.

أما الأمر الثاني الذي تضمنته هذه الآية أو الشرط الثاني فهو أن يكون ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ على بصيرة في ماذا؟ على بصيرة في دين الله بأن يكون عنده علمٌ لما يدعو إليه، على بصيرة في وسيلة الدعوة بأن يكون عنده حكمة في كيفية إيصال الدعوة أو حكمة في إيصال الدعوة إلى الناس، يُنَزِّلُ الناسَ منازلَهم، على بصيرة في أحوال من يدعوهم إلى الله ﷻ.

فهاهنا ثلاثة أمور: بصيرة في شريعة الله، وبصيرة في كيفية إيصال الشرع إلى عباد الله، وبصيرة في أحوال من يدعوهم.

ولهذا لما وجه النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: **«إنك ستأتي قومًا أهل كتاب؛ فأخبره بحالهم لينزلهم في الدعوة إلى الله منازلهم، فلا بد من أن يكون الإنسان على بصيرة في هذه الأمور الثلاثة، فإن كان على غير بصيرة في**

دين الله فمقتضى ذلك أن يدعو إلى الله تعالى بجهل، والدعاء إلى الله تعالى بجهل إفساده أكثر من إصلاحه، أي أن الداعي إلى الله تعالى بجهل يفسد أكثر مما يصلح.

فلابد أن يكون الداعي على بصيرة في دين الله على وجل؛ أي عنده علمٌ بشريعة الله؛ لأنه إذا دعا من غير علم أفسد أكثر مما يصْلح، ولقد شاهدنا وسمعنا عما يدعو بجهل، تجده يحلل الحرام ويحرم الحلال ويوجب ما لا يجب ويلزم الناس بما لا يلزمُهم في دين الله، لكن لأنه ذو غَيرة على دين الله يرى كل شيء يخالف ما كان يعتاده ويألفه يراه حرامًا؛ وحين إذٍ يركب الشطط على نفسه وعلى عباد الله ﷻ.

والداعي إلى الله على جهل مخطئ وإن أصاب، مخطئ في طريق الدعوة؛ لأنه إذا دعا على غير علم فقد وقع في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾، ووقع أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

إذن فلابد لكل داعٍ أن يكون بصيرًا لما يدعو إليه، ولست أعني أن يكون عالمًا واسع العلم؛ لأن هذا أمر قد يكون مستحيلًا، ولكن يكفي أن يكون عالمًا لما يدعو إليه؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية» لم يقل: بلغوا عني إذا بلغتم مبلغًا كبيرًا في العلم، بل قال: «بلغوا عني ولو آية»، المهم أن يكون عنده علمٌ بما يدعو إليه.

الثاني: مما يدخل في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أن يكون بصيرًا في كيفية إيصال الدعوة إلى الغير، بحيث تكون دعوته مصاحبة للحكمة كما يفيده قوله

تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾، والحكمة كما قال العلماء في تفسيرها: مأخوذة من الإحكام وهو الإتقان؛ أي: أن تتقن الشيء بحيث تنزله منزلته.

وكل مدعو له حال تخالف المدعو الآخر، والنبي ﷺ كان يعامل الناس بحسب ما تقتضيه أحوالهم في الدعوة إلى الله والتعليم، فلا ينزِّل العالم المعاند منزلة الجاهل المستلهِم، وإني أضرب مثلَين يتبين بهما هذا الأمر:

أما المثال الأول: فإنَّ رجلًا دخل المسجد والنبي ﷺ في أصحابه، فذهب إلى ناحية منه، وجعل يبول فيها فزجره الناس؛ غيرةً على حرمات الله ﷻ؛ ودفعًا للأذى والقذر عن بيت من بيوت الله، زجروه لأن هذا هو مقتضى الغيرة إذا لم يصحبها حكمة، ولكن النبي ﷺ نهاهم عن ذلك وقال: «**لا تزرموه**» أي: لا تقطعوا عليه بوله؛ فتركه الناس، فلما قضى بوله أمر النبي ﷺ أن يراق عليه سجل من ماء أو ذنوب من ماء (يعني: دلو من ماء) يطهر هذا المكان، ثم دعا الرجل وقال: «**إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيءٌ من الأذى والقذر -وإنما بنيت للقراءة والصلاة والتكبيرة والتسبيح**» أو كما قال النبي ﷺ.

فانظروا إلى هذه الحكمة، لما قضى بوله رفع النبي ﷺ المضرة الحاصلة بهذا البول، بماذا؟ بتطهيره حيث إنه أمر بذنوب من ماء أن يراق على المكان فطهر فزال الضرر، أما الرجل الجاهل فدعاه برفق وأعلمه بما يجب لهذه المساجد من تنزيهها عن الأذى والقذر، وأن يعمل فيها ما بنيت من أجله من الذكر والتسبيح والصلاة وغير ذلك مما بنيت له المساجد.

وهناك مثال آخر يشبهه؛ وهو قصة معاذ بن الحكم ﷺ حين دخل مع النبي ﷺ والنبي ﷺ يصلي في أصحابه، فعطس رجل من القوم، فقال:

الحمد لله، فقال معاوية: يرحمك الله، فرماه الناس بأبصارهم؛ أي: جعلوا ينظرون إليه، فقال: وا ثكل أمياه، تكلم مرتين فجعل الصحابة يضربون على أفخاذهم يسكتونه فسكت، فلما قضى الصلاة دعاه النبي ﷺ، قال معاوية: فبأبي هو وأمي والله ما رأيت معلمًا أحسن تعليمًا منه -اللهم صلِّ وسلم عليه-، والله ما قهرني ولا نهرني وإنما قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، وإنما هو تسبيح وتكبير وقراءة القرآن**» أو كما قال ﷺ.

أما المثال الثاني: فإن النبي ﷺ رأى رجلًا عليه خاتم من ذهب -وخاتم الذهب على الرجال محرم- فقال ﷺ: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيضعها في يده**»؛ ثم نزع الخاتم النبي ﷺ بيده وطرحه، فلما انصرف النبي ﷺ قيل للرجل: خذ خاتمك انتفع به، فقال: والله لا آخذه وقد طرحه النبي ﷺ.

أظننا نعلم جميعًا أن معاملة النبي ﷺ لهذا الرجل ليست كمعاملته للرجلين السابقين، بل فيها شيء من الشدة؛ لأن لكل مقامٍ مقالًا.

أما الأمر الثالث الذي يجب أن يكون الداعية بصيرًا به فهو حال المدعو، فإن الناس يختلفون، مِن الناس مَن عندهم إقبال إلى الحق، يلتمسون الحق أينما كان، لكنهم يجهلونه ويفوتهم بعض الشيء، فهؤلاء تدعوهم على الوجه المناسب لهم.

ومن الناس من هم مدبرون يولون يحتاجون إلى عناية وإلى طول نفس وإلى رفق وإلى ضرب أمثال وإلى دعوتهم بانفراد وبدون أن يكون أمام الناس؛ حتى يفيد دعاؤك إياهم على الوجه الذي تريد، فلو أننا أردنا أن نوجه الدعوة إلى كبير القوم من أمير أو وزير أو رئيس فليس من المناسب قطعًا أن ندعوَه

إلى الحق أمام حشد كثير هو عندهم بمنزلة المحترم المعظم ودعوته أمامهم تؤدي إلى هبوطه أما أعينهم، فهذا ليس من الحكمة، وليس من الشرع.

كذلك لو كنا ندعو شخصًا عالمًا فإننا نحتاج إلى أن نستعد له، وأن نقدر كل ما يمكن أن يعارضَنَا به من المعارضات الشرعية أو المعارضات الجدلية التي لا حقيقة لها، فالناس يختلفون بحسب أحوالهم، فلا بد أن يكون الداعي على بصيرة بحال مَن يدعوهم إلى الله ﷻ؛ لأن ذلك أقربُ إلى الإنتاج وأقرب إلى الانتفاع.

ثم إن هناك شيئًا آخر وهو أساس موضوعنا وهو أن الدعوة إلى الله ﷻ صارت الآن وما زالت بين طرفين ووسط؛ أما الطرفان فجانب الإفراط بحيث يكون الداعيةُ شديدًا في دين الله، يريد مِن عباد الله ﷻ أن يطبقوا الدين بحذافيره، ولا يتسامحوا عن شيء الدين يسمح به، بل إنه إذا رأى من الناس تقصيرًا حتى في الأمور المستحبة تأثر تأثرًا عظيمًا، وذهب يدعو هؤلاء القوم المقصرين دعاء الغليظ الجافي، وكأنهم تركوا شيئًا من الواجبات.

مثال ذلك: رجل رأى جماعة من الناس لا يجلسون عند القيام إلى الركعة الثانية أو عند القيام إلى الركعة الرابعة، وهي التي تسمى عند أهل العلم جَلسة الاستراحة، هو يرى أنها سنة، ومع ذلك إذا رأى مَن لا يفعل اشتد عليه، وقال: لماذا لا تفعل؟

فهو يتكلم معه تكلم من يظهر من كلامه أنه يقول بوجودها، مع أن بعض أهل العلم حكى الإجماع على أن هذه الجلسة ليست واجبة، وأن خلاف العلماء فيها دائر بين ثلاثة أقوال: إما أنها مستحبة على الإطلاق، أو ليست مستحبة على الإطلاق أو أنها مستحبة لمن كان يحتاج إليها؛ حتى لا يشق

على نفسه كالكبير والمريض ومن في ركبه وجع وما أشبه ذلك، فيأتي بعض الناس ويشدد فيها ويجعلها كأنها من الواجبات.

وكذا بعض الناس يرى شخصًا إذا قام بعد الركوع ووضع يده اليمنى على اليسرى مثلا قال: أنت مبتدع، لا بد أن تسدلَ يديَك فإن وضعتهما على الصدر فإن ذلك من البدع والمنكرات، مع أن المسألةَ مسألةٌ اجتهادية، وقد يكون الدليل مع من قال: إن اليدين توضعان بعد الركوع على الصدر كما توضعان قبله أيضًا على الصدر؛ لأن هذا هو مقتضى الحديث الذي رواه البخاري عن سهل بن سعد ﷺ قال: **«كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة»**.

كذلك بعض الناس يُنكر على من يصلي إذا تحرك أدنى حركة، وإن كانت هذه الحركة مباحة، وقد ورد من السنة ما هو مثلها أو أكثر فتجده ينكر عليه الإنكار العظيم حتى إنه يجعل هذا الأمر هو محل الانتقاد في هؤلاء القوم ويقول: إن فيكم كذا وكذا، فيكم الحركة في الصلاة، مع أنها حركةٌ مباحةٌ جائزةٌ ورد مثلها أو ما هو أكثر منها في شريعة النبي ﷺ.

هذا تشديد وكان أبو جحيفة ﷺ ذات يوم يصلي وقد ربط أو أمسك زمام فرسه بيده، فتقدمت الفرس فذهب ﷺ وهو يصلي يسايرها شيئًا فشيئًا حتى انتهى من صلاته، فرآه رجل من طراز هذا المتشدد فجعل يقول للناس: انظروا إلى هذا الرجل انظروا إلى هذا الرجل، وأبو جحيفة صحابي جليل ﷺ فلما سلم أبو جحيفة بين لهذا الرجل أن مثل هذا العمل جائز، وأنه لو ترك فرسه لذهبت ولم يحصل عليها إلى الليل، فانظر إلى الفقه في الشريعة والتسامح والتيسر فيها.

هذا النبي ﷺ كان يصلي بأصحابه وهو يحمل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، يعني: أن رسول الله ﷺ جَد هذه الطفلة وعندما كان يصلي بالناس كان يحمل هذه الطفلة إذا قام حملها وإذا سجد وضعها ﷺ، وهذا فيه حركة، وفيه ملاطفة للطفلة، وفيه أنه يؤم الناس، فقد يلتفت بعض الناس لينظر ماذا فعل النبي ﷺ مع هذه الطفلة، ومع ذلك فالنبي ﷺ وهو أتقى الناس لله ﷻ وأعلمهم بما يتقي أيضًا كان يفعل ذلك.

واجتمع نفر من أصحاب النبي ﷺ فسألوا عن عمله في السر؛ يعني: سألوا أهله ماذا يعمل الرسول ﷺ في بيته إذا اختفى عن الناس فأخبروا؛ فتقالوا عمل النبي ﷺ وقالوا: إن النبي ﷺ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولكن نحن بحاجة إلى عمل أكثر ليغفر الله لنا ذنوبنا، فقال أحدهم: أنا أصوم ولا أفطر، وقال الثاني: أنا أقوم ولا أنام، وقال الثالث: أنا لا أتزوج النساء، فبلغ قولهم النبي ﷺ فقال: «**أما أنا فأصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

هذا كله يدلنا على أنه لا ينبغي لنا بل لا يجوز لنا أن نغلوَ في دين الله سواء في دعاء غيرنا إلى دين الله أو في عمالنا الخاصة بنا، بل نكون وسطًا مستقيمًا كما أمر الله تعالى بذلك، وكما أمر بذلك النبي ﷺ، فإن الله يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، والنبي ﷺ قال لأصحابه: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم**»، وأخذ حصيات بكفه وهو في أثناء مسيره من مزدلفة إلى منى وجعل يقول: «**يأيها الناس بأمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين**».

ضد ذلك مَن يتهاون في الدعوة إلى الله، فتجده يرى الفرص مواتية والمقام مناسبًا للدعوة إلى الله ولكن يضيع ذلك؛ تارة يضيعه لأنه متهاون ولا

يهمه أن يستقيم الناس أو لا يستقيمون، وتارة يضيعه لأن الشيطان يملي عليه أن هذا ليس وقتًا للدعوة أو أن هؤلاء المدعوين لن يقبلوا منك أو ما أشبه ذلك من المثبطات التي يلقيها الشيطان في قلبه، فيفوت الفرصة على نفسه، وهذا عكس الأول حتى إن هذا ليرى الأمر بعينه ويسمعه بأذنه، يجد هذا الأمر المخالف لشريعة الله ولا يدعو الناس إلى الاستقامة وعدم معصية الله ﷻ ومخالفته.

بل إنا نسمع أن بعض الناس يقول: يجب أن تجعل الأمة الإسلامية التي تنتسب إلى الإسلام وتتجه في صلاتها إلى القبلة طائفة واحدة غير متميزة، لا يفرق بين مبتدع وصاحب سنة، وهذا لا شك خطأ وخطل وخطر؛ لأن الحق يجب أن يُميز عن الباطل ويجب أن يميز أصحاب الحق عن أصحاب الباطل؛ حتى يتبين الحق، أما لو اندمج الناس جميعًا وقالوا: نعيش كلنا في ظل الإسلام، وبعضهم على بدعة تخرجه من الإسلام، فهذا لا يرضى به أحد ناصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

يوجد أيضًا أناس يستطيعون أن يدعو إلى الله ﷻ، عندهم علم وعندهم بصيرة ويشاهدون الناس يخلون بأشياء، ولكن يمنعهم خوف مَسبة الناس لهم أو الكلام فيهم أن يقولوا الحق، فتجدهم يقصرون ويفرطون في الدعوة إلى الله ﷻ.

وهؤلاء إذا نظروا إلى القوم الوسط الذين تمسكوا بدين الله على ما هو عليه إذا رأوهم قالوا: إن هؤلاء لضالون، إن هؤلاء لمتعمقون، إن هؤلاء لمتشددون متنطعون مع أنهم على الحق، فتجد هؤلاء الوسط إذا نظر إليهم المفتون الغالون قالوا: أنتم مقصرون، لم تقوموا بالحق ولم تغاروا لله ﷻ، وإذا رآهم الآخرون المفرطون قالوا: أنتم متشددون.

ولهذا يجب أن لا نجعل -أيها الأخوة- نجعل المقياس في الشدة واللين هو ما تمليه علينا عقولنا، بل بعبارة أصح يجب أن لا نجعل المقياس ما تمليه علينا أهواؤنا؛ لأن عقولنا الصريحة السليمة لا تملي على الإنسان خلاف الحق أبدًا، لكن الهوى هو الذي يملي على الإنسان خلاف الحق، فيجب علينا أن لا نجعل المقياس في الشدة واللين ما تمليه علينا أهواؤنا وأذواقنا، بل يجب أن نجعل المقياس هديَ النبي ﷺ وهديَ أصحابِه.

والنبي ﷺ رسم لنا هذا بقوله وبفعله وبحاله عليه الصلاة والسلام، رسمه لنا رسمًا بيِّنًا، فإذا دار الأمر بين أن أشتد أو أتيسير بمعنى أنني كنت في موقف حرج لا أدري الفائدة في الشدة أم الفائدة في التيسير والتسهيل، فأيهما أسلك؟ أسلك طريق التيسير؛ لأن النبي ﷺ قال: **«إن الدين يسر»**، ولما بعث معاذًا وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال: **«يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا»**.

ولما مضى يهوديٌّ بالنبي ﷺ فقال: السام عليك يا محمد (يريد الموت عليك)؛ لأن السام بمعنى الموت، وكان عند النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها فقالت: عليك السام واللعنة، قال لها النبي عليه الصلاة والسلام: **«إن الله رفيق يحب الرفق، وإن الله ليعطي بالرفق ما لا يعطي على العنف»**، فإذا أخذنا بالجملة الأخيرة من هذا الحديث: **«إن الله ليعطي بالرفق ما لا يعطي على العنف»** عرفنا أنه إذا دار الأمر بين أن أستعمل الشدة أو أستعمل السهولة كان الأولى أن أستعمل السهولة؛ ثقة بقول النبي عليه الصلاة والسلام: **«إن الله ليعطي بالرفق ما لا يعطي على العنف»**.

ومن أراد أن يتقن هذا الأمر فليجرب؛ لأنك إذا قابلت المدعو بالشدة اشمأز ونفر وقابلك بالشدة مثلها إن كان عاميًا قال لك: أنا عندي علماء أعلم

منك، وإن كان طالب علم ذهب يجادلك حتى بالباطل الذي تراه مثل الشمس، وهو ربما يراه مثل الشمس، ولكنه يأبى إلا أن ينتصر لنفسه؛ لأنه لم يجد منك رفقًا ولينًا ودعوةً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

يوجد أيضًا من التطرف ما يكون من الآباء والأمهات في زمننا هذا حين صار الشباب -ولله الحمد- من ذكور وإناث عندهم استجابة إلى العمل بالسنة بقدر المستطاع، صار بعض الناس من الآباء والأمهات يضايقون هؤلاء الشباب من بنين أو بنات، يضايقونهم في بيوتهم وفي أعمالهم حتى إنهم لينهونهم عن المعروف مع أنه لا ضرر على الآباء في فعله، ولا ضرر أيضًا على الأبناء أو البنات في فعل هذا المعروف، كمن يقول مثلًا لأولاده من البنين والبنات: لا تكثروا النوافل، لا تكثروا صلاة الليل، لا تصوموا في النهار البيض أو الاثنين أو الخميس أو ما أشبه ذلك، مع أن هذا لا يضر الوالدين شيئًا، ولا يحول دون قضاء حوائجهم، وليس بضار على الابن في عقله أو بدنه أو في دروسه، ولا على البنت كذلك.

ولكن أنا أخشى على هؤلاء القوم أن يكون هذا النهي منهم لأولادهم كراهةً للحق والشريعة، وهذا على خطأ، الذي يكره الحق أو الشريعة ربما يؤدي به ذلك إلى الردة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾، ولا تحبط الأعمال إلا بردة عن الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذا في الواقع من الشدة في أولياء الأمور، أما بالنسبة للأولا د من بنين أو بنات إذا كانوا مخلصين فيما يذهبون إليه أو في منهاجهم وسيرهم على الشريعة الإسلامية فليسوا متشددين.

وهناك أيضًا في المقابل من يكون شديدًا من الأولاد بنين أو بنات على أهله بحيث لا يتسع صدره لما يكونون عليه من الأمور المباحة، فتجده يريد من أبيه أو أمه أو أخوته أو أخواته أن يكونوا على المستوى الذي هو عليه من الالتزام بشريعة الله، وهذا غير صحيح، فالواجب عليك إذا رأيتهم على منكر أن تنهاهم عن المنكر، أما إذا رأيتهم قصروا في أمر يسعهم التقصير فيه كفعل بعض المستحبات فإنه لا ينبغي لك أن تشتد معهم، كذلك في بعض الأمور الخلافية يجب عليك إذا كانوا مستندين إلى رأي أحد من أهل العلم أن لا تضيق بهم ذرعًا وأن لا تشتد عليهم.

مثل بعض الناس الملتزمين من الأولاد البنين أو البنات إذا رأى عند أهله مسجلا سجلت فيه كلمة نافعة لمن سمعها صاح بهم، وقال: المسجل حرام، المسجل صوت الشيطان، ثم ذهب يكسره أحيانا إذا كانت لديه القدرة، أو صار ينفر من أهله ومن البيت بحجة أن هذا من أصوات الشياطين؛ لأن بعض المساكين يظنون أن الشيطان يقلد صوت المتكلم ويخرج من هذا الحديد، وهذا بلا شك جهل في التصور وجهل في الواقع، فنحن نعلم أن الشيطان لن يتكلم بالحق وإنما يتكلم بالباطل، ونعلم أن هذه الآلة هي التي نَقَلت الصوت ولو اختل منها أدنى شيء يخل بها ما سُمع الصوت منها أبدًا.

وهكذا أيضًا في كثير من المسائل الخلافية تجد بعض الإخوة الملتزمين من بنين أو بنات يشتد على أهله يريد منهم أن يكونوا على المستوى الذي هو عليه سواء كان مصيبًا أو مخطئًا، إذا كانت إصابته ومخالفة أهله له في ذلك لا تؤدي إلى وقوع في المحذور.

فالذي ينبغي للإنسان سواء كان داعية لله أم متعبد لله أن يكون بين الغلو والتقصير معتدلًا مستقيمًا على دين الله ﷻ، كما أمر الله تعالى بذلك في

قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾، ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ أي: ائتوا به مستقيمًا على ما شرعه الله ﷻ، ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ لأن التفرق خطره عظيم على الأمة أفرادًا وجماعاتٍ.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ فإن هذه الآية موعظة للإنسان وأي موعظة، أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم من الهداة المهتدين، والصلحاء المصلحين، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

۞ ۞ ۞

الأسئلة

س١ : كيف نوفق بين الحديث الذي يحثنا على أنا إذا رأينا النصراني نضطره إلى أضيق الطريق والأحاديث الدالة على الدعوة إلى الدخول في الإسلام؟ الذي أريد توضيحًا لذلك؛ لأني أخشى أن يكون هذا العمل تنفيرًا، وليس مرادي الاعتراض على حديث رسول الله، والله يحفظكم ويوفقكم.

ج١ : بسم الله الرحمن الرحيم، يجب أن نعلم أن أفضل المرشدين إلى الله هو النبي ﷺ، وأن أعظم الخلق وأيسر الخلق هو النبي ﷺ، وإذا علمنا ذلك فإن أي فَهم نفهمه من كلام الرسول صلى الله عليه سلم يكون مجانبًا للحكمة يجب علينا أن نجتنب هذا الرأي، وأن نعلم أن فهمنا لكلام الرسول ﷺ خطأ، لكن ليس معنى ذلك أنا نقيس أحاديث الرسول بما نفهمه من عقولنا وأفهامنا؛ لأن عقولنا وأفهامنا قاصرة، لكن هناك قواعد عامة في الشريعة يرجع إليها في المسائل الخاصة بفهم النصوص.

فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام»، ويبتدئ بكلمة لا تبدأ: «وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه» المعنى: لا تتوسعوا لهم إذا قابلوكم، حتى يكون لهم السَّعَة، ويكون الضيق عليكم، بل المعنى استمروا في اتجاهكم وسيركم واجعلوا الضيق إن كان هناك ضيق على هؤلاء، وإلا فليس المعنى أن هدي النبي ﷺ ليس إذا رأى الكافر ذهب يزحمه إلى الجدار حتى يرصه على الجدار، ما كان الرسول يفعل هذا باليهود في المدينة، ولا أصحابه أيضا يفعلونه بعده في الأمصار بعد فتوح الأمصار، ولكن المعنى: أنكم كما لا تبدءوهم بالسلام لا تفسحوا

الطريق لهم، إذا لقوكم تتفرقون حتى يعبروا، بل استمروا على ما أنتم عليه واجعلوا الضيق عليهم إن كان في الطريق ضيق، هذا معنى الحديث، وليس في هذا شيء أبدًا، ليس فيه إلا عزة المسلم وأنه لا يذل لأحد إلا لربه ﷻ.

س٢: إن جماعة التبليغ دعوتهم تقوم حول ما يسمونه الصفات الست، وهي صفات الصحابة، فهل لهذه الصفات أصل في الكتاب والسنة؟ وما رأيك في هذه الصفات؟

ج٢: الصفات الست التي يدعو إليها إخواننا في جماعة التبليغ لا شك أنها صفات حسنة حميدة، ولكنها ليست هي الصفات التي تنحصر فيها صفات المدعوين إلى لله ﷻ، بل هم تركوا صفات عظيمة أعظم مما دعوا إليه أو أعظم من بعض ما دعوا إليه، لكن هذا اجتهاد منهم؛ ولهذا كتبنا إلى بعض الناس أن هذه الدعوة قاصرة، وأنه يجب أن يركزوا دعوتهم على ما جعله النبي ﷺ دينًا لنا، وهو ما دل عليه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **«كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فدخل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، قال: صدقت، فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**، وفي آخر الحديث قال النبي ﷺ: **«هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»**، فلو أن إخوتنا جماعة التبليغ ركزوا دعوتهم على هذه الأصول التي سماها النبي ﷺ دنينا لكان خيرًا وأقوم، والصفات

الست التي دعوا لها هذا لا شك أن فيها قصورًا عظيمًا يجب عليهم أن يكملوها مما دل عليه الشرع.

س٣: إن بعض الناس الذين يقومون بالدعوة إلى الله في هذه البلد يقومون بالخروج ببعض الناس عن عنيزة، ثم يجعلونهم يقومون في بعض الأحيان بدعوة الناس في المساجد، وهؤلاء بعضهم لا يعرف عن العلم شيئًا، وإذا كان يعرف فإنه لا يأتي بالدليل، هل هذا صواب؟ وإذا كان الجواب بلا فما نصيحتك؟

ج٣: أما طريقة إصلاح الخلق فالذي أرى أن يبتدأ بالوسائل المناسبة ما لم تكن الوسيلة منهيًّا عنها؛ لأن الوسائل في حد ذاتها ليس لها حكم، بل للوسائل أحكام المقاصد، أما الوسائل المنهي عنها كالذي قرأناه في بعض الصحف: أن الموسيقى تسهل الوضع على الحامل، فهذه الوسيلة محرمة، وأنا أعتقد أنها تسهل الوضع عندهم؛ لأنهم يطربون بهذا ويسرون به فيسهل عليهم الوضع، أما من يكره ذلك لكراهة الشرع له فإنه يزيد الوضع شدة وعسرًا.

فأقول: الوسائل في الدعوة إلى الله ﷻ جائزة ما لم تكن منهيًّا عنها؛ لأن الوسيلة في حد ذاتها ليست عبادة، لكنها طريق إلى هدف مقصود، فكونهم يتلون عليهم ما يتيسر من القرآن وما تيسر من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، ويخرجون بهم، فهذا ليس فيه شيء، وشر من ذلك أن يستدل على هذا التحليل بآيات من كتاب الله وسنة رسوله فتتنزل الآيات والأحاديث على غير المراد بها، فإن هذا وقع من بعض الناس ذهب يتأول في بعض الآيات أن فيها دلالة على هذه الأيام التي يعينونها، وهذا خطأ عظيم؛ فإن القرآن له دَلالة معلومة أرادها الله تعالى لهذا القرآن.

أما بالنسبة لكونهم يتكلمون بلا علم؛ فقد سبق في كلامي آنفا أنه لا يجوز للإنسان أن يتكلم في دين الله بلا علم وتلوت عليكم آيتين من كتاب الله، وهما قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

ثم إنه بالمناسبة أحب أن أنبه إلى أن كثيرًا من الوعاظ يجرون بوعظهم أحاديث ليس لها زمام، أحاديث إما ضعيفة وإما موضوعة، يدَّعون أنهم لا يستميل الناس إليهم إلا بهذه الأحاديث، وهذا خطأ كبير، ففيما صح من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وفي كتاب الله ما يكفي عن هذه الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة.

س٤: فضيلة الشيخ ذكرت في كلامك قول النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»؛ ولقد اتخذ أناس أو جماعة هذا الحديث مسلكًا في دعوتهم بهذا الحديث، ما التوجيه لهذا الأمر؟

ج٤: التوجيه لهذا الأمر أن الرسول ﷺ قال: «بلغوا عني» وهذا معناه أن نكن نعلم علم اليقين أن هذا المبلَّغ من كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من إقرار الرسول عليه الصلاة والسلام، لأنه قال: «بلغوا عني» يعني: عنه هو، الشيء الذي لا يعلمه الإنسان ثم ينسبه إلى الرسول ﷺ ما بلغ عنه، بل أتى به من كيسه؛ وحينئذ يكون في هذا الحديث دليل على أنه لا يجوز للإنسان أو لا يؤمر الإنسان بالكلام في أمر لا يعلمه واقعًا من رسول الله ﷺ.

س٥: هل الدعوة واجبة على المرأة؟ إن كانت واجبة ففي أي مجال تدعو؟

ج٥: يجب أن نعلم قاعدة وهي أن ما ثبت في حق الرجال ثبت في حق النساء، وما ثبت في حق النساء ثبت في حق الرجال إلا بدليل يدل على ذلك، مثالُ ما دلَّ الدليل على الاختصاص فيه: أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، هل على النساء جهاد؟ قال: «**عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة**»، وهذا يدل على أن الجهاد وهو جهاد الأعداء واجب على الرجال وليس واجبًا على النساء، وكذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**».

فالأصل أن ما ثبت في حق الرجال فهو ثابت في حق النساء، من مأمورات ومنهيات، وما ثبت في حق النساء فهو ثابت في حق الرجال، ولهذا مَن قذف رجلا وجب أنْ يُحد ثمانين جلدة مع أن الآية في الذين يرمون المحصنات الغافلات: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾، فالمهم أن الأصل أن ما ثبت في أحد الجنسين فهو ثابت في الآخر إلا بدليل.

نمضي إلى الدعوة إلى الله ﷻ هل هي خاصة بالرجال أم هي عامة مشتركة؟ والذي يتبين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أنها عامة مشتركة، لكن مجالس المرأة غير مجالس الرجل، فالمرأة تدعو إلى الله تعالى في المجتمع النسائي، وليس في مجتمع الرجال، إنما تدعو في الحقل الذي يمكنها أن تدعو به وهو مجتمع النساء سواء كانت المجالس أو في المسجد، فيمكن أن تدعو امرأة في المسجد، تجد أختها مثلا تخل بشيء في صلاتها، أو تعلم عنها شيئًا من قبل أنها مقصرة فيه فتدعوها.

س٦ : نجد أن هناك بعض الأخوة يبالغون أو يغالون في ملابسهم؛ حيث نراهم قد رفعوا الثياب إلى الركبة مع أن إزرة المؤمن إلى نصف ساقه، وما أسفل الكعبين فهو في النار، فما رأيك يا شيخنا؟

ج٦ : صحيح أن الذي يرفع ثوبه وسراويله إلى حد الركبة أنه خالف السنة بلا شك، ولكنه لم يصل إلى كشف العورة كما يذكر السائل؛ لأن عورة الرجل أقصى ما قيل فيها أنها من السرة إلى الركبة، وما نزل عن ذلك فليس بعورة، ولكن قوله: إن النبي ﷺ يقول: «**إزرة المؤمن إلى نصف ساقه**» هذا صحيح، لكن من نصف الساق إلى الكعبين كل هذا مباح وجائز للإنسان أن يجعل إزاره أو قميصه أو سراويله إلى ما بين نصف الساق والكعبين، الأمر فيه واسع.

وإذا رأى الإنسان أن من المصلحة أن ينزل ثوبه عن نصف الساق؛ لأن ذلك أبلغ في تأليف القلوب، فإن هذا أمرٌ مطلوبٌ شرعًا؛ لأنه إذا كان تأليف القلوب يتوقف على فعل شيء مباح فإن المباح لا إثم فيه وتأليف القلوب أمر مطلوب في الشرع، والنبي ﷺ ترك أمرًا مطلوبًا للتأليف، وهو أنه عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يبني الكعبة على قواعد إبراهيم، قال لعائشة: «**لولا أن قومك حديث عهد بكفر لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم، ولجعلت لها بابين بابًا يدخل الناس وبابًا يخرج منه الناس**» فترك بناءها على قواعد إبراهيم من أجل تأليف هؤلاء وعدم تنفيرهم.

وفي عهد ابن الزبير حين تولى الخلافة رضي الله عنه هدم الكعبة وبناها على قواعد إبراهيم، ولما آل الآمر إلى بني أمية بعده هدموا ما بناه عبد الله بن الزبير، وأعادوها على حالها الأولى، وجعلوا هذا الحِجر خارجًا منها، وكأن من رحمة الله عز وجل بعباده وحكمته ما أراده النبي عليه الصلاة والسلام من كونها

ذات بابين باب يدخل منه الناس وباب يخرج منه الناس، هل تحقق؟ نعم تحقق؛ لأن الحِجر أكثره من الكعبة وبينه وبين الكعبة القائمة بابان، باب يدخل منه الناس وباب يخرج منه الناس، لو أنها كانت على ما أراده الرسول ﷺ مسقوفة ولها بابان لهلك الناس، لاسيما في زمننا هذا زمن الجهل والعجرفة والغشم، ولكن من نعمة الله أنها بقيت هكذا مفتوحة والبابان موجودان والحمد لله.

المهم قصدي بذلك أن أقول إن فعل المباح من أجل التأليف أمر مطلوب، وإذا شئتم أن نزيد مثلًا من أئمة المسلمين الإمام أحمد رحمه الله، يرى أن القنوت في الفجر غير مستحب، يرى أنه ليس بسنة، ومع ذلك يقول: إذا ائتم برجل يقنت فليتابعه وليؤمن على دعائه، لماذا؟ كل ذلك من أجل التأليف وعدم الاختلاف على الجماعة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مأموم يصلي خلف إمام لا يجلس إذا قام إلى الثانية أو الرابعة، والمأموم يرى أنه يستحب أن يجلس، قال شيخ الإسلام: الأفضل أن لا يجلس.

يعني إذا كنتَ ممن يرى استحباب جلسة الاستراحة، ولكنك صليت خلف إمام لا يجلس فالأولى والأفضل لا تجلس، للموافقة وعدم الاختلاف، وما قاله شيخ الإسلام رحمه الله هو الحق بلا شك؛ لأنه إذا كان المأموم يؤمر بأن يقوم مع إمامه إذا ترك التشهد الأول والجلوس في التشهد الأول واجب، فكيف لا يؤمر أن يقوم مع إمامه لترك أمر مستحب، وهو جلسة الاستراحة على قول بعض العلماء.

س٧: فضيلة الشيخ، إن الشاب المسلم في هذا الوقت ليحتار في تقديم هذه الأشياء بعضها على بعض، وهي العلم والدعوة والجهاد في سبيل الله، فتارة يدور في ذهنه العلم؛ لأن الناس بحاجة إليه، وتارة يدور في ذهنه الدعوة؛ لأن الناس في الغالب لا ينقصهم العلم ولكن ينقصهم العمل والتطبيق، وتارة يدور في ذهنه الجهاد في سبيل الله؛ لحاجة المسلمين إلى ذلك؛ لكي لا يهزم في وجه أعدائه، فنرجو من فضيلتكم تبيين الأفضل من هذه الأشياء، ولكم جزيل الشكر.

ج٧: أما طلب العلم والدعوة فلا يتنافيان، إذ يمكن الجمع بينهما بأن يكون الإنسان طالب علم وداعية إلى الله ﷻ، بل كل طالب علم فإنه يجب أن يكون داعية؛ لأن من ثمرات العلم الدعوة إليه؛ وحينئذ نقول: الدعوة إلى الله تعالى من ثمرات العلم، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «بلغوا عني ولو آية» وأنت إذا علمت ولو مسألة من مسائل العلم فادع إلى الله إلى هذه المسألة التي هي من شرع الله.

وأما تقديم العلم على الجهاد أو الجهاد على العلم فهذا يختلف أولًا باختلاف حكمهما، وثانيًا باختلاف الأشخاص.

أما باختلاف حكمهما: فإذا كان طلب العلم فريضة والجهاد تطوعًا فلا شك أن يجب تقديم طلب العلم؛ لأنه فريضة، وإذا كان الجهاد فريضة وطلب العلم تطوعًا فلا شك في وجوب تقديم الجهاد؛ لأنه فريضة؛ ولكن إذا كان كل من طلب العلم والجهاد واجبًا أو كان كل منهما تطوعًا فأيهما يقدم؟

هذا ينبني على الأمر الثاني وهو حال الإنسان نفسه، فمن الناس من نقول له: الأفضل أن تقدم الجهاد، ومنهم من نقول له: الأفضل أن تقدم طلب العلم.

فإذا كان هذا الرجل قوي البدن شجاعًا مقدامًا عالمًا بأساليب الحرب الحديثة، وهو بالنسبة للعلم قليل الحفظ قليل الفهم، قلنا له: الأفضل الجهاد، وإذا كان الرجل بالعكس، قوته بالبدن ليست كالسابق علمه بالأسباب الحربية ليس كالسابق، لكنه بالنسبة للعلم عبقري جيد الحفظ والفهم والاستنباط، قلنا هنا: تقدم العلم، فلكل مقام مقال.

فتبين الآن في الجواب ما خلاصته: أن العلم والدعوة لا يتنافيان، إذ إن الدعوة ثمرة العلم، والجمع بينهما هو تمام العلم، وأما العلم والجهاد فلنا نظران؛ النظر الأول في حكمها، فإن كان أحدهما واجبًا والثاني تطوعا قدم الواجب بلا شك، وإذا كان كل منهما واجبًا أو كان كل منهما تطوعا فإننا ننظر النظر الثاني بالنسبة للرجل نفسه والناس يختلفون.

س٨: الملاحظ في كثير من الدعاة إلى الله في الوقت الحاضر بأنهم ضعفاء في الدعوة، وكأنهم يستجدون هداية الناس استجداء فيه ذلة، فما حكم دعوة هؤلاء الدعاة؟ وما الواجب على من يلاحظ على شخص مثل ذلك؟ وما قولكم في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾؟

ج٨: حقيقة الأمر أن الدعاة الذين وصفهم السائل بأنهم يدعون الناس وكأنما يستجدون منهم المال، قد يكون هذا لضعف في دعوتهم وشخصيتهم، وقد يكون هذا لعناد في المدعو، يعني: رجل عنده شخصية في الدعوة، لكن حال المدعو تتطلب أن يتطامن معه، وأن يأتيه بسهولة ولين؛ وحينئذ لا أستطيع أن أحكم على مثل هذا الداعية أنه مقصر أو أنه ذو قصور.

ولكن الذي ينبغي للإنسان أن يكون قويًا في دعوته، وأن ينزل هذه القوة

بحسب ما يليق بالحال، وإلا فإن كل واحد من الناس يجب أن يأخذ كتاب الله بقوة، كما قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾، بل إن الله تعالى نتق الجبل فوقهم ليلزمهم بذلك: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾، فلابد أن يكون الإنسان قويًا، لكن الدعوة قد تستوجب أحيانا أن يكون الإنسان متواضعًا لهذا الرجل من أجل إيصال الحق إليه وقبوله له.

س٩: ما وجه التعارض الظاهر في هذين الحديثين؛ قال الرسول ﷺ في حديثه مع عائشة حين قدم إليهم اليهودي: «إن الله يعطي بالرفق ما لا يعطي بالعنف»، وقال ﷺ في حديث آخر: «إذا رأى أحدكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فليغيره بلسانه»... ؛ إلى آخره؟

ج٩: لا تعارض بين الحديثين أيضًا كما سبق في السؤال المماثل؛ لأن قوله ﷺ: «فليغيره بيده»، إذا لم يمكن أن يغيره بما دون ذلك، فإذا أمكن أن يغير المنكر بيد الفاعل بأن يكون رجل معه آلة لهو يتلهى بها، وقال له الداعية: إن هذا حرام ويجب عليك أن تكسره، فهنا إذا كسره الداعي بنفسه فإن هذا خيرٌ؛ لأنه قد يكسره عن اقتناع وقد يكسره عن خوف، المهم أن مباشرته إياه بنفسه أفضل من أن تقدم أنت وتكسره، فإذا لم يمكن فحين إذن كسره إن استطعت، فإن لم تستطع فبلسانك وإن لم تستطع فبقلبك.

ولهذا كان ينبغي بل يجب على طلبة العلم إذا تكلم أحد بباطل أو كتب كتابة خطأ يجب أن يتصل بالقائل أو الكاتب قبل أن يرد عليه؛ من أجل أن يتراجع الكاتب أو القائل بنفسه، ويجب عليه إذا عرف أنه على خطأ أن يبين للناس خطأ نفسه قبل أن يذهب هذا فيرد عليه في مقال أو كتابة؛ لأن في ذلك من إضعاف جانب أهل العلم ما لا يخفى.

الآن العامة إذا رأوا أن طلبة العلم يكتب بعضهم في بعض، ويرد بعضهم على بعض لا شك أن الجانب العام في العلماء يضعف سواء كان من الراد أو من المردود عليهم مع أنه يحدث بلبلة وتشويشًا على الناس؛ إذ إن الناس لا يدرون الحق مع هذا أو مع هذا، لكن لو ذهب الإنسان إلى هذا القائل الذي يرى أنه أخطأ في قوله وتفاهم معه، وقال له: إن هذا خطأ، وبيَّن له وجه الخطأ، وتناقش معه؛ لأنه قد يكون عند الكاتب الذي يراد الرد عليه ما ليس عند هذا الآخر، وتناقشا في الموضوع، ففي ظني أن الرجل الذي يريد أن يكون على الحق سوف يرجع إلى الحق، أو على الأقل يقول: والله هذا الذي عندي وإذا كان عندك شيء فلا حرج عليك أن تبينه؛ بل يجب عليك أن تبينه إذا رأيت أن الحق في خلاف ما أقول.

ثم مع ذلك أيضًا أرى أن الطريق السليم أن لا يؤتى بالخطأ من الآخر ويوضع أمام الناس ثم يرد عليه وينتقد؛ بل يبين الحق هو بنفسه، ويقول: فإن قال قائل كذا وكذا فالرد عليه كذا وكذا؛ حتى يعرف الناس الحق؛ وحتى لا يكون هناك تباغض أو تعادي بين الناس.

اللهم إلا إذا كان صاحب بدعة فإن الواجب أن يبين خطؤه، وأن يبين شخصه حتى لا يغتر الناس به، أما المسائل الاجتهادية التي يتسع الشرع لها فإن الأولى سلوك طريق الحكمة.

س١٠: الدعوة إلى الله عندما تكون موجهة إلى إنسان مسلم فهي لا تتعدى سوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما الدعوة إلى الله عندما تكون دعوة إلى الإسلام أي إلى إنسان كافر فما هي الأسس والمبادئ التي يجب على المسلم أن يبدأ بها عند دعوته إلى الإسلام؟ وهل يقتضي الأمر معرفة دين هذا الإنسان الكافر؟

ج١٠: الحقيقة أن الدعوة والأمر والتغيير أمور يخفى على كثير من الناس الفرق بينها، يعني: أكثر الناس أو لا يفرقون بين الدعوة إلى الله وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين التغيير تغيير المنكر، وهذه في الحقيقة مراتب بينها تفاوت.

أما الدعوة إلى الله فإنها نوعان؛ عامة وخاصة: فالعامة تكون بإلقاء الخطب وكتابة الكتب على سبيل عام موجه لعموم الناس، وتكون خاصة بأن تذهب إلى شخص معين تدعوه إلى الله ﷻ، وليس هذا خاصًّا بالكافر، بل حتى المسلم يحتاج إلى دعوة، فربما نجد بعض المسلمين مصرًّا على شيء من الكبائر يظن أنه على حق أو يشك في أمره وفي تحريمه، هذا يحتاج إلى دعوة؛ أن يذهب الإنسان إليه وأن يبين له الحق ويضرب له الأمثال حتى يقتنع، وليس هذا من باب الأمر.

أما الأمر فإن الآمر أعلى سلطة من الداعي؛ لأن الأمر كما نعلم جميعًا هو: طلب الفعل على وجه الاستعلاء، فالآمر له شيء من السلطة، فهو آمرٌ وليس عارضًا، فالداعي عارض؛ ولهذا لو أنك أمرت شخصًا من زملائك وأقرانك يقال: هذا التماس وليس بأمر، لكن من هو دونك يكون أمرًا.

أما المغير فله سلطة أقوى من الأمر بحيث يتمكن من إزالة المنكر بيده؛

ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**» أما الأمر لم يأتِ هذا الترتيب فيه، فيقال: من أمر منكم الأمر بيده إلى آخره.

فالحاصل أن الكافر يختلف معه أسلوب الدعوة بحسب كفره، فالذي ينكر وجود الله ﷻ كالشيوعية ندعوهم إلى الله ﷻ ببيان الأدلة العقلية والحسية على وجود الله ﷻ، أما الأدلة الشرعية فهم لا يقتنعون بها، لكن نبين وجود الله ﷻ ووجوب وجوده بالأدلة العقلية والأدلة الحسية الواقعة.

منها مثلًا: ما أشار الله إليه في قوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ قال الزبير بن مطعم -وكان ﷺ من أسرى بدر- قال: إني سمعت النبي ﷺ يقرأ بها في المغرب فلما بلغ هذا الآية كاد قلبي يطير، من شدة وطئها في نفسي ووقر الإيمان في قلبي.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أيش الجواب؟ لا هذا ولا هذا، فهم لم يُخلقوا من غير شيء لا بد لهم من خالق، ولم يخلقوا أنفسهم؛ لأنهم كانوا عدمًا، والعدم لا يوجد غيره؛ لأنه ليس بشيء، فهو غير موجود، فلا يمكن أن يخلقوا أنفسهم، ولم يخلقوا من غير شيء، بل لا بد أنهم خلقوا من شيء، والخالق لهم هو الله ﷻ، فمثل الشيوعي نأتي له بالأدلة العقلية المثبتة لوجود الله ونأتي له أيضًا بالأدلة الحسية.

الأدلة الحسية هو أننا نشاهد ويشاهد غيرنا أن الإنسان يدعو الله ﷻ في أمر من الأمور ثم يأتي الشيء متوافقًا لدعوته تمامًا، وهذا في القرآن والسنة كثير، وكذلك في الواقع بين الناس كثير.

وإذا كان الإنسان ممن يؤمن بالله ولكنه يكفر برسالة النبي عليه الصلاة والسلام كاليهود والنصارى فإننا ندعوهم إلى الله ﷻ ببيان صدق رسالة النبي

عليه الصلاة والسلام، وبالأخص نقول للنصارى: هل تؤمنوا بعيسى؟ فسيقولون: نعم، هل تصدقونه؟ فسيقولون: نعم نصدقه، نقول: اسمعوا ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾، المبشَّر بالشيء هل هو مخبر به أم غير مخبر؟ الإجابة: مخبر، إذن يجب أن تصدقوا عيسى.

فإذا قالوا: عيسى بشَّر بأحمد، وهذا محمد، فنحن ننتظر أحمد، قلنا لهم: اقرءوا ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ جاءهم فعل ماض أم مضارع؟ الإجابة: ماض، إذن هذا المبشَّر به قد أتى، وهل أتى بعد عيسى أحد من الأنبياء غير النبي ﷺ؟ أبدًا.

إن قالوا: إنه جاء أحد غيره، نقول: اتبعوا هذا الذي ادعيتم أنه جاء، لكن لا يتبعون هذا.

نقول إذن فأحمد هو محمد، لكن الله تعالى ألهم عيسى أو أعلمه بهذا الاسم؛ ليظهر فضله؛ لأن أحمد اسم تفضيل سواء كان من اسم الفاعل أو اسم المفعول فإنه يدل على شرف النبي عليه الصلاة والسلام، وأنه أحمد الناس لله وأحق الناس أن يحمد أيضًا، فهو اسم تفضيل من الجانبين، فهو أحمد الناس لله وهو أحق الناس أن يحمد.

وإنما اختير هذا الاسم في البشارة لبني إسرائيل ليتبين به فضيلة النبي ﷺ على من سواه من البشر.

س١١ : فضيلة الشيخ، نشاهد في هذا الوقت كثرة الحديث عن الجماعات التي تدعو إلى الله كالتبليغ والإخوان والسلفية، ونرى من ظهور هذه الجماعات التفرق في الدعوة إلى الله والتعصب للجماعات، فأي هذه الجماعات أجدر بالاتباع؟ وما موقف المسلم من هذا الاختلاف الظاهر بين الجماعات، وهذا التعصب العجيب؟

ج١١: الموقف الآن من هذا أنه أمر مؤلم ومؤسف ويُخشى أن هذه النهضة والصحوة الإسلامية تعود فتخمد وتتحطم وتشل؛ لأن الناس إذا تفرقوا كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ إذا تفرق الناس وتنازعوا فشلوا وخسروا وذهبت ريحهم ولم يكن لهم وزن.

وأعداء الإسلام -ممن يتسمون بالإسلام ظاهرًا أو ممن هم أعداء له ظاهرًا وباطنًا- يفرحون بهذا التفرق، وهم الذين يشعلون نارًا، ويأتون إلى هذا ويقولون: هذا فيه كذا وهذا فيه كذا، يلقون العداوة والبغضاء بين هؤلاء الإخوة الدعاة إلى الله ﷻ.

فالواجب علينا أيها الإخوة الواجب علينا أن نقف ضد كيد هؤلاء المعادين لله ولرسوله ولدينه، وأن نكون أمة واحدة، وأن يجتمع بعضنا إلى بعض، ويستفيد بعضنا من بعض، وأن نجعل أنفسنا كداعٍ واحد، وطريق ذلك أن يجتمع في كل بلد الزعماء الذين لهم كلمة في إخوانهم ويتدارسون الوضع ويجتمعون على خطة تكون جامعة للجميع، حتى وإن اختلف منهاج الدعوة إلى الله ﷻ، فهذا لا يهم، المهم أن نكون إخوة متآلفين على الحق متصاحبين فيه.

وأما قوله: أي هذه الطوائف أفضل؟ فأنا إذا قلت: إن الطائفة الفلانية أفضل، فهذا إقرار لهذا التفرق، وأنا لا أقره، وأرى أن الواجب أن ننظر في

أمرنا نظرة صدق وإخلاص لله ﷻ ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأن نكون يدًا واحدة، والحق والحمد لله بَيِّنٌ.

فالحق لا يخفى إلا على رجلين: إما معرض، وإما مستكبر، أما من أقبل على الحق بإذعان وانقياد فإنه بلا شك سيوفق له.

س١٢: فضيلة الشيخ، هل من توجيه إلى طلبة العلم حتى يكونوا دعاة حيث إنهم يتحججون بعملية طلب العلم، وأنها تشغلهم عن الدعوة؟

ج١٢: هو في الحقيقة الدعوة التي تكون ضد طلب العلم لا خير فيها، بمعنى أنها تفوت الخير الكثير، والواجب على طالب العلم أن يطلب العلم مع الدعوة إلى الله، فمثلًا إذا رأى شخصًا معرضًا حتى في المسجد الذي يطلب فيه العلم أن يدعوه إلى الله ﷻ، ما المانع إذا خرج إلى السوق ليقضي حوائجه أن يدعو إلى الله ﷻ في السوق إذا رأى معرضًا عن دين الله، ما المانع إذا كان في مدرسته ورأى من الطلبة منهم معرض أن يدعوه إلى الله ﷻ وأن يمشي معه وأن يأخذ بيده.

لكن مشكلتنا أن الإنسان إذا رأى مخالفًا له في معصية بترك أمر أو فعل محذور كرهه واشمأز منه وأبعد عنه وأيس من إصلاحه، وهذه مشكلة، والله ﷻ بين لنا أن نصبر وأن نحتسب، قال الله تعالى لنبيه: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ فالإنسان يجب عليه أن يصبر ويحتسب، ولو رأى على نفسه شيئًا من الغضاضة فليجعل ذلك في ذات الله ﷻ، فالنبي عليه الصلاة والسلام لما كدية أدمي إصبعه في الجهاد قال:

هل أنت إلا إصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت

س١٣: فضيلة الشيخ، ما رأي فضيلتكم في إنشاء جمعيات أو مراكز بأسماء رجال قد ماتوا، ألا يُخشى بمثل هذه المراكز أن تكون فيما بعد -بعد زمن طويل- ذريعةً إلى تعظيم هؤلاء الرجال؟ أرجو توضيح هذه المسألة من كل وجه.

ج١٣: هذه المسألة -هي في الحقيقة- سلاح ذو حدين؛ فمن جهة أن هذا الرجل البارز ولا سيما الخلفاء الراشدون والأئمة من هذه الأمة ذكرهم يوجِد للإنسان أن يترحم عليهم، وأن يستغفر الله لهم، وأن يقتضي بما يعلمه من أعمالهم الصالحة، فهذا كله خير.

لكن كونه يخشى ولو على الأمد الطويل أن يُغالى فيه، وأن يُنَزَّلُوا فوق منزلتهم، فهذا خطرٌ، وإذا دار الأمر بين الخطر والسلامة فإن سلوك السلامة أولى وأحسن.

س١٤: ما قولكم في الخروج للدعوة إلى الله في المجتمعات الخارجية؛ سواء منها العربية أو غيرها من البلاد الأجنبية، فإن فريقًا من الدعاة يهتم بهذا الجانب اهتمامًا كبيرًا ويركز عليه ويدعو الناس إليه بحماس شديد؟ وهل هناك تفصيل في هذا المجال؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

ج١٤: الذي أرى أن يدعو الإنسان أقرب الناس إليه، فإن الله تعالى أول ما أرسل رسوله محمدًا ﷺ قال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝﴾، فإذا كان في بلده مجامع الدعوة وإصلاح الخلق فإنه لا ينبغي أن يخرج إلى بلد آخر ولو بجواره، وإذا لم يقم بأن كان بلدُه مستقيمًا وعلى الوجه المطلوب فلينتقل إلى الثاني ثم إلى الثالث وهكذا، ولهذا قال الله ﷻ لنبيه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝﴾، وقال لعموم المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ

يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ وكونه يذهب إلى أمريكا أو إلى روسيا أو إلى ما شابهها من الدول يدعو وبلاده بحاجة إليه، هذا ليس من الحكمة، فالحكمة أن يصلح الإنسان بلده قبل كل شيء بل أهله قبل كل شيء ثم الناس الأولى فالأولى والأمثل فالأمثل؛ اقتداءً بما أرسل الله ﷺ نبيه إليه.

س١٥ : فضيلة الشيخ، ما معنى أن يكون الفقيه متوقفًا تجاه فتوى معينة؟ وهل لنا من إيضاح حول كونكم متوقفين عن موضوع الفتوى بالجهاد في أفغانستان؟

ج١٥ : كأن السائل يريد: ما هو منشأ هذا التوقف؟ منشأ هذا التوقف أحيانًا يكون لتعارض الأدلة الشرعية عند المفتي، بأن تكون الأدلة مثلًا متجاذبة بعضها يوجب وبعضها يحلل، أو بعضها يحرم وبعضها يحلل فتوقف، هذا جانب.

السبب الثاني: أن يتوقف في الفتوى لا لتشابه الأدلة عنده، ولكن نظرًا للمصلحة ويكون شاكا في الحال التي يحكم فيها، يعني مثلًا ظهر عنده في الأدلة الشرعية هل هذا الحديث أو هذه الآية تدل على الوجوب أو لا تدل؟ فيتوقف، يعلم أن هذه الآية تدل على الوجوب أو الحديث يدل على الوجوب لكن تنزيلها على الحال المعينة مشكل عليه؛ فيتوقف.

السبب الثالث: أنه يعرف أن الآية توافق وتدل على الوجوب، وأن هذا الحال تنطبق عليها الآن، لكن قد يرى أن المصلحة في الفتوى بهذا، فيتوقف درءًا لما يخشاه من المفسدة من هذه الفتوى، وهذا كثير موجود في كلام السلف رحمهم الله، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب له اليد الطولى في

هذا؛ لأن زمن خلافته كان طويلًا، وكان ﷺ حكيما موافقا للصواب، ومن ذلك أنه منع المطلّق ثلاثًا من مراجعة زوجته وحرمها عليه مع أنها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحد، لكن عمر ﷺ رأى أن المصلحة تقضي منع تمكين الناس من المراجعة للمصلحة التي رآها في زمنه.

هذه إذن ثلاثة أسباب: إما تعارض الأدلة أو تعارض المصالح أو الإشكال في انطباق الأدلة على حال معين.

س١٦: هناك شاب يصلي الصلوات الخمس في المسجد، ونعلم أنه لا يأتي الحرام إلا أننا نسمع أنه يستمع الغناء، مع أننا لم نشهد عليه وهو يحب مجالس الخير، ولكن أحد الشباب يقول: إنني لا أحبه في الله؛ لأنه ليس جِدي أكثر وقته، فما هو القياس في الحب والمعاملة مع المسلمين؟

ج١٦: القياس في الحب ما نشأ عليه أهل السنة والجماعة -جعلنا الله وإياكم منهم-، فأهل السنة والجماعة يقولون: إن الإيمان والكفر والطاعة والفسوق تتبعض، بمعنى أن الإنسان يكون فيه خصال الإيمان وخصلة كفر، خصلة طاعة وخصلة فسوق، فيُحب المرء على معه من الإيمان ويكره على ما معه من الكفر، أو يحب على ما معه من الطاعة ويُكره على ما معه من المعصية، ولا مانع عقلًا من أن تحب شيئا من وجه وتكرهه من وجه آخر، هذا المريض يُعطى دواءً مرًّا كريه الرائحة وربما كريه المنظر أيضًا ويتناوله، فهو يحبه من وجه ويكرهه من وجه آخر.

فهذا الرجل المؤمن الذي يمارس بعض المعاصي أنا أحبه لإيمانه، فهو أحب عندي من الكافر الذي ليس بمؤمن، وأكرهه على معصيته فهو أكره

عندي من الرجل المستقيم المطيع؛ فيجتمع في قلبي لهذا الرجل محبة وكراهة وولاء وبراء، بحسب ما معه من الإيمان والطاعة ولا مانع من ذلك.

وهذا الرجل الذي وصفه السائل يجب أن يُحب بما معه من الطاعة والاستقامة وأن يكره بما معه من المعصية وهي سماع الأغاني ويُنصح بترك هذا الاستماع لعل الله ﷻ يهديه، وأنا -إن شاء الله تعالى- واثق بأن هذا الرجل إذا كان يُقبل على صلاته إقبالًا تامًّا بإخلاص وإكمال للعمل وخشوع فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

س١٧ : أراك يا فضيلة الشيخ قد ذكرت في محاضرتك ما يؤخذ على بعض الشباب الملتزم من جَفوة مع أهله إلى غير ذلك، ولم تذكر ما يفعله غالب أو معظم ما يفعله الشباب غير الملتزم، فلمَ ذكرت ذلك؟

ج١٧ : قول الأخ: إني نسيت أو تناسيت، أما نسيت فهذا أمر واقع، وقد ينسى الإنسان، لكن تناسيت فهذا قول عليَّ بلا علم، وأسأل الله أن يعفوَ عنه، وأما بالنسبة بأني لم أذكر غير الملتزم؛ لأن غير الملتزم في الواقع ليس أهلًا لأن يكون داعية، ونحن نتكلم الآن في الدعوة إلى الله ﷻ فغير الملتزم يحتاج أن يُدعى، فكيف أذهب وأتكلم معه؟! غير الملتزم إن كان أهله مثله فقد وافق من ربَّاه ولا خلاف، وإن كان أهله ملتزمين فسوف يدعونه بقدر ما يستطيعون، وعليهم أن يدعوه بقدر ما يستطيعون.

س١٨ : هل مصلى العيد له تحية أي: ركعتين قبل الصلاة؟ وما حكم تحية المسجد؟ وما رأي فضيلتكم بقول بعض الناس: لو لم يستغيثوا لنزل المطر؟

ج١٨ : أما الأول: مصلى العيد فإن العلماء اختلفوا في مصلى العيد هل هو مسجد أو مصلى؟ فمن قال: إنه مسجد أعطاه أحكام المساجد، ومن قال: إنه مصلى لم يعطه أحكام المساجد.

والفرق بين المسجد والمصلى ظاهر، فمثلًا إذا كان الإنسان في بيته واتخذ مكانًا ما يصلي فيه، فهذا مصلى وليس بمسجد، ولا يثبت له أحكام المساجد، وكذلك ما يوجد الآن في بعض الدوائر يتخذون مكانًا معينًا للصلاة، هذا أيضًا لا يثبت له أحكام المساجد.

أما من دخل مسجدًا فإنه يثبت له أحكام المسجد، والظاهر من السنة أن مصلى العيد مسجد، وقد صرح بذلك أصحاب الإمام أحمد رحمه الله فقال في المنتهى: ومصلى العيد مسجد لا مصلى جنائز.

فمصلى العيد مسجد، بدليل أن النبي ﷺ أمر في العيدين أن تؤخذ العواكف، يعني: النساء العواكف وذاوت الخدور، وأمر أن يعتزل الحيض المصلى، يعني: الحائض تعتزل المصلى لا تكون فيه، وهذا دليل على أن النبي ﷺ أعطاه حكم المسجد، وبناءً عليه نقول: إن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين» فإذا دخلت مصلى العيد فلا تجلس حتى تصلي ركعتين.

ومن العلماء من قال: حتى وإن كان مسجدًا فلا تصلي فيه تحية المسجد، كما هو المشهور من مذهب الإمام أحمد، قالوا: لأن النبي ﷺ صلى العيدين ركعتين لم يصلِّ قبلهما ولا بعدهما، وهذا ثابت في الصحيحين، ولكن ليس فيه دليل لمخالف؛ لأن النبي ﷺ دخل المسجد فتقدم فصلى فكانت صلاة العيد مجزئة عن تحية المسجد، كما لو دخل الإنسان والإمام يصلي الفجر فصلى مع الإمام صلاة الفجر أجزأته من تحية الفجر.

وأما كونه لم يصل بعدهما فلأنه عليه الصلاة والسلام كان يبدأ في الخطبة، وليس لصلاة العيد رافضة بعدها، ونقول أيضًا هو الجمعة عليه

الصلاة والسلام لا يتقدم ويأتي قبل الخطبة، فإذا جاء خطب وصلى ثم انصرف إلى بيته فصلى ركعتين، فهو لم يصل قبل الخطبة ولا بعدها، فهل تقولون: إن الرجل إذا جاء إلى المسجد الجامع يوم الجمعة فلا يصلي قبل يوم الجمعة ولا بعدها؛ لأن الرسول ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها؟ لا، لا نقول بهذا.

أما قول من قال: لو لم يستغيثوا لنزل المطر، هذا في الواقع أخاف على صاحبه من خطر عظيم، فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ والله ﷻ حكيم قد يؤخر فضله ليعلم الناس شدة افتقارهم إليه، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، ويجعل سبب نزول المطر هو دعاء الناس، وإذا دعا الناس ولم يمطروا فلله تعالى في ذلك حكمة فهو ﷻ أعلم وأحكم وأرحم بعباده منهم بأنفسهم.

كثيرًا ما يدعو الإنسان بشيء ولا يحصل، ثم يدعو ولا يحصل، ثم يدعو ولا يحصل، وقد قال النبي عليه الصلاة و السلام: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل**» قالوا: كيف يعجل؟ قال: «**يقول: دعوت ودعوت فلم يستجب لي**» وحينئذ يدع الدعاء -والعياذ بالله-، مع أنك لا تدعو الله تعالى بكلمة إلا أثبت عليها؛ لأن الدعاء عبادة، فأنت على كل حال رابح، بل جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**أن من دعا فإنه يحصل له إحدى ثلاث: إما أن يستجاب له، إما أن يصرف عنه من السوء ما هو أعظم، وإما أن تدخر له يوم القيامة**» إذن أنت لست بخاسر.

وإني أوجه نصيحتي إلى الأخ القائل وأقول له تب إلى الله ﷻ، فإن هذا ذنب عظيم مضاد لأمر الله تعالى بالدعاء ومحاد لله، فعلى قائل هذا أن يتوب إلى الله ﷻ وأن يندم وأن يكثر من دعاء الله تعالى في نزول الغيث وفي غيره من مصالح العباد.

س١٩ : إن تطبيق بعض السنن تثير كراهية العوام لهذا الإنسان الملتزم الداعية إلى الله كأن يفطر في شهر رمضان حال غروب الشمس أمام الناس في المسجد ولم يؤذن المؤذن بعد، فما رأي فضلتكم؟

ج١٩ : هذا الرجل فعل السنة بلا شك؛ لأن السنة تعجيل الفطر، وفي الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال عن الله ﷻ: «**أحب عبادي إلي أعجلهم فطرًا**»

فهذا الرجل إذا أفطر أمام الناس لا ينبغي أن يفطر ويسكت، بل يبين لهم ويقول لهم يا إخواني إن الله ﷻ جعل الإفطار مقرونًا بغروب الشمس لا بأذان المؤذن، إلا من لا يعلم غروب الشمس، قال الله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ أم إلى أذان المغرب، بل إلى الليل.

وقال النبي ﷺ: «**إذا أقبل الليل من هاهنا وأشار إلى المشرق، وأدبر النهار من هاهنا وأشار إلى المغرب، وغربت الشمس؛ فقد أفطر الصائم**»، لكن إذا كنت لا تشاهد الشمس فلا تفطر حتى يؤذن، بدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام : «**إن بلالًا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر**»

س٢٠: فضيلة الشيخ، كثرت الانتقادات هذه الليلة على الجماعة التي تسمى جماعة الدعوة والتبليغ مع العلم أن هذه الجماعة لها دور بارز في الدعوة وخاصة مساعدة الذين قد وقعوا في الكبائر، الرجاء نصح هذه الجماعة للدعوة السليمة بدلًا من التحذير منها، خاصة أن هنا عددًا كبيرًا منها.

ج٢٠: أما قول الأخ: إنه كثرت الانتقادات فأنا ما رأيت انتقادًا واحدًا، وإنما رأيت أنه كثرت الجماعات، وما أشبه ذلك، ومن هؤلاء الذين ينتقدون هذه الجماعة، فأنا أرى أن هذه الجماعة فيها خير كثير ولها تأثير بالغ لا يوجد في الجماعات التي أُعلنت أشد تأثيرًا منها، فكم من كافر آمن بدعوتها، وكم من عاص أطاع بدعوتها، وهذا أمر مشاهد لا ينكر، لكن الذي أنتقده على هذه الجماعة -حسب ما أرى- هو أنهم يحتاجون إلى العلم، وأنه بلغني عن بعضهم أنه لا يرغب العلم ولا التعمق في العلم، ويقول: دعوا التعمق للعلماء وما شابه ذلك.

وهذه خطأ، هذا هو الذي أنتقده عليهم، وكذلك بلغني عن زعماء لهذه الجماعة في الأقطار الإسلامية عامة أنهم على انحراف بالغ في العقيدة، فإذا صح هذا فإن الواجب الحذر منه ، والاقتصار على جماعتنا داخل بلادنا لئلا نغتر، وعلى كل حال أنا رأيي في الجماعة أن فيهم خيرا كثيرا ولكنهم لا يخلون من تقصير أو قصور، كما أنني أحذر إذا صح ما أُخبرت به وأظنه صحيحًا من الزعماء الذين هم خارج بلادنا، فبلادنا والحمد لله فيها علماء وفيها صلحاء ولا حاجة إلى أن نذهب إلى خارج حدودنا، الواجب أن الناس يستقون منا لا أننا نستقي من الناس، فمن أين انبعث الإسلام، من بلادنا من هنا، وسيرجع إلى هنا، الإيمان يرجع إلى المدينة، فهذه البلاد هي أول

الإسلام وآخر الإسلام، ومن ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام: «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب»، وقال في مرض موته: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»، وقال فيما رواه مسلم: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلمًا».

لماذا خص جزيرة العرب بهذا التنزيه من هؤلاء النجس؛ لأن لها شأنًا كبيرًا في أن تبقى خالصة، لا يجتمع فيها دينان دين الإسلام ودين الكفر، ومع الأسف الشديد أن منا الآن مَن يفضلون استقدام غير المسلمين على استقدام المسلمين، لماذا؟ يقول: لأن هؤلاء لا يصلون فأنا أكتسب من ورائهم، لكن المسلم يصلي لنصف ساعة وهو يعمل لنصف ساعة، هؤلاء الكفار لا يطالبوننا بالذهاب إلى العمرة أو إلى الحج، هؤلاء الكفار لا يصومون رمضان وما أشبه ذلك من الأمور التي سيلقى هؤلاء جزاؤهم عند الله إذا وقفوا بين يديه يوم القيامة، ويجعلون إخوانهم المسلمين في بلادهم كبلاد الجاوى وما أشبهها، ويأتون بهؤلاء الذين يستفيدون منا بما قد يكون على إخواننا المسلمين هناك، وأنا في الحقيقة أخشى على هؤلاء إذا ماتوا أن يحاسبوا على فعلهم هذا.

س٢١: شيخنا الكريم، ما قولكم الآية الواردة في القرآن الكريم: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾؟

ج٢١: قولنا فيها ما قال الله ﷻ، أن الله أمرنا أن نصلح أنفسنا وأن نحافظ على صلاحها، وإذا غل مَن غل من الناس لا يضرنا، كما قال الله تعالى لنبيه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾، فالإنسان إذا اهتدى لا يضره مَن عصا، لكن إذا لم يغير الناس المنكر أوشك الله أن يعمهم بعقابه كما قال

تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

هؤلاء العصاة لا يضرونك أنت في الآخرة فينقصون من حسناتك أو يزيدون في سيئاتك، لكن في الدنيا قد يشملكم العذاب، اللهم إلا إذا فرطت فيما يجب عليك من الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ذلك يضرك، لكن هذا الضرر ليس من ظلمك أو من نفسك، أما هم ما ضروك، أنت الذي ضررت نفسك؛ لأنك لم تقم بما أوجب الله عليك؛ لأن الله اشترط قال: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، ومعلوم أن من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله فإنه لم يهتدِ تمام الاهتداء.

س٢٢: فضيلة الشيخ، أنا شاب أريد الجهاد في سبيل الله، وأريد من فضيلتكم أن تخبرني ما العمل الذي أعمله حتى أكون صالحًا للجهاد في سبيل الله؟

ج٢٢: أهم شيء في ذلك أولًا: الإخلاص لله ﷻ وأن يكون قصدك من جهادك أن تكون كلمة الله هي العليا.

ثانيًا: إصلاح نفسك داخليًّا.

ثالثًا: أن تكون عندك لياقة بدنية واستعداد قوي لذلك.

ورابعًا: أن تتعلم أساليب الحرب الحديثة قبل أن تدخل ميدان المعركة.

وخامسًا: أن لا يكون عليك واجبات أهم بأن يكون خروجك للجهاد معارضًا لبر الوالدين، فإن بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله؛ لحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟

قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

فإذا كان ذهابك إلى الجهاد في سبيل الله يمنع برك والديك فإن برك والديك أفضل من ذهابك إلى الجهاد.

س٢٣: فضيلة الشيخ، ما رأي فضيلتكم فيمَن يصف العالم الفلاني بالتشدد والآخر بالضد (أي: متساهل) والمتساهل قد يكون قد أحل ما حرم الله ويتعارض مع الدليل؟ ثم ما هو الحل في هذا الأمر الذي ظهر مؤخرًا بعدم صلاة الفجر في المساجد بعذر النوم؟

ج٢٣: أما الأول: فإنه لا يجوز للإنسان أن يتبع عالمًا لأنه أسهل؛ لأن هذا من باب اتباع الهوى، ولكن يتبع العالم لأنه عنده أقرب إلى الحق من العالم الآخر، فهذا واجب عليه؛ لأنه من اتباع الهدى، فمثلًا: إذا استفتى عالمًا وأفتاه بأمر لا يناسبه ذهب إلى عالم آخر، هذا معناه أنه لا يريد شرع الله، أما من قال: أنا أثق بعلم هذا الرجل ودينه فأستفتيه دون غيره، سواء كان أشد من غيره أو أخف فهذا متبع للهدى ولا حرج عليه في ذلك.

وأما تهاون الناس في صلاة الفجر فهو مؤسف بلا شك، لكني لا أرى أن النوم عذر لمن كان يمكنه أن يقوم، فإن الآن -والحمد لله- الأمور متوفرة يمكنك أن تقوم بأن تضع عند رأسك ساعة منبهة، يمكنك أن تقوم بأن تضع التليفون عند رأسك وتقول لبعض إخوانك الذين يقومون: إذا أذن فنبهوني، كما يفعل ذلك مَن يفعله من الناس، وأنا حدثني رجل أثق به تمامًا أنه كان في الرياض ويوقظ أولاده في المدينة لصلاة الفجر، بواسطة التليفون، الأمر في يدك، ثم إنك ربما تثقل عليك صلاة الفجر لأنك لا تنام إلا متأخرًا، وأنا

أبلغكم حديثًا عن رسول الله ﷺ: **«أنه كان يكره النوم قبل العشاء، والحديث بعده»**.

وأكثر الناس اليوم بل كثير من الناس يمضي أكثر الليل قبل أن ينام، ومع هذا ليس سهره هذا على أمر لا بد من السهر عليه، بل هو على أمر فضولي، بل قد يكون على أمر لا يكسب به إلا إثمًا.



الحكمة في الدعوة

الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخليله وأمينه على وحيه، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، وبلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنه يسرني في هذا اليوم أن ألتقي بإخواني أساتذة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وبأبنائي طلابها، هذه الجامعة لا تحتاج إلى إطراءٍ وثناء؛ لأن التعبير بالآثار أولى من التعبير بالأخبار، إن هذه الجامعة -ولله الحمد- لها أثرٌ كبير في العالم الإسلامي، فما من شاب تخرج منها إلا كان له الأثر في بني قومه من مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها، وهذا شيء معروف بالتتبع، ونرجو أن يكون من أبنائنا الذين يتخرجون الآن وسيتخرجون إن شاء الله في المستقبل نرجو منهم أن يكون لهم أسوة صالحة حسنة في مَن كان من قبلهم، بحيث يذهبون إلى أوطانهم وبني قومهم فيعينونهم مما انتهلوه من هذه الجامعة الإسلامية المباركة.

أيها الأخوة إن طالب العلم عليه وظائف لابد أن يتحلى بها، فمن ذلك أنه يجب عليه إخلاص النية في طلب العلم، وذلك بأن يكون قصده في تعلمه امتثال أمر الله تبارك وتعالى حيث أمر بالعلم وأثنى على أهل العلم، قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، وعلى هذه الآية ترجم البخاري رحمه الله بابٌ العلم قبل القول والعمل، وأثنى الله على المتعلمين، وقال: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة، لذلك فيجب على الإنسان إذا تعلم العلم الشرعي أن ينوي بذلك امتثال أمر الله؛ حتى يكون تعلمه عبادة يتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى.

ولقد نص الإمام أحمد أن طلب العلم أفضل من النوافل القاصرة التي لا ينتفع بها إلا من قام بها، وقال رحمه الله (أعني: الإمام أحمد): تفكر ليلة أحب إليَّ من قيامها؛ وذلك لأن العلم ينتفع به صاحبه وينتفع به غيره، فالعلم باقٍ، فما بقي الناس ينتفعون به فإن أجره مستمرٌّ لصاحبه؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علمٌ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**».

ولا أحتاج إلى ضرب الأمثال الكثيرة إلى ذلك، فها هو أبو هريرة من أفقر الصحابة رضي الله عنهم ومع ذلك لا يزال ذكره إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله تعالى في الأبد، من أجل علمه الذي نشره بين الأمة، وها هم أئمة الهدى من التابعين وغيرهم، ما زال ذكرهم بين الورى سائرًا من أجل ما علموه عباد الله من شريعة الله.

وعلى طالب العلم أن يخلص النية لله -عز وجل- بأن ينوي بذلك امتثال أمر الله، ومن هذا أن ينوي بطلبه العلم رفع الجهل عن نفسه وعن أمته، فإن

الإنسان أخرجه الله من بطن أمه لا يعلم شيئًا، وهو لا يزال في ازدياد في علمه كل يوم يتعلم فيه غير ما تعلمه في اليوم الذي قبله، إذًا فطلب العلم كلما ازداد الإنسان فيه ازداد علمًا؛ لذلك إذا نوى بتعلمه رفع الجهل عن نفسه فإنه يكون بذلك قد نوى نية صحيحة يُثاب بها عند الله -ﷻ-.

ومن ذلك أيضًا أن ينوي رفع الجهل عن الأمة؛ لأن الأمة الأصل فيها الجهل، فلابد أن يكون لها علماء يرفعون الجهل عنها، وهذا الأخير يحتاج إلى قوة في نشر العلم وأن يحرص الإنسان على نشر العلم بكل وسيلة؛ بالكتابة، بالمشافهة، بالتعليم الفعلي؛ حتى ينتفع الناس من علمه، ومن الممكن أن ينشر الإنسان علمه وهو في مجلس من المجالس العادية، فيستطيع وهو في المجلس أن يفتح كتابًا ويقرأ فيه، وإذا رأى أن ذلك مثقلًا على الحاضرين فإنه يستطيع أن يلقي مسألة من مسائل الدين ويسأل عنها حتى تتفتح له الأذهان وتشرئب إليه الرقاب ويتلقى الناس ما عنده، يلقي مسألة يقول: ما حكم هذه؟ حتى يتنازعها الحاضرون، كلٌّ يقول أن ذلك هو الحكم ثم بعد ذلك يفصل بينهم بما ترتضيه الشريعة.

إذًا عليك يا طالب العلم أن تنشر العلم بكل من تستطيع، واعلم أن نشر العلم من أسباب الهدى، كلما اهتدى الإنسان ونشر علمه في عباد الله زاده الله تبارك وتعالى علمًا.

ومما ينبغي أن يتحلى به طالب العلم أن يعمل هو بنفسه بعلمه حتى يكون علمه حجَّةً له وليس حجة عليه؛ ذلك أن العلم الشرعي إما أن يكون حجة للإنسان وإما أن يكون حجة عليه، أقول ذلك لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**القرآن حجة لك أو عليك**» فلم يذكر النبي ﷺ قسمًا ثالثًا، بل هو إما لك إن عملت به وإما عليك إن أعرضت عنه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ

مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ ليس هناك قسم ثالث، فإما أن تعمل بالعلم الذي علمت فيكون حجة لك نافعًا لك، وإما ألا تعمل ونعوذ بالله أن نكون وإياكم من هؤلاء فحين إذٍ حجة عليك.

واعلم أن نظر الناس إلى طالب العلم ليس بعينين اثنتين، ولكنه بأعين كثيرة، هم يرون إلى طالب العلم نظرة فاحصة عميقة، حتى إنهم يستدلون بآثاره قبل أن يستدلوا بأقواله، وحتى إنهم ينتقدونه في المسائل السهلة البسيطة التي لا ينتقدون غيره فيها؛ وذلك لأن طالب العلم أسوة بما يدل الناس بقول وفعله على شريعة الله، فيجب أن يكون هو أول من يقتدي بما يعلمه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وبذلك يزيده الله هدًى قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾.

ومن الأمثال بل ومن الحكم السائرة: العلم يهتف بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل، فعلى طالب العلم أن يكون أسوة حسنة في العبادة، العبادة المبنية على المنهج الصحيح؛ على الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ، وعلى طالب العلم أن يكون أسوةً حسنة في الأخلاق، يكون بشوشًا، منشرح الصدر، إذا لقيه أحد فإنه يود من كل قلبه أن يجعله في قلبه من حسن خلقه وبشاشته، وكان الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم دائمَ الْبُشْرِ كثيرَ التبسم لكن في محله.

لهذا ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة؛ يتحلى بالصدق، لا يقول قولًا كذبًا؛ لأن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا، يتحرى الصدق في كل ما يقول، يتجنب الكذب في كل ما يستطيع، لا يكذب حتى بالتورية، فلا ينبغي للإنسان أن يكون الإنسان كثير التورية؛ لأنه إذا كثرت

توريته (أي: تأويله) فإنه إذا ظهر الأمر على خلاف ما يدل عليه ظاهر كلامه فإن الناس لا يثقون به بعد، لذلك كن أخي طالب العلم صدوقًا بعيدًا عن الكذب.

وعلى طالب العلم أن يكون متحليًا بالمعاملة الحسنة، إن عامل عامل بصدق وبيان دون كذب ودون غش، بل يكون أصدق الناس ويكون أنصح الناس لعباد الله حتى يقتدي الناس به؛ لأن طالب العلم كما قلت لكم يتأسى به الناس وينظرون إلى أفعاله نظرةً فاحصة شديدة.

وعلى طالب العلم أن يدعو إلى الله تبارك وتعالى؛ لأن الدعوة هي سبيل المرسلين ومَن اتبع آثارهم، قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾، فيجب على طالب العلم أن يدعو إلى الله بمقاله وفعاله وحاله، لكن يجب أن تكون دعوته إلى الله لإصلاح عباد الله لا للانتقام منهم؛ لأن كثيرًا من إخواننا أهل الغيرة يدعون إلى الله ولكن يعاملون الغير على صفة المنتقم لا على صفة المرشد الموجه، وهذا لا شك أنه يعوق الدعوة إلى الله -ﷻ- ويوجب نفرة الناس منها، لكن عليه أن يدعو إلى الله -ﷻ- لإصلاح عباد الله.

ويجب أن تكون دعوته على بصيرة، بصيرة بماذا؟ أولًا: بصيرة فيما يدعو إليه، بحيث يكون ما يدعو إليه من الحق هو الحق لا يدعو عن جهل؛ لأن الدعوة إلى الله عن جهل تفسد أكثر مما تصلح، فلابد أن يكون على علمٍ بما يدعو إليه، مستمدٍ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا من أقوال العلماء الخالية من الدليل؛ لأن أقوال العلماء الخالية من الدليل ليس لها وزن؛ إذ إن أقوال العلماء يستدل لها ولا يستدل بها، وهذه قاعدة

يجب على طالب العلم أن يكون على علم منها، أنه لا يحتج بأقوال العلماء إلا إذا كان هناك دليل من الكتاب والسنة فيحتج بالكتاب والسنة، أما أقوال العلماء فإنه يحتج لها ولا يحتج بها.

فلابد أن يكون على بصيرة بما يدعو إليه بحيث يعلم أو يغلب على ظنه إن تعذر العلم أن هذا هو شريعة الله؛ حتى يكون داعيًا إلى الله حقيقة، داعيًا إلى سبيل الله حقيقة، لا إلى ما يتخبط فيه.

أيضًا لابد أن يكون على بصيرة من حال المدعو، بحيث ينزل كل إنسان منزلته، فدعوة العامي غير دعوة العالم، ودعوة العالم المنقاد غير دعوة العالم المستكبر، كل إنسان يجب أن يلبس له من ثياب الدعوة ما يليق بحاله، فالعامي يمكن أن تدعوه بكل سهوله بمجرد أن تبين له أن هذا هو الحق، العالم المنقاد الذي يطلب الدليل والذي متى لاح له الدليل اتبعه هذا أيضًا سهل الدعوة بحيث إذا دعوته وبينت له الدليل انقاد إليك بدون مجادلة وبدون موارة.

أما العالم المستكبر وهو الذي يريد أن ينتصر لنفسه بحق أو بباطل فهذا هو البلاء وهذا هو الذي يحتاج إلى سبيل عناء ويجب أن يستعد له الإنسان أكبر استعداد، وأن يورد على نفسه قبل أن يجادله كل احتمال يمكن أن يوجه إليه؛ حتى يكون على استعداد لمقابلة هذا العالم المستكبر الذي لا ينقاد للحق، وإنما يريد الانتصار لنفسه.

وهذا يحتاج إلى أن يكون عند الإنسان علم واضطلاع بالأدلة النقلية السمعية من الكتاب والسنة وأقوال السلف، وبالأدلة العقلية؛ لأن هؤلاء الظلمة من الناس (أعني: العلماء المستكبرين) قد لا يقتنعون بالدليل السمعي، بل لابد أن يكون هناك دليلٌ عقلي يفحمهم أو دليل فقهي يفحمهم،

فلابد من أن يكون عند الإنسان علم بالأدلة العقلية والفقهية والسمعية لمقابلة هؤلاء العلماء؛ ولهذا لما بعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «إنك ستأتي قومًا أهل كتاب»، يعني: فاستعد لهم وأنزلهم منزلتهم وكن على حذرٍ منهم؛ لأنهم سيوردون الشبهات، فيحتاج الداعي إلى معرفة هذه الشبهات والجواب عنها.

واعلم أن الدعوة إلى الله تبارك وتعالى تحتاج أيضًا إلى حكمةٍ في الدعوة، الحكمة لابد أن تكون في وضع الشيء موضعه، بل هي وضع الشيء موضعه، قد يكون من الحكمة ألا تدعو الشخص في هذا الحال، مثل أن يكون في حال غضبٍ شديد، أو كآبة شديدة، أو فرح ونشوة شديدة، أو ما أشبه ذلك مما لا يناسب أن تدعوه، هنا لا بأس بتأجيل الدعوة؛ لأنك تؤجل الدعوة لا لدفع الدعوة ولكن لمصلحة الدعوة.

كذلك أيضًا لابد أن تكون الدعوة بالحكمة في أسلوب الدعوة، فالرجل الساذج الذي ليس عنده معارضة تدعوه بما يناسب حاله، والذي عنده معارضة تدعوه بما يناسب حاله، وانظر إلى معاملة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الناس كيف يعاملهم بما تقتضيه حالهم.

وهنا أذكر قصة الأعرابي الذي جاء فبال في جانب من جوانب المسجد النبوي فزجره الناس منكرين عليه؛ لأنه فعل أمرًا منكرًا قام يبول أمام الناس وفي مسجد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذا أمرٌ منكر، ولكن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهاهم، وقال لهم: «لا تزرموه» يعني: لا تقطعوا عليه بوله، فأمسك الناس عنه، فلما قضى بوله أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يصب على بوله ماء؛ من أجل أن يطهر، وحينئذٍ زال المحظور بالنسبة لتنجيس المسجد، أما الأعرابي فإن النبي صلى الله عليه

وعلى آله وسلم دعاه، وقال له: «إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيءٌ من الأذى والقذر، وإنما هي للتسبيح والتكبير والصلاة وقراءة القرآن»، ففرح الأعرابي بهذا، وقال: اللَّهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا.

قال ذلك لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عامله باللطف، فبين له الحكم وبين له الحكمة بتأنٍ وطمأنينة واقتناع من المخاطب فقال: اللَّهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فالصحابة رضي الله عنهم زجروه وصاحوا به وكأنه وقع في نفسه شيءٌ من ذلك، ولهذا قال: ولا ترحم معنا أحدًا، أما النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعامله باللطف.

وانظر إلى القصة الأخرى قصة معاوية بن الحكم؛ فإنه جاء ليصلي مع الناس فعطس رجل من القوم فقال: الحمد لله، وما وظيفة السامع للعاطس إذا حمد الله؟ الجواب: أن يشمته، فقال له: يرحمك الله، فرماه الناس بأبصارهم (أي: نظروا إليه نظر المنكِر؛ لأنه تكلم في الصلاة) فقال: وا ثكل أمياه، فجعلوا يضربون أفخاذهم حتى سكت، ولما انصرف من صلاته دعاه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال معاوية: فبأبي هو أمي ما رأيت معلمًا أحسن تعليمًا منه، والله ما قهرني ولا نهرني وإنما قال: «إن هذه صلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» انظر إلى الحكمة.

فادعُ إلى الله بالحكمة، ومتى دار الأمر بين استعمال العنف واستعمال الرفق فما هو الأولى؟ الأولى الرفق؛ لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن الله رفيقٌ يحب الرفق في الأمر كله، وما كان أحب إلى الله فلا شك أنه أنفع لعباد الله»، فعليك بالرفق، فإن هذا المدعو إذا رافقت به ستجده مقبلًا عليك قابلًا لما تقول، بخلاف ما إذا دعوته بعنف، ولا تستكبر

أن يكون الإنسان جاهلًا فيما هو معلومٌ عندك وعند كثير من الناس، كثير من المسائل تكون معلومة الحكم فينظر الإنسان إلى شخص يمارس هذا المنكر فيظن أنه مارسه عن مكابرة وعن معاندة؛ لأن حكمه معلوم، ولكن هذه النظرة ليست بصواب.

انظر إلى مَن كان يعمل المنكر على أنه جاهلٌ به، ثم ادعه إلى تركه بالحكمة والرفق واللين، ومن ذلك (أي: من الدعوة إلى الله بالحكمة) ما يحصل في مخالفة الآخرين، لا شك أن الناس يمكن أن يتفقوا على قول إلا أن يشاء الله، لابد من الخلاف ومن راجع أسباب الخلاف عرف كيف يختلف الناس.

فأنت انظر إلى رأب الصدع، وحاول أن يلتئم الناس على شيءٍ واحد، وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولكن كيف ذلك هل هو بأن تشهر بالآخرين؟ أو أن تعنف في مجادلتهم؟ أو أن تنظر إلى باطلهم ومساوئهم دون محاسنهم؟ لا، فكل هذا ليس من الحكمة.

انظر إلى هؤلاء نظرة رحمة وعطف وإحسان حتى تتمكن من جلبهم وجذبهم إلى الحق؛ لأن المصادمة بين الفريقين في مسائل الخلاف لا تزيد الأمر إلا شدة، ولا تزيد الناس إلا تباعدًا، لكن لو تقاربوا وقالوا: تفضلوا إلى كلمة سواء والحكم بيننا ما دل عليه الكتاب والسنة، والله -ﷻ- يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾، فلنرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم نبين ما نحن عليه من

القول بيانًا شافيًا مقنعًا، ثم نتبين ما عليه الآخر من القول وننظر بين الأدلة، ونحاول بقدر الإمكان أن تلتئم الكلمة وألا يكون بيننا التفرق، وبهذا نكون قد دعونا إلى الله بالحكمة؛ لأن طلاب العلم -أيها الأخوة- ينظر الناس إليهم نظرة إجلال.

فإذا تخاصموا بينهم وتعادوا وتباغضوا وصار بعضهم ينشر مساوئ الآخرين ضعف ميزانهم عند الناس، ولم يكن لهم قيمة، لكن إذا اجتمعوا وكانوا كتلة واحدة واتفقوا فيما يتفقون عليه، وعذر بعضهم الآخر فيما يخالفه، بشرط ألا يكون مخالفًا للنص أو لطريق السلف؛ لأن ما خالف النص لا عذر للمخالف فيه، وما خالف طريق السلف لا عذر في المخالف فيه.

لكني أقول: هذا في المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد والتي يسع الإنسان القول بها، أما المسائل المعلومة التي ثبت بالنص أو بطريق السلف فهذه لا نزاع فيها، ولا يمكن الخروج عنها، فلابد أن نسير عليها.

ومن المؤسف أن بعض طلاب العلم من كبار وصغار يجعلون الهدف والميزان للمولاة والمعاداة قول فلان وفلان، أو شخص فلان وفلان، وهذا لا شك أنه من القصور، القصور في النظر والقصور في الحكمة، ما لنا ولقول فلان، وما لنا ولفلان، فلان إن كان أخطأ عن عمد فحسابه على الله، وإن كان أخطأ عن تأويل فإن كل مجتهد من هذه الأمة مأجور، إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجرٌ واحد.

والكلام على القول إذا كان خطأً لا نقبله، وإذا صوابًا نقبله حتى وإن كان صاحبه له شطحات أخرى، الحق يجب أن يُقبل من أي إنسان وإن كان له

شطحات، أما أن نجعل شطحات هذا الرجل أو انحرافات هذا الرجل سببًا للعداوة بيننا هذا -والله- عين الخطأ.

هل نحن متعبدون بأن ننحاز إلى فلان وفلان؟ أبدًا نحن متعبدون بشريعة الله، ما وافق الشريعة فهو هدفنا وهو مرجعنا، وما خالف الشريعة فليس لنا فيه اتصال، ولكن لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يكون هو مثار الخلاف وهو مثار النزاع وهو الميزان الذي توزن به الأشياء وتُقَوَّمُ به الرجال.

إنَّ كُلَّ واحد منا يعلم أن الله ﷻ قَبِلَ الحق حتى من المشركين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ هذه حجة ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ هذه حجة ثانية، فقال الله تعالى في الرد عليهم: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾، وسكت عن قولهم ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾، فهل سكوته تبارك وتعالى عن إبطال هذا يدل على إقراره أو لا يدل؟ الجواب: يدل على إقراره؛ لأن إبطال أحد الشيئين دليل على إقرار الآخر، أرأيتم قول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، القولان الأولان أبطلهم الله بقوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، والثالث سكت عنه، إذًا هم سبعة ثامنهم كلبهم؛ لأنه أقر هذا ولم ينكره بينما أنكر الآخرين.

أقول: إن الله تعالى قبل قول الحق ممن هم أعداء الحق، وممن لا يقبل قولهم بالنظر إلى أعيانهم، ألم تعلموا أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم استحفظ أبا هريرة على صدقة الفطر، وفي إحدى الليالي رأى شبحًا على صورة رجل يأخذ من الطعام فأمسكه، وقال له: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال له: إنه ذو عيال وحاجة، فرق له أبو هريرة وتركه، فلما غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال

له (أي: الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم): «ما فعل أسيرك البارحة»، قال: يا رسول ادعى أنه ذو عيال وحاجة فأطلقته، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنه كَذَبَكَ وسيعود»، (كذبك: يعني أخبرك بالكذب).

وهنا فرق بين كذَّبك وكذَبك، فكذَّبك: كذَّب خبرك، وقال: إنه ليس بصدق، وكَذَبك: أخبرك بالكذب، كما أن هناك فرقًا بين: شفاك الله وأشفاك، فشفاك الله -بدون همز- أي: أبرأك من الله، وأشفاك الله: بالهمز يعني أهلكك، ولهذا نظائر، المهم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له: «إنه كذبك وسيعود»، قال أبو هريرة: فعلمت أنه سيعود لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إنه سيعود، فعاد في الليلة الثانية، فأمسكه أبو هريرة وقال له: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فاعتذر بما اعتذر به أولًا فأطلقه أبو هريرة.

وهنا لا إشكال في إطلاق أبي هريرة له؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما أخبره أنه سيعود لم يقل: فلا تطلقه، بل سكت عليه الصلاة والسلام؛ ليكون الأمر بين يدي أبي هريرة واسعًا، المهم أنه أطلقه في الليلة الثانية ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسأله فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنه كذبك وسيعود»، فعاد في الليلة الثالثة: ولكن أبا هريرة ﷺ أصر على أن يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال له هذا: لا ترفعني، أفلا أدلك على آية من كتاب الله إذا قرأتها لم يزل عليك من الله حافظ ولا يقربك الشيطان حتى تصبح؟ فأطلقه أبو هريرة، ولم يأخذ من الطعام شيئًا.

ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبره فقال: «إنه صدقك وهو كذوب»، فهنا أقر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قولًا

صادرًا من شيطان؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لأبي هريرة: «**أتدري يا أبا هريرة مَن تخاطب منذ ثلاث؟**» قال: لا يا رسول الله. قال: «**ذلك شيطان**».

فقبل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حقًّا من شيطان؛ لأن الحق حق بقطع النظر عمن جاء به، ألم تعلم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل الحق من عالم من علماء اليهود؟ وذلك حين جاءه حبر من الأحبار فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأراضين على إصبع وذكر تمام الحديث فضحك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر؛ لأنه قال حقًّا.

فأقول أيها الأخوة يجب علينا أن نقبل الحق، ويجب علينا ألا نتعادى فيما يسوغ فيه الاجتهاد إذا اختلفنا فيه، ويجب علينا أيضًا أن ننبذ التحزب إلى أي طائفة كانت، وأن نكون تحت مظلة السلف الصالح، فإن السلف الصالح هم قدوتنا في الاتباع، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ فدلت الآية الكريمة على أن مَن لم يتبع السلف لم يحصل على رضا الله، وعلى أن مَن اتبعهم بانحراف بدون إحسان فإنه لن ينال رضا الله.

إذًا علينا أن ننظر إلى منهج السلف لا في العقائد ولا في العبادات ولا في السلوك والمنهج فقط، ننظر إلى ما كان عليه السلف، فهم خير من يقتدى بهم؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**».

هذا من الحكمة في الدعوة إلى الله، أن يكون الدعاة على مسيرة واحدة، على منهج واحد متآلفين متحابين متعاونين على البر والتقوى لا مختلفين

متفرقين، كلما اختلف الدعاة وتفرقوا قرت عيون أعداء الله ورسوله، وفرحوا بذلك فرحًا شديدًا، ورأوا أنهم لو بذلوا الدرهم والدينار للوصول إلى ما حصل من تفرق ما أدركوه؛ لذلك يجب عليكم أيها الأخوة أن توحدوا كلمتكم كلمة واحدة هي اتباع شريعة الله تعالى التي جاء بها محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم والدفاع عنها والعمل بها وحمايتها من كل من أراد أن ينالها بسوء.

ومن الحكمة في الدعوة إلى الله أن يُعَلِّمَ الناس بالقول وبالفعل، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يعلم الناس بالقول وبالفعل، فكان يحبس الوفود حتى يصلوا معه ويدركوا صلاته ثم يقول لهم: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، ومعنى حبس الوفود: أن يقول لهم لا تسافروا إلى أهليكم حتى يتعلموا ما عنده إما من قوله وإما من فعله.

وكان الصحابة رضي الله عنهم وهم خلفاء يعلمون الناس بالفعل، فقد دعا عثمان رضي الله عنه بوَضوء فتوضأ أمام الناس ثم قال: إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قال: «**من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعلم أمته الصلاة بالفعل كما حصل حين صُنع له المنبر فقام عليه وصلى عليه يصلي عليه قائمًا راكعًا وإذا أراد السجود نزل وسجد على الأرض، وقال: «**إنما فعلت هذا لتأتموا بي ولتتعلموا صلاتي**»، فما الحكمة إذا كان إنسان بين قوم أميين لا يدرون شيئًا أن يعلمهم بالفعل؟ نحن نعلم أن في بلاد بعيدة عن بلاد الحرمين أناسًا جهالًا، لا يعرفون كيف يتوضئون، ولا كيف يصلون، فمن الحكمة أن طالب العلم يدعو بماء ويتوضأ أمام الناس ويقول: هذا الوضوء، ويصلي بالناس إمامًا ويقول: هذه الصلاة.

متفرقين، كلما اختلف الدعاة وتفرقوا قرت عيون أعداء الله ورسوله، وفرحوا بذلك فرحًا شديدًا، ورأوا أنهم لو بذلوا الدرهم والدينار للوصول إلى ما حصل من تفرق ما أدركوه؛ لذلك يجب عليكم أيها الأخوة أن توحدوا كلمتكم كلمة واحدة هي اتباع شريعة الله تعالى التي جاء بها محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم والدفاع عنها والعمل بها وحمايتها من كل من أراد أن ينالها بسوء.

ومن الحكمة في الدعوة إلى الله أن يُعَلِّمَ الناس بالقول وبالفعل، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يعلم الناس بالقول وبالفعل، فكان يحبس الوفود حتى يصلوا معه ويدركوا صلاته ثم يقول لهم: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، ومعنى حبس الوفود: أن يقول لهم لا تسافروا إلى أهليكم حتى يتعلموا ما عنده إما من قوله وإما من فعله.

وكان الصحابة رضي الله عنهم وهم خلفاء يعلمون الناس بالفعل، فقد دعا عثمان رضي الله عنه بوَضوء فتوضأ أمام الناس ثم قال: إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قال: «**من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعلم أمته الصلاة بالفعل كما حصل حين صُنع له المنبر فقام عليه وصلى عليه يصلي عليه قائمًا راكعًا وإذا أراد السجود نزل وسجد على الأرض، وقال: «**إنما فعلت هذا لتأتموا بي ولتتعلموا صلاتي**»، فما الحكمة إذا كان إنسان بين قوم أميين لا يدرون شيئًا أن يعلمهم بالفعل؟ نحن نعلم أن في بلاد بعيدة عن بلاد الحرمين أناسًا جهالًا، لا يعرفون كيف يتوضئون، ولا كيف يصلون، فمن الحكمة أن طالب العلم يدعو بماء ويتوضأ أمام الناس ويقول: هذا الوضوء، ويصلي بالناس إمامًا ويقول: هذه الصلاة.

كذلك أيضًا في مسألة الصوم ومسألة الزكاة ومسألة الحج كلها يعلم الناس ويدعوهم إلى الله تعالى بالفعل، لأن ذلك أرسخ في النفس، فإن التعليم بالفعل يوجب انطباع الصورة المعينة في مكان مخيلة الإنسان حتى لا ينساها أبدًا.

أيضًا أوصي إخواني بنشر العلم الصحيح بين أهليهم، وأوصيهم ألا ينفروا الناس بسب وقدح ما هم عليه، فإن ذلك مما ينفر بين الحق، فعليكم أن تبينوا الحق أولًا، فإذا تبين الحق فإن النفوس مفطورة على الأخذ به وترك الباطل؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ مع أن آلهة المشركين واجب، لكن إذا كان يؤدي إلى سب الله وجب الامتناع عنه، جعلني الله وإياكم تعالى من الهداة المهتدين، ومن دعاة الحق وأنصاره، إنه على كل شيء قدير.



الأسئلة

س١: فضيلة الشيخ، إن كثيرًا من أبنائكم طلاب العلم الدعاة إلى الله يواجهون في سبيل دعوتهم كثيرًا من المصاعب والمشاق، حيث إنهم بين خليط من المناوئين للدعوة السلفية من مشركين ومتصوفة ومتسلطة، ولا نستطيع أن نصدع بالدعوة، فكيف نستطيع أن ننشر الدعوة السلفية بحكمة وأمان؟ وهل نواجه المنكرات أو لا؟ وهل يسوغ لنا السكوت عليها؟ وهل نحن آثمون إذا أخرنا البيان عن وقت الحاجة لحكمة؛ إذ الحاجة قائمة وماسة لبيان العقيدة؟ وفقكم الله.

ج١: أقول: إن الجواب على هذا السؤال يبين مدى حاجة الإنسان إلى معرفة دعوة النبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإلى حياته من أول بعثته إلى وفاته، إن كثيرًا منا يعلم أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أول ما دعا الناس دعاهم بصفة سرية، فكانت الدعوة سرًّا، ثم انتشرت، لكن بدون مهاجمة ما كان عليه المشركون؛ لأن الله نهاه في سورة الأنعام وهي مكية أن يسب آلهة المشركين فقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، فإذا علم الداعي أن سبه لما كان عليه هؤلاء يوجب نصرتهم منه فإن الواجب ألا يسب هذا.

فعليه أن يبين الحق أولًا بيانًا ناصعًا ظاهرًا دون أن يقول: أنتم مشركون، أنتم مبتدعون، أنتم صوفيون، أنتم كذا وكذا، فليدعُ أولًا ليبين الحق أولًا، يقول: هذه طريق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هذه طريق الصحابة رضي الله عنهم.

وكما قلت لكم: الحق دين الفطرة، فإذا كان كذلك فإن الفطرة سوف تقبل ما جاء من الحق، لكن عندما تكون المصادمة وعندما يكون السب والقذف فسوف يكون هناك مصارعة بين الحق والباطل.

وهناك شيءٌ آخر أوصيكم به وهو الأخلاق، فالأخلاق أكبر دعوة للحق، أي أن الإنسان إذا كان خليقًا حبوبًا بشوشًا صبورًا حليمًا فإن الناس سوف يألفونه ويحبونه، وأي إنسان يعارضهم فيه أو يسبه عندهم سيقولون له: ليس فيك خير، هذا رجل أخلاقه فاضلة يعين المحتاجين ويبش في أوجه المكتئبين، وهذا يعين الناس ويساعدهم إما بماله أو ببدنه إذا لم يكن له مال، فالأخلاق لا شك أنها جذابة؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**».

إن بعض الناس تحمله الغيرة على أن ينفعل ويغضب ويسب ويشتم ويقول: هذا عمر بن الخطاب كان يصدع بالحق وكان يضرب على الحق، هل أنت عمر بن الخطاب؟! أنت رجل في أول الهداية، عليك أن تتألف الناس قبل كل شيء، ثم بعد ذلك تدعوهم بما يناسب من أساليب الدعوة.

إن من المعلوم أن الأقوام الآخرين عندهم من البدع وعندهم من الشركيات ما ليس موجودًا في هذه البلاد -والحمد لله-، لكن الإنسان العاقل البصير يعرف كيف يدعو، إذا قدرنا أنه أتى إلى قومٍ يعبدون ضريحًا من الضرائح، كثيرٌ من الناس لا يتحمل، عنده غيرة، فتجده يصيح ويصرخ فيهم، أبعدوا عن هذا، هذا شرك، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، هذا الفعل ليس صحيحًا.

فيجب عليَّ أن أمكث فيهم وأنظر ماذا يفعلون، ثم آخذهم ولو واحدًا واحدًا، وأبين له وأقول: ماذا يفيدك هذا الضريح؟ ثم آتي له بالأدلة الدالة

على أن من دعا غير الله فإن هذا المدعو لن يستجيب له، وسوف يقتنع، وإذا أمكن أن يكون معه شريط مسجل فيه مثل هذه الأشياء ويعطيه إياه كان في هذا خير، ويختار من هؤلاء الرجال مَن يكون سيدًا فيهم أو له شرفٌ وجاه؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يكتب إلى الملوك من الرؤساء؛ لأن الشريف والرئيس إذا اهتدى هدى الله قومه على يده.

س٢: فضيلة الشيخ، ما معنى قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه، يتعرض من البلاء بما لا يطيق»؟

ج٢: المعنى أن الإنسان يجب عليه أن يكون حكيمًا فإذا رأى من نفسه إذا تكلم أن كلامه سينقلب عليه فإنه لا ينبغي أن يتكلم، ولنضرب بهذا مثلًا برجل يريد أن يجادل رجلًا آخر ويناظره فإذا كان لا يعلم من نفسه القدرة على رد كل ما يمكن احتماله فلا يدخل في المجادلة أصلًا؛ لأنه إذا جادل في هذا الحال أي في كونه أنه لا يستطيع أن يرد على كل احتمال فقد أزل نفسه، وإذا كانت المجادلة في حق فقد أزل الحق أيضًا، فلو كانت المجادلة بين رجل مسلم ورجل مسلم، والرجل المسلم ليس عنده إلا العلم العام بأنه لا إله إلا الله وأن عيسى عبد الله ورسوله، فإن هذا لا يكفي؛ لأن النصراني قد يورد عليه شبهات يريد بها أن يذله أولًا، فإذا أذله سيطر عليه، فهنا لا ينبغي أن يدخل تلك المجادلة، ولهذا أحذركم أن تجادلوا النصارى فيما ليس لكم به علم حتى توردوا على أنفسكم كل شبهة يمكن أن يوردوها ثم تعرفوا كيف الجواب عنها وإلا فستقعون في وحل، وسيضعف جانب الحق بسبب ضعفكم، هذا معنى قوله: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه»

س٣: يزعم بعض الدعاة أن الدعوة لا تؤتي ثمارها إلا إذا جاءت من مركز القوة والتأثير، وبناءً على هذا يسعون للوصول إلى المناصب العليا والمسئوليات زاعمين أنهم من هذا المركز يستطيعون أن يغيروا فيأمروا فيطاعوا ويتكلموا فيسمع لهم. فهل هذا المفهوم من الحكمة في شيء؟

ج٣: هذا له جانبان؛ جانب يأخذ بهذا الاعتقاد وأنه لا يمكن إقامة الحق في الخلق إلا بالسيطرة والحكم، لكن الطريق الموصل إلى هذا يخطئ فيه، فتجده مثلًا يثير الناس على ولاتهم ويعمد إلى أقبح ما يكون من ولاة الأمور فينشره بين الناس، ويعرض عن محاسن كثيرة قام بها ولي الأمر، ويغفل عن تحذير النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الاختلاف على الأئمة حتى إنه عليه الصلاة والسلام قال: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصمت»، وقال: «اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك»

فهؤلاء ليسوا على صواب، حتى وإن كان قصدهم خيرًا على أننا لا ندري ربما إذا تولوا السلطة صاروا أسوأ من الذين قبلهم، كما هو الواقع الآن، أما إنسان آخر يريد أن يَصل إلى مركز يؤهله للأمر والنهي، لكن في ظل ولاية كانت سابقة يحرم الخروج عليها، فهذا على حق، ولا شك أن له تأثيرًا.

ولذلك نرى أن هناك مدرستين ابتدائيتين؛ إحداهما مديرها نشيط في طاعة الله وفي إصلاح عباد الله فتجد من تحته من الأساتذة والطلاب والعمال يحذون حذوه، وأخرى نظير المدرسة الأولى لكن مديرها لا يبالي، وليس له هم إلا منصبه، وربما يكون على خط مخالف، فتجد مَن تحته غالبًا يحذون حذوه.

فالإمرة والولاية من إدارة أو عمادة أو غيرها لها أثرها، لكن ما ذكر في

المنهج الأول من الخروج على الأئمة من طرف خفي أو واضح هذا هو المنكر، فلذلك يجب الكف عن نشر مساوئ ولاة الأمور من العلماء أو الأمراء؛ لأن نشر مساوئهم ليس كنشر مساوئ رجل السوء، فنشر مساوئ رجل السوء وإن كان حرامًا؛ لأن غيبة لكنه لا يؤثر ذلك التأثير الذي يكون من نشر مساوئ ولاة الأمور من العلماء والأمراء؛ لأن هذا إن ضر فإنما يضر صاحبه أي الرجل الذي تُكُلِّم فيه إن ضر.

لكن الكلام في العلماء يضر بشخص العالم، وبما يحمله من شريعة الله، فإن الناس إذا نزل ميزان العالم عندهم نزل ميزان قوله الذي هو صواب على الكتاب والسنة، ويكون هذا الناشر لمساوئ العالم يكون سببًا في إخفاء كثير من شريعة الله، فيسيء سيئتين سيئة إلى العالم وسيئة إلى ما يحمله من شريعة الله ويبلغه إلى الناس، وربما كان هذا العالم خيرًا منه في أمور كثير، كذلك أيضًا الأمراء نشر مساوئهم ليس إساءة إليهم بأعيانهم، ولكنه إساءة إليهم وإلى حفظ النظام في الأمة، ولولا الخلافة لم تعمل لنا سبل، وكان أضعفنا نهبًا لأقوانا، وكذلك إساءة إلى الأمة كافة ونشر الفوضى بينها والتمرد على ولاة الأمور، وحينئذٍ لا يعرف حاكم من محكوم.

ولهذا أحذركم أيها الأخوة من هذه الطريقة الهوجاء المخالفة لمنهج السلف، المخالفة لما جاء بالكتاب والسنة، إذا رأيتم أو إذا سمعتم من عالم خطأً فعليكم بالأمور التالية: الأمر الأول التتبع، فكثير ما يُنقل عن العلماء ما لم يقولوه، وما لا يقرونه، فعليكم أولًا بالتثبت، مَن جاء الخبر؟

ثم إذا ثبت عندكم ما نقل إليكم فعليكم النظر الدقيق، ومعرفة هل هو خطأ أو صواب؛ لأن الإنسان قد يظن هذا خطأً في أول وهلة ثم إذا تأمل وجد أنه صواب، والحكم على الأشياء ليس في مبادئها ولكن في غاياتها، فعليكم أن

تنظروا وتتأملوا: هل لهذا القول وجه صحيح؟ إذا كان الأمر كذلك وجب عليكم قبوله لا لأنه قول فلان وفلان، لكن لأنه حق.

ثم يجب عليكم أيضًا أن تذبوا عن عِرض هذا العالم، وتقولون للناس: إن هذا الذي قاله صواب، فإذا لم يتبين لكم صوابه بعد التأمل اتصلوا بالعالم، فالعالم قد يخطئ إما أن يجهل الأدلة أو أن ينساها، فاتصلوا به وقولوا: بلغنا عنك كذا وكذا، ونريد أن نسترشد برأيك، ولا تخاطبوه مخاطبة الند للند؛ لأنه عالم أكبر منكم يجب عليكم أن تحترموه، يجب عليكم أن تتأدبوا معه، تكلموا معه بكلام لطيف، بلغنا عنك كذا وكذا فنحب أن ترشدنا إلى وجهة نظرك.

فإذا قال وجهة نظره فإن اقتنعت بها يجب عليك أن تدافع عنه، وإن لم تقتنع بها أورد عليه الإشكال، وقل له: ألا يرد على قولك كذا وكذا؟ بلطف واحترام، أما بعنف وكأنك أنت شيخٌ أو كأنك نده، فهذا ليس بلائق لطالب العلم.

ولقد بلغني أن من الناس من قيل له: إن هذا قول الإمام أحمد، يقول: من الإمام أحمد؟ الإمام أحمد رجل وأنا رجل . . سبحان الله! نعم كل واحد عليه لباس الذكور لكن هناك فرق بين الرجال، فهذا سوء أدب، وهذا إعجابٌ بالنفس، وهذا يوشك أن يحبط عمله وألا يجعل الله في علمه بركة، فإذا تمت مناقشة العالم بهدوء فإما أن يتبين أن الحق في خلاف قوله وحينئذٍ يجب عليه أن يعلن رجوعه عن قوله، ويقول: كنت أقول بكذا ولكن تبين لي كذا، وليس عليه نقص في هذا، بل هذا هو كماله، وهذا مما يزيد الناس ثقة بقوله، وإذا لم يتبين له الحق صرتما مختلفين في أمر يسوغ فيه الاختلاف والاجتهاد، هذا كل رأيي.

أما الأمراء فكذلك ما بلغك عنهم فعليك أن تتبع هذه المراحل: التثبت ثم التأمل ثم المناقشة، ثم اعلم أن الأمير لا ينظر إلى الشعب من جانب واحد، بل هناك أنابيب متعددة توصل إليه ما يقع في الشعب وما يقع من الشعب، وأنت لأنه لا ولاة لك قد تنظر من زاوية واحدة ويخفى عليك أمور كثيرة يعرفها الأمير، يعني مثلًا لنفرض أن رجلًا أساء إساءة في نظرك سهلة، وأن الأمير أجرى عليه عقوبة ترى في نفسك أنها أعظم حجمًا من إساءته، أنت نظرت من زاوية واحدة، مما بلغك من الإساءة، لكن الأمير عنده قنوات كثيرة فيها إساءات متعددة ومتنوعة لهذا الشخص، إن ضم بعضها إلى بعض استحق هذه العقوبة التي ترى أنت أنها أكبر حجمًا من الإساءة التي بلغته.

وهذا شيء جربناه بأنفسنا، فلسنا نقول هذا عن ظن أو تخمين، نظن أن السيئة واحدة في الشخص وأن عقوبته أعظم وأكبر مما فعل، ثم يتبين بالدلائل التي ندين الله بها أنها دلائل بأن العقوبة ليست من أجل هذا الذنب وحده، بل هناك ذنوبٌ تراكمت واستوجبت أن يُعطى ما رآه ولي الأمر حقًّا في عقوبته، كل هذا يا إخواني يخفى عن الناس.

كذلك أيضًا بالنسبة للعالم، العالم قد يرى رأيًا هو خلاف ما يظن أنه حق من حيث النظر، لكن يرى هذا الرأي من حيث الترضية، أضرب لكم مثلًا الطلاق الثلاث في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام واحدة، وكان في عهد أبي بكر كذلك، وفي سنتين من خلافة عمر واحدة، لكن لما كان الطلاق الثلاث حرامًا، وكثر من الناس رأى أمير المؤمنين عمر ﷺ بثاقب نظره وحكمة سياسته أن يلزم الناس أنه ثلاث، فالإنسان الذي يقول لزوجته: أنت طالق طالق طالق، ماذا يريد؟ يريد أن تبين منه، فعجل الطلاق الثلاث.

فرأى عمر بثاقب نظره وبالغ حكمته التي تليق بالبشر رأى أن يلزمهم

بالبينونة، فمنعهم من الرجوع إلى زوجاتهم وجعل هذا طلاقًا بائنًا؛ لأن الإنسان التزم به، وتعدى حدود الله فيه، فأنت الآن ترى أن هذه الفتيا من عمر وبما أنه ولي الأمر رأى الإلزام بها له وجهة نظر غير مجرد النظر العلمي.

ربما يرى بعض الناس مثلًا أن ترك الواجب في الحج لا يوجب فدية؛ لأنه لا يرى استقامة الدليل من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «من ترك شيئًا من نسكه أو نسي فليرهق دمًا» يرى أن هذا لا يوجب الدم؛ لأن الأمر من ابن عباس رضي الله عنه وإن كان له حكم الرفع قد لا يقصد الوجوب، فقد يكون للاستحباب مثلًا.

لكن يرى من حيث التربية أن الناس لو قيل لهم في ترك واجبات الحج ليس عليكم إلا الاستغفار وليس عليكم ذنب، ماذا يكون من الناس؟ الجواب: التهاون في الواجبات، ويقول: ليس علي فدية في ترك المبيت في مزدلفة وترك رمي الجمار وترك المبيت بمنى وترك طواف الوداع وترك الإحرام من الميقات، والاستغفار سهل.

ولهذا دائمًا نقول للناس إذا استفتوا: توبوا إلى الله واستغفروه، فعليكم بالتوبة في غير هذه المسألة، أما هذه المسألة فنفتي بما جمهور العلماء بوجوب الدم، لكن في غير هذه المسألة نقول: عليك أن تتوب إلى الله وأن تستغفر ولا تعود.

وربما يخالف العالم ما يقتضيه النفس من العلم لأجل تربية الناس وحملهم على ما يقتضيه النص، والأمراء قد يغلظون العقوبة لوجود إساءات أخرى لا يعلمها كثيرٌ من الناس، نسأل الله أن يتوب علينا وعليكم جميعًا.

س٤: هل من الحكمة العمل مع الأحزاب الإسلامية التي تواجه العلمانية والشيوعية وغيرها من المبادئ الهدامة أم الحكمة ترك هذه الأحزاب وترك العمل السياسي مطلقًا؟ جزاكم الله خيرًا.

ج٤: الحكمة في هذه الأحزاب: أن نعمل بما كان عليه السلف الصالح من سلوك الطريق الصحيح لأنفسنا أولًا، ثم في إصلاح غيرنا، وفي هذا كفاية في رد الأعداء، والعمل مع الفرق الأخرى الضالة التي تنتسب إلى الإسلام قد لا يزيد الأعداء إلا شدة؛ لأنهم سوف يدخلون علينا من البدع الضالة، ويقولون: أنتم تقولون كذا وكذا؛ لأننا أمامهم طائفة واحدة، فيحصل لنا الضرر بهذا الاجتماع المشتمل على البدع والسنة، لكننا نجانب هذا كله وندعو من طريق واحد، وهو طريق السلف الصالح وكفا به كفاية.

وما هذا الفكر الذي يقول: نجتمع كلنا من أهل السنة وأهل البدع في مقابلة الأعداء، ما هذا النظر إلا كنظر من يقول: هات الأحاديث الضعيفة واجمعها في الترغيب من أجل أن يرغب الناس في الطاعة، وأن يرهبوا من المعصية، وهذا خطأ، ولهذا لا نرى إيراد الأحاديث الضعيفة لا في الترغيب ولا في الترهيب إطلاقًا إلا مقرونة ببيان الضعف؛ لأن في الأحاديث الصحيحة الكفاية، كذلك في طريق السلف الخالص من شوائب البدع فيه الكفاية.

س٥: هناك من يقول: إن وسائل الدعوة توقيفية. فهل هذا المقال صحيح؟ وهل هناك فرق بين وسائل الدعوة وبين أساليبها؟

ج٥: أنا لا أعرف الفرق بين الأساليب والوسائل؛ لأن الأساليب معناه أسلوب الكلام مثلًا وطريق إلقاء الكلام وما أشبه ذلك هذا ما أفهمه، لكني

أرى أن وسائل الدعوة إذا كانت لا يتعبد الإنسان بهذا الشيء بعينه، وإنما يريد الوصول إلى بيان الحق أن هذا لا بأس به، والأمة الإسلامية على هذا، تدوين الأحاديث وترتيبها وكتابتها، وكذلك بناء المدارس وغيرها من الأشياء الكثيرة التي حدثت، بل تصنيف العلوم كله لم يكن معروفًا في عهد الصحابة، لكنه وسيلة لتحقيق العلوم وجمع شتاتها وتقييم فهمها.

فكل ما كان وسيلة ولم يقصد به قصد الغاية، بمعنى أنه لم يُجعل نفسه غاية، فهذا لا بأس به، وليس فيه أي بدعة، وأضرب لكم مثلًا في غير العقائد مكبر الصوت في المساجد الآن هل كان معروفًا في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه؟ الجواب: لا، لم يكن معروفًا، فهل يمكن لأحد أن يقول: هذا بدعة منكرة، أبدًا لا يمكن إلا أن يكون جاهلًا، الجهل لا حد له.

وكذلك الخطوط البيضاء التي في فرش المساجد الآن هل كانت معروفة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه؟ لا، لكنها الآن مع فرش المساجد بالفرش صار لها فائدة عظيمة في ترتيب الصفوف، ولا يمكن لأحد أن يقول: إن هذا بدعة؛ لأنه لم يقصد بها التعبد لله -ﷻ- بوضعها، إنما قصد بها الوصول إلى تحقيق أمر شرعي وهو تسوية الصفوف.

ومن المعلوم أيضًا أن الصحابة رضي الله عنهم أشد امتثالًا لتطبيق السنة في ترتيب الصفوف من الناس في هذا الوقت، فصارت هذه وسيلة إلى أمر مقصود شرعي ولم يقصد بها التعبد، إنما قصد بها إقامة الصفوف.

قد يقول قائل: إن هذا من التنطع في دين الله، فما كُلفنا بأن نضع خطوطًا لإقامة الصفوف، نقول: ليس هذا من التنطع، كان الصحابة رضي الله عنهم

يقيمون الصفوف حتى يلصق أحدهم كعبه بكعب صاحبه، وهذا يدل على أن الواجب التحري التام في إقامة الصف وتسويته، وهذه الخطوط يحصل بها المقصود.

وإنني بهذه المناسبة أرى كثيرًا من الإخوة يظنون أن معنى قول الصحابة: حتى إن الرجل في الصفوف يلصق كعبه بكعب أخيه أي: أنهم يفرجون بين أرجلهم حتى يكون الإنسان كأنه هرم أعلاه دقيق وآخره واسع، ما كان الصحابة يريدون هذا، بل كان الصحابة يريدون أن يتراصوا بمناكبهم وأقدامهم حتى إن الإنسان يلصق كعبه بكعب أخيه.

فإنك تشاهد في بعض الأحيان في بعض المساجد إذا جئت الصف وجدت بين مناكب الرجال مقدار أربع أصابع بين كل منكب ومنكب، ووجدت الرجلين متراصًا بعضها إلى بعض، ورأيت الرجل قد فرج بين رجليه حتى كانت هذه الفرجة تسع لساقين آخرين، هذا فهم غير المراد مما جاء عن السلف رحمهم الله، ولذلك أحذر إخواننا طلبة العلم ألا يتسرعوا في فهم النصوص على غير المراد بها، بل يتأنوا ويفكروا وينظروا في كلام العلماء السابقين، هل قال أحد منهم إنه يسن للإنسان أن يفرج بين رجليه، هذه كتب بين أيدينا وإنما قالوا: إنهم يتراصون بحيث يلصق الرجل كعبه بكعب الآخر.

س٦: بعض السائلين صرح ببعض الوسائل مثل الأناشيد التي صار بعض الناس ينشغل بها آناء الليل وأطراف النهار، ويتأثرون بها ربما أبلغ من تأثرهم بالقرآن، فما رأيك يا شيخنا؟

ج٦: هذه لا شك خطأ، أن يكون الإنسان يجعل تأثره مقصورًا على هذه الأناشيد أو على غيرها من كلام البشر هذا غلط عظيم لا شك فيها، يجب أن

تجعل قلبك متأثرًا بما جعله الله موعظة وهو القرآن، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعظ أصحابه، فأحيانًا يعظهم موعظة تذرف منها العيون وتوجل منها القلوب، فهذا الذي يريد أن يُعرض عن موعظة الكتاب والسنة إلى هذه الأناشيد لا شك أنه أخطأ، وأنه غلط منه.

لكن ربما يكون الإنسان عنده ملل وكآبة إما في سفر فمثلًا طال به الطريق أو ما أشبه ذلك فيستمع إلى مثل هذه الأناشيد من أجل أن يرقق قلبه، فهذا لا بأس به، وقد وقع ذلك من بعض الأئمة في سالف الأمة، أما انقلاب هذه الأناشيد إلى أصوات رخيمة ونغمات جميلة وضرب من ألحان الغناء الماجنة فهذه لا نراها إطلاقًا؛ لأنه بلغنا أن هذه الأناشيد التي يسمونها الأناشيد الإسلامية تحولت إلى هذا إلى أصوات جميلة جذابة يتلذذ بها الإنسان لا من حيث الموضوع، ولكن من حيث الصوت، وإلى نغمات موسيقية وإلى ألحان كألحان ألغناء الماجنة، هذه لا نقرها ولا نراها.

س٧: سمعت من بعض الإخوان عن بعض المشايخ أنه لا يجوز الإنكار في المسائل الاجتهادية، فهل هذا القول صحيح؟ وما معنى هذا القول؟

ج٧: لا، هذا القول رده شيخ الإسلام رحمه الله وغيره من العلماء المحققين، فإنه لا يصح إطلاق هذا القول إلا مقيدًا، وهو أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد التي يسوغ فيها الاجتهاد؛ لأن الناس يختلفون في العلم، ويختلفون في الفهم، ويختلفون في النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وليس أحدٌ قوله حجة على أحد، أما إطلاقها فلا.

وأضرب لكم مثلًا بذلك: رجلان تعشيا عشاء فيه لحم إبل، وكان أحدهما يرى أن لحم الإبل لا ينقض الوضوء، والثاني يرى أن لحم الإبل ينقض الوضوء، هل ينكر أحدهم على الآخر؟ لا، لو قام الذي يقول: إنه لا ينقض الوضوء وصلى أمامي وأنا أرى أنه ناقض الوضوء ما أنكرت عليه، بل أصلي خلفه وأنا أعتقد بأني لو صليت بهذه الحال لم يكن لي صلاة، لكن هو له صلاة، فأصلي خلفه؛ لأنه إمامٌ صحت صلاته بنفسه، لا تصح صلاته بغيره.

س٨: ما الصواب في مسألة نقض الوضوء بأكل لحم الإبل؟

ج٨: الصواب وجوب الوضوء من أكل لحم الإبل مطلقًا لا كبد وكرش ولا أمعاء ولا لحم ولا شحم؛ لعموم قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**توضئوا من لحوم الإبل**»؛ ولأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم سئل عن الوضوء من لحم الإبل فقال: «**نعم**»، وعن الوضوء من لحم الغنم قال: «**إن شئت**»، وكونه يجعل الأمر راجعًا إلى مشيئة الإنسان في لحم الغنم يدل على أن لحم الإبل لا مشيئة للإنسان فيه وأنه يجب عليه أن يتوضأ، فالصواب من وجوب الوضوء من أكل لحم الإبل سواء كان قليلًا أو كثيرًا، مقليًا أو مطبوخًا يطلق عليه اسم اللحم في العرف أو لا يطلق.

س٩: من نشأ في بلاد المبتدعة لا يعرف شيئًا عن حقيقة الفرقة الناجية، ثم أتى إلى هذه البلاد ودرس في جامعاتها وعلى أيدي شيوخها الكبار، وقرأ كتبًا من جملة عقائد أهل السلف كالتوحيد لابن خزيمة وغيره، فهل بهذا يعتبر قد أقيمت عليه الحجة بحيث إذا بقي على بدعته يحكم بابتداعه على التعيين؟

ج٩: لا شك أن من درس السنة من القرآن والسنة والكتب المؤلفة في آثار السلف أنه قامت عليه الحجة، وإذا لم تقم عليه الحجة في مثل هذا ففي أي شيء تقوم عليه الحجة، ويقال: إنه مبتدع.

ولكن لاحظوا أن الابتداع نوعان: ابتداع مطلق في المعتقد والمنهج، هذا يصلح أن نطلق عليه أنه مبتدع، وابتداع في مسألة معينة، هذا يجب أن نقول: إنه مبتدع في هذه المسألة المعينة؛ لأن من الناس من هم من أهل السنة ومشهود لهم بالخير ونشر العلم وخدمة السنة النبوية لهم أخطاء في العقيدة، هؤلاء نقول: هم مبتدعة في هذا الأمر، لكن لا نطلق عليهم أنهم مبتدعة مطلقًا، ونقول: لا نقبل مما كتبوه شيئًا لا صوابًا ولا خطأً، هذا غلط.

فيجب أن يقبل الصواب من أي شخص، وأن يرد الخطأ من أي شخص، ومن كان مبتدعًا في منهجه العام أطلق عليه اسم مبتدع، ومن كان مبتدعًا في شيءٍ معينٍ قيد وصفه بالابتداع في هذا الشيء المعين.

س١٠: هناك قضية مهمة يعاني منها العالم الإسلامي في العصر الحاضر ألا وهي انتشار المؤسسات النصرانية التي تسمى بالمؤسسات التبشيرية، انتشروا في العالم الإسلامي ويساعدون المسلمين؛ وذلك بإنشاء المدارس وبناء المستشفيات والمساجد، ويريدون بذلك تنصير العالم. فهل يجوز أخذ مساعدات منهم؟ وهل هذا من موالاتهم؟

ج١٠: أخذ المساعدات منهم من أجل أن يتقوى بها على الرد عليهم هذا طيب، أما أخذ المساعدات منهم الذي يوجب محبتهم والميل إليهم والدفاع عن منهجهم فهذا حرام ولا يجوز، فإذا علم الإنسان من نفسه أنه لو أخذ قرشًا واحدًا أوجب ذلك أن يميل إليهم ويحبهم ويغضي عن مساوئهم هذا لا يجوز له أن يأخذ شيئًا؛ لأن هذا على حساب الدين.

وأما إذا أخذ شيئًا من أموالهم يستعين به على عبادة الله، ويستعين به على بيان بطلانهم عليه فهذا جيد ولا بأس به، لاسيما مع الحاجة، وإلا فالاستغناء عنهم وتركهم أولى وأحسن.

س١١: سؤال ملحق بهذا: هل يجوز أخذ الوظائف منهم كأن يعمل معهم؟

ج١١: لا أرى أنه يجوز ما دام يعلم أنهم يريدون بذلك أن يدخلوا الناس في النصرانية؛ لأن هذا مساعدة على الباطل، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

س١٢: ما هو المنهج الحق في نقض أقوال العلماء والدعاة في هذا الزمان، أهو بذكر الأخطاء فقط أم بذكر الصواب والخطأ أم يختلف ذلك باختلاف أحوال المنتَقَد؟ وفقكم الله.

ج١٢: هذا فيه تفصيل: أما من أراد أن يقوِّم الشخص فليذكر حسناته وسيئاته إلا إذا كانت السيئات تغلب الحسنات فهنا لا يذكر الحسنات؛ لأنه إذا ذكر الحسنات يكون قد خفف من شأن السيئات، وأما إذا كان يريد بيان الخطأ فليبين الخطأ وإن كان صاحبه له إحسانٌ كثير، ولكن في هذا الحال لا يبين أن فلانًا هو المخطئ؛ لأنه إنما يريد بيان الخطأ فقط.

س١٣: إنه في بلادنا انتشر بعض الشباب الذين قرءوا بعض الكتب مثل كتب ابن العربي وغيره، ويقولون: إن الله في كل مكان، فكيف يمكن أن نقنع هؤلاء ونرد عليهم إذ إنهم يرفضون كل الأدلة النقلية؟ ماذا نفعل معهم؟ وهل يكفرون بهذا الاعتقاد؟

ج١٣: نقول لهم أولًا: هل تؤمنون بالله ورسوله؟ إن قالوا: نعم، قلنا: هذا كلام الله وهذا كلام رسوله وهذا كلام السلف الصالح وهذا كلام أئمة الأمة كلها متفقة إجماعًا قطعيًّا على أن الله تعالى في السماء، فما منهم أحد قال: إن الله في كل مكان، وما منهم أحدٌ قال: إن الله تعالى لا يوصف بأنه

في السماء، كلهم متفقون على أن الله في السماء، أما إذا قال: إنه لا يؤمن بالله ولا برسوله ولا بأقوال السلف، فهذا على كل حال مرتد كافر، ولا إشكال في كفره.

وإن كان يقول: أنا لا أؤمن بالأدلة السمعية، فهذا ليس بمؤمن فلا حاجة لأن نجادله؛ لأنه كافر، أما إذا قال: أنا لا أؤمن بدلالتها، فحينئذ نبين له الدلائل، يعني: هناك فرقًا بين من ينكر النص ومن ينكر دلالة النص، دلالة النصوص على علو الله لا يمكن إنكارها؛ لأنها دلالة صريحة متنوعة جاءت بمعان كثيرة متواترة على هذا العلو، ثم نقول: الفطرة تؤكد الدلالة، فإذا قال قائل: يا ألله، أين ينصرف قلبه؟ إنما ينصرف قلبه إلى العلو، لا ينصرف يَمنة ولا يَسرة.

أما من قال: إن الله بذاته في كل مكان، فإنه يُبين له الحق، فإذا أصر فهو كافر، أين يكون الله إذا كان في كل مكان؟! أفي المساجد أم في الأسواق أم في الحُجر أم في الغرف أم في الأماكن القذرة؟! إن لازم هذا القول أن يكون الله تعالى في الأماكن القذرة، والعياذ بالله، ومن يجرؤ على هذا، ثم يقول: يلزم من قولك تعدد الآلهة أو تجزؤ الإله، أو حلول الأشياء في ذات الإله إذا كان الله تعالى في كل مكان.

ومن العجب أن هذا الباطل المنكر الذي أقر به أعداء الرسل قد قوبل بمنكر أعظم منه، وهو أن الله تعالى ليس في السماء ولا في الأرض ولا متصل بالعالم ولا منفصل ولا مباين ولا محايد، وهذا يستلزم إنكار الله - ﷻ- تمامًا، يعني: لو كان لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا يمينه ولا شماله ولا متصل ولا منفصل فلا شيء أشد وصفًا للمعدوم من هذا الوصف.

أما أهل الحق من الرسل وأتباعهم فإنهم يؤمنون بأن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه في السماء، وأنه مستوٍ على العرش حقيقة استواءً يليق بجاهه وعظمته، وأن استواءه على العرش علوٌّ خاص بالعرش؛ لأن قولنا: استوى على العرش أي: علا عليه لا شك في ذلك، وهذا مقتضى اللغة العربية التي نزل القرآن بها.

فعندنا الآن شيئان؛ أحدهما: إثبات علو الله، ولا أحد أنكره إلا من اتبع الشياطين وزاغ عن طريق العقل والفطرة والسمع والإجماع، ثانيهما: الاستواء على العرش، فهناك من يقر بعلو الله لكن ينكر استواءه على العرش وهذا قبيح، فإن الله تعالى ذكر الاستواء في كتابه في سبعة مواضع، ما منها موضع واحد يدل على تحريف هؤلاء القوم الذين قالوا: إن استوى على العرش بمعنى استولى عليه، وسبحان الله أن يفهم فاهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أن العرش قبل ذلك كان ملكًا لغير الله، وأنه حصلت معالجة ومقاتلة بين الله وبين صاحب العرش أولًا حتى استوى الله عليه، ولا شك أن استواء الله على العرش أي علوه عليه، لكنه علو خاص يليق بالله -ﷻ-.

وليس الاستواء عامًّا لكل المخلوقات، وإلا لقيل: إن الله استوى على العرش واستوى على السماء، وهذا ممتنع، فالاستواء على العرش خاصة، والعرش فوق كل المخلوقات، والله تعالى فوق العرش لا يحصره شيء من مخلوقاته وهو -ﷻ- فوق المخلوقات كلها، وليست المخلوقات بالنسبة إليه إلا شيئًا لا يذكر.

س١٤ : إن بعض أهل البدع ويمثل بذلك بالرافضة قد انتشروا في بلادهم وأفسدوا عقائد الشباب بما عندهم من إمكانات وإغراءات، فكيف نستطيع أن نواجه هذا الفكر وأمثاله من الأفكار الضالة؟

ج١٤ : الحق -والحمد لله- واضح، وكلما عظمت البدعة صارت دلالة الحق على إبطالها أشد، البدع إنما تضر إذا كانت خفية، أما إذا كانت واضحة فإن الأدلة على بطلانها تكون أوضح وأبين، ولذلك لا تنطلي البدع الظاهرة على كثير من الناس، ومن تأمل ما مضى في التاريخ وما كان حاضرًا تبين له ذلك، وأنه كلما كانت البدعة أوضح صار أتباعها أقل وأذل، فتقابل البدع بأي نوع من أنواعها بالسنة، والسنة -والحمد لله- واضحة صريحة ظاهرة؛ ولهذا نوصي إخواننا الشباب إلى أن يقرءوا كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإن فيها علمًا عظيمًا في الرد على أهل البدع بجميع أشكالهم وألوانهم.

س١٥ : إذا كنت داعيًا في قرية وفي مسجد القرية قبرٌ في مؤخرته، هل من الحكمة في الدعوة أن أصلي معهم في ذلك المسجد وأقوم الدعوة فيه من إلقاء كلمة أو قراءة كتاب في حلقة، أو أنه لا يجوز لي ذلك وأنفرد بمن استجاب للدعوة في مكان آخر ونتخذ مصلى، علمًا بأن ذلك ينفر كثيرًا ممن نرجو أن يهتدوا إلى الحق ويذعنوا له؟

ج١٥ : الواقع أن هذا يرجع إلى قيمة الشخص في هذه القرية، إن كان له قيمة واعتبار وشرف وجاه فإن بإمكانه أن يبقى أسبوعًا أو أسبوعين أو ثلاثة في هذا المسجد يعظهم ويذكرهم ثم يأتي بأسلوب جذاب يبين أنه لا حق في قبر أحد من الناس في المساجد.

أما بالنسبة للصلاة في المسجد الذي به قبر فإن في ذلك تفصيلًا: إن كان قبره مبنيًّا على المسجد فإنه قبرٌ منكر منهي عنه حتى قال النبي عليه الصلاة والسلام: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد».

فيجب أن يُهدم، ويبقى القبر على ما هو عليه، ولا تجوز الصلاة في هذا المسجد، وأما إذا كان المسجد قديمًا ودفن به الميت، فإنه يجب أن يخرج الميت ويدفن مع الناس، والصلاة في هذا المسجد صحيحة ما لم يكن القبر في قبلة المصلي، فإن كان في قبلة المصلي فقد نهى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يصلى إلى القبور.

أما إذا كان الإنسان ليس له شرف ولا قيمة بين الناس فمن المعلوم أنه لو انفرد عن المسجد وجعل له أتباعًا فسوف ينال الدعوة ضرر من ذلك، والإنسان العاقل ينظر إلى الحكمة في ذلك، إذا كان من الحكمة أن يأتي إلى هؤلاء ويعطيهم دروسًا فليفعل، وإلا فليتجنب.

س١٦: هل كل من خالف سلف الأمة سواء في المنهج العقدي أو الدعوي في مسألة من المسائل يعد مبتدعًا أو لا؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

ج١٦: نعم هو على ما ذكرنا أولًا؛ أن الابتداع نوعان؛ مطلق ومقيد، فإذا خالف السلف في شيء معين، فهو مبتدع في ذلك الشيء المعين، ويجب أن تقيد بدعته في ذلك، أما إذا كان المنهج كمذهب مؤسس مخالف لمذهب السلف فهنا يصح أن نصفه بالابتداع المطلق.

۞ ۞ ۞

الابتلاء سنة الدعوة

الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا عباد الله، اتقوا الله تعالى ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واصبروا على ما أصابكم إن ذلك من عزم الأمور، إن المعروف إذا لم يؤمر به ولم يُحيَ بالعمل به والتواصي فيه ذهب واضمحل؛ فانهدم بذلك جانب من دينكم وصار العمل بهذا المعروف بعد ذلك منكرًا مستغربًا بين الناس، وإن المنكر إذا لم ينهَ عنه ويحذر الناس بعضهم بعضًا شاع وانتشر بين الناس وأصبح معروفًا لا ينكر ولا يستغرب، وقيسوا ذلك يا عباد الله بما انتشر بينكم من منكرات كنتم تنكرونها من قبل وتستغربون وجودها بينكم، فأصبحت الآن بينكم وكأنها أمر معروف لا ينكره الدين ولا ينكره العقل ولا العرف.

إن كثيرًا من الناس لا يشكون في فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا ينسئون في فائدته للأمة، ولا في فائدته للحاضر والمستقبل،

ولكن يتقاعس كثير من الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إما تهاونًا وتفريطًا، وإما اعتمادًا على غيرهم وتسويفًا، وإما يأسًا من الإصلاح وقنوطًا ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ وإما جبنًا يلقيه الشيطان في قلوبهم وتخويفًا والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

أيها المسلمون أيها المؤمنون، إن تخويف الشيطان إياكم أولياءه أو تسليطهم عليكم لا ينبغي أن يمنعكم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ذلك أمر لا بد منه إلا أن يشاء الله ﷻ امتحانًا من الله وابتلاء، إن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قائم مقام الرسل كما قال الله تعالى في وصف خاتمهم وسيدهم: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ فإذا كان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قائمًا مقام الرسل فلا بد أن يناله من الأذى ما يناله كما قد نال الرسل، ولقد لاقى الأنبياء والرسل من أقوامهم أشد الأذى وأعظمه حتى بلغ ذلك إلى حد القتل، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾.

انظروا أيها المسلمون إلى ما جرى للرسل الكرام؛ فهذا أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فكان ملؤهم وأشرافهم يسخرون منه، لكنه عليه الصلاة والسلام صامد في دعوته يقول لهم: ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ حتى قالوا متحدين له: ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وقالوا مهددين له:

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ أي: من المقتولين رجمًا بالحجارة، وهل ثناه ذلك عن دعوته، ما زال يدعو إلى الله حتى فتح الله بينه وبين قومه فأنجاه والذين آمنوا معه وأغرق المكذبين له.

وهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الرحمن وإمام الحنفاء لبث في قومه ما شاء الله، يدعوهم إلى الله ﷻ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾، فما ثنا ذلك عن عزمه ولا أوهنه عن دعوته، مضى في سبيل دعوته إلى ربه بعزم وثبات وأزال منكرهم بيده فغدا إلى أصناهم فكسرها ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾، فلما رجعوا إلى أصنامهم وعلموا أن الذي كسرها إبراهيم طلبوا أن يؤتى به ليوبخوه على أعين الناس فأشهد الناس ما يقول.

فهل جَبُن أن يقول قول الحق في هذا المقام العظيم؟ كلا، بل قال لهم موبخًا: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾، فعزموا على تنفيذ ما هددوه به ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾، فأبرموا نارًا عظيمة، وألقوا إبراهيم فيها وهي شد من ما تكون اتقادًا ولكن رب العزة خالقها ومن بيده ملكوت كل شيء قال لها: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فكانت بردًا لا حر فيها، وسلامًا لا أذى فيها، فهل ناله ما أراد به قومه؟ هل احترق في هذه النار؟

وهذا موسى ﷺ ماذا حصل له من فرعون المتكبر الجبار، دعاه موسى إلى الله العلي الأعلى وقال له: ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فقال فرعون ساخرًا به: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقال لملئه: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، ثم توعد موسى قائلًا: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾

فهل خاف موسى من ذلك؟ هل وهنت عزيمته عن الدعوة إلى الله ﷻ؟ بل مضى في هذا حتى بين لفرعون من الآيات ما يهتدي به أولو الألباب، ولكن فرعون استمر في غيه واستكباره وقال مهددًا موسى بالقتل ومتحديًا له أن يدعو ربه قال: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾، وقال لوزيره هامان ساخرًا بالله ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾.

ولكن موسى صلى لله عليه وسلم صبر على كل ما لاقاه من فرعون وقومه، فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة أن فرعون وقومه أصابهم ما ذكر الله ﴿إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ * كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

وهذا عيسى ﷺ أوذي من جانب اليهود فكذبوه، ورموا أمه بالبغاء (أي: الزنا)، وقالوا: إن مريم-وحاشاها مما قالوا- زانية، وعزموا على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام، واجتمعوا عليه، فألقى الله شبهه على رجل فقتلوا ذلك الرجل وصلبوه ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ قال الله تعالى مكذبًا لما ادعوه من القتل والصلب: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾﴾.

وهذا خاتم الرسل وأفضلهم وسيدهم أعظم الخلق جاهًا عند الله، هل سَلِمَ من الأذى في دعوته إلى الله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر؟ لا، بل ناله ﷺ ناله على ذلك من الأذى القولي والفعلي ما لا يصبر عليه إلا مَن كان مثله ولم يثنه ذلك عن دعوته إلى الله ﷻ، دعاهم النبي ﷺ إلى عبادة الإله

الواحد ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾.

وكانوا إذا رأوا النبي ﷺ اتخذوه هزوا وقالوا ساخرين به: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا * إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾، وقالوا: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾، ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾، ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾، فآذوا النبي ﷺ بكل ألقاب السوء والسخرية، ولم يقتصروا على ذلك بل آذوه بالأذى الفعلي، فكان أبو لهب وهو عم النبي ﷺ وجاره كان هذا العم المنكر للصلة كان يرمي بالقذر على باب النبي ﷺ، فيخرج النبي ﷺ فيزيله ويقول: «**يا بني عبد مناف أي جوار هذا**».

وفي صحيح البخاري عن عبد الله مسعود رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ قائم يصلي عند الكعبة وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال قائل منهم: أيكم يذهب إلى جزور آل فلان (أي: إلى ناقتهم) فيجيء بسلاها ودمها وفرثها فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فذهب أشقى القوم فجاء به، فلما سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: وأنا أنظر لا أغني شيئًا، لو كانت لي منعة، فجعل أبو جهل وأصحابه يضحكون حتى يميل بعضهم إلى بعض من الضحك، ورسول الله ﷺ ساجد تحت الكعبة لا يرفع رأسه، حتى جاءت ابنته فاطمة تسعى وهي جويرية حتى ألقته عنه، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال: «**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش ثم سمى فلانًا وفلانًا**».

وفي صحيح البخاري أيضًا، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي في فناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب

رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر ﵁ فأخذ بمنكبي عدو الله ودفعه عن النبي ﷺ وقال: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم.

ولما اشتد به الأذى من قومه خرج إلى الطائف رجاء أن يؤوه، ويمنعوه من قومه، فلقي منهم أشد ما يلقى من أذى، وقالوا له: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم يقفون له في الطريق ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه قال النبي ﷺ: «**فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب**».

أيها المسلمون هؤلاء الخمسة هم أفضل الرسل هم أولو العزم من المرسلين، ومع ذلك نالهم من الأذى ما نالهم بالدعوة إلى الله ﷻ، وما أحلى الدعوة! وما أحلى ما أن ينال العبد من الدعوة إلى الله ﷻ! إذا أصيب الإنسان في الدعوة إلى الله وفي الأمر بالمعروف وفي النهي عن المنكر، إذا أصيب بذلك فإنما هو في رضا الله ﷻ، وما أحلى المصائب إذا كانت في رضا الله ﷻ! ما أحلاها إذا كان الإنسان لم يصبه ذلك إلا بسبب قيامه بما أوجب الله عليه من الدعوة إلى الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

أيها المسلمون إن هذا الصبر العظيم على هذا الأذى الشديد الذي لقيه نبينا محمد رسول الله وإخوانه من أولي العزم لأكبر عبرة يعتبر بها المؤمنون الداعون إلى الله والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؛ ليصبروا على ما أصابهم ويحتسبوا الأجر من الله، ويعلموا أن للجنة ثمنًا ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

اللهم إنا نسألك في مقامنا هذا يا منان يا بديع السماوات والأرض يا حي يا قيوم يا أكرم الأكرمين أن تجعلنا من الدعاة إليك على بصيرة، وأن ترزقنا الصبر على ما ينالنا في ذلك، وأن تجعلنا ممن الذين يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، إنك جواد كريم.

اللهم صل وسلم على عبد ورسولك محمد وعلى آله، وأصحابه أجمعين.

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما أمر، وأشكره وقد تأذن للزيادة لمن شكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولو كره ذلك من أشرك به وكفر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد البشر الشافع المشفع في المحشر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير صحب ومعشر، وعلى التابعين لهم إحسان ما بدا الفجر وأنور، وصلى تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الناس، فإن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي طريق الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، هي الطريق الموصل إلى الجنة، ولا تظنوا أيها الدعاة أيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أن هذا الطريق مفروش بالورد والريحان، إنه والله طريق وعر، إنه طريق صعب، يحتاج إلى صبر وإلى احتساب الأجر من الله ﷻ وإلى أن ينسى الإنسان نفسه في ذات الله ﷻ.

أيها المسلمون، إن الجنة حفت بالمكاره، وإن النار حفت بالشهوات، فلا بد لمن سلك طريق الجنة أن يسلك تلك المكاره بوعورتها وطولها، ولكنها يسيرة على من يسرها الله عليه، فإن الإنسان إذا احتسب ونوى بدعوته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر إقامة دين الله وإصلاح عباد الله سهل عليه الأمر وتيسير وصار ما يناله في ذلك حلاوة يريد بها الأجر عند الله ﷻ.

ولكن لا بد للداعية من أمرين إن لم يتحلَ بهما فإن دعوته تضيع فائدتها:

الأمر الأول: أن يكون على بصيرة وعلم حتى يكون كأتباع النبي ﷺ ويحقق بذلك متابعته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، فإذا لم يكن الداعي إلى الله أو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر على بصيرة وعلم صار ما يفسد أكثر مما يصلح، وصار ممن يقول على الله بغير علم.

ولقد رفع لي رجل سؤالًا في هذا الأسبوع يقول فيه: إن رجلًا من الناس قام فينا وقال: إن الذي يستمع المواعظ أو يستمع الخطب من الأشرطة المسجلة إنه قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، انظروا إلى الجهل أيها المسلمون، يستمع الإنسان إلى المواعظ في الطريق التي من الله بها علينا في هذا العصر، وأرى أنها من نعمة الله لما فيها من تقييد العلم وحفظه وسهولة أخذه، هذه الأشرطة التي تسجل فيها العلوم الشرعية والخطب النافعة يقول عنها هذا الواعظ الجاهل: إنها من كبائر الذنوب.

وأنا أقول له أقول له: إن فتواك هذه هي التي من كبائر الذنوب؛ لأنك قلت على الله ما لا تعلم وقد قرن الله القول عليه بلا علم بالشرك فقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾، حتى قال ابن القيم رحمه الله: إن القول على الله بلا علم مضرته أكبر من مضرة الشرك.

أيها المسلمون، أيها الواعظون، أيها الغائرون على دين الله، إياكم أن تتكلموا في دين الله بما لا تعلمون، فإنكم إن افتريتم كذبا فإنما تكذبون على ملك الملوك الذي يعلم السر وأخفى، وإذا كان النبي ﷺ يقول: «من كذب

علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» ، فكيف بمن كذب على الله ﷻ؟ وقال: إن الله حرم هذا وأحل هذا وهو لا يعلم ولم يبنِ ما قاله على بصيرة.

إن من الناس من تأخذه الغيرة في دين الله فيحرم ما أحل الله، زاعمًا أنه بذلك يحمي دين الله ﷻ، ولكنه بذلك يسيء إلى دين الله تعالى أكثر مما يكون مصلحًا فيه.

فاتق الله أيها المسلم لا تقف ما ليس لك به علم، كما قال ربك: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

فلا بد للداعية إلى الله والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه وفيما يأمر به وفيما ينهى عنه، وإلا كان ضرره على عباد الله وضرره في دين الله أكبر من نفعه وأشد.

أما الأمر الثاني: فأن يدعو إلى دين الله تعالى بالحكمة، وهي أن يضع الأشياء مواضعها، وأن يقدر الأمور بتقديرها، فليس خطاب الجاهل كخطاب المعاند، وليس خطاب الإنسان المستعد للقبول كخطاب الإنسان المستكبر، فلكل مقام مقال، ولكل حال أمر يليق بها.

وإذا أردت أن تعرف كيف كانت دعوة النبي ﷺ فتأمل مثلين أذكرهما لك الآن:

أما المثل الأول: فإنه رجل جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «ما أهلكك»، قال: وقعت على امرأتي في رمضان وأنا صائم (أي: جامع زوجته في رمضان وهو صائم)، وهذا بلا شك ذنب عظيم، ولهذا أوجب الله فيه على لسان رسوله ﷺ أغلظ الكفارات.

هل وبخه النبي ﷺ؟ هل سفهه؟ هل نهره؟ أبدًا، سكت، بل قال له: «أعتق رقبة»، فقال: لا أجد، ثم أمره أن يصوم شهرين متتابعين، فقال: لا

أستطيع، ثم أمره أن يطعم ستين مسكينًا، فقال: لا أجد، ثم جلس الرجل فجيء إلى النبي ﷺ بتمر، فقال له النبي ﷺ: «**خذ هذا التمر فتصدق به**» (يعني: أطعمه ستين مسكينًا)، فقال: يا رسول الله أعلى أفقر مني، والله ما بين لابتيها (يعني: ما بين لابتي المدينة وهما حرتاها) أهل بيت أفقر مني، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه أو أنيابه، ثم قال للرجل: «**خذ هذا فأطعمه أهلك**».

جاء إلى النبي ﷺ خائفًا يقول: إنه هلك، ورجع من النبي ﷺ غانمًا بطعام لأهله، هذه الدعوة التي تدخل القلوب وتبهج النفس وتدخل السرور والرضا والانشراح بمعالم هذا الدين وشرائع هذا الدين.

أما القصة الأخرى: فرجل كان لابسًا خاتمًا من ذهب، فقال النبي ﷺ: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار يلقيها أو قال يضعها في يده**»، ثم نزع النبي ﷺ الخاتم فطرحه في الأرض، ليس هذا الأسلوب مع هذا الرجل كالأسلوب مع الرجل الأول، مع أن الرجل الأول فعل أمرًا عظيمًا، فطرح النبي ﷺ الخاتم، فلما انصرف النبي ﷺ قيل للرجل: خذ خاتمك انتفع به، قال: والله لا آخذ خاتمًا طرحه النبي ﷺ، وتركه على الأرض.

إذن فالحكمة أن تضع الأشياء مواضعها، وأن تقدر الأمور بمقاديرها، وأن تستولي بأسلوبك وبدعوتك على عقول الناس وقلوبهم قبل أن يأخذك الحماس والغيرة فتنتهرهم وتوبخهم، فإن الإنسان إذا قابل غيره بمثل هذا الأسلوب (أعني: بأسلوب التوبيخ والتسفيه والكهر والنهر) فإنه ربما ينفر ذلك ويستكبر وتأخذه العزة بالإثم فيقول في دين الله ما هو أكبر من معصيته.

أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم من الدعاة إليه على بصيرة، واعلموا

أيها المؤمنون أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، فعليكم بهدي النبي ﷺ، ادعوا إلى الله، مروا بالمعروف، انهوا عن المنكر، لا تحقروا شيئًا، لا تيئسوا إن القلوب بيد الله ﷻ بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء، ولقد سمعنا ولله الحمد أن كثيرًا ولا سيما من الشباب هداهم الله ﷻ على أيدي المخلصين الدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الذين يسلكون الأمور مسالكها، ويأتون البيوت من أبوابها.

فسيروا أيها المسلمون على ذلك لا تجبنوا لا تخافوا لا تيئسوا لا تهملوا لا تهاونوا حتى في أبنائكم وبناتكم وأهليكم، وإياكم أن تكونوا من شرار عباد الله الذين إذا رأوا في أبنائهم أو بناتهم استقامة أخذوا يهزئونهم ويحقرونهم في البيت حتى يضيقون عليهم البيت.



الحكمة وسيلة من وسائل الدعوة

الشيخ محمد بن صالح العثيمين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

موضوعنا أيها الإخوة الكرام عن قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ والخطاب كما نعلم كلنا موجه إلى رسول الله ﷺ، والخطاب الموجه إلى رسول الله ﷺ موجه إليه وإلى أمته؛ إما عن طريق التأسي، وإما عن طريق التبع.

عن طريق التأسي: يكون أصل الخطاب لرسول الله ﷺ ويشملنا نحن؛ لأننا مأمورون بالتأسي به.

عن طريق التبع: يكون الخطاب الموجه إلى رسول الله ﷺ موجهًا إلينا أيضًا في أصل الوضع، لكن خوطب به النبي ﷺ لأنه هو الإمام، وطالب العلم يعرف الفرق بين العبارتين.

ولْيعلم أن الخطاب الموجه إلى رسول الله ﷺ إما أن يدل الدليل على أنه خاص به فيختص به، أو يدل الدليل على أنه عام فيعم، أو ليس به دليل على هذا ولا هذا، فهو الذي ذكرت فيه الاحتمالين السابقين.

مثال ما دل الدليل على أنه خاص بالرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ هل هذا الخطاب أيها الإخوة عام للرسول ﷺ ولغيره أم خاص به؟ الإجابة: أنه خاص بالرسول ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ الخطاب صُدِّرَ أولًا بخطاب النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ ثم قال: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ فوُجِه الخطاب بعد ذلك إلى عموم الأمة، وهذا دليل واضح على أن هذا الخطاب ليس خاصًا بالرسول عليه الصلاة والسلام، أما بقية الخطابات التي ليس فيها ما يدل على هذا ولا هذا فلا شك أن الخطاب الذي وُجه للرسول ﷺ يشمل الأمة؛ إما عن طريق التبع أو عن طريق التأسي كما أثبتنا أولًا.

على كل حال نرجع إلى الآية الكريمة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ هل هذا الخطاب خاص بالرسول ﷺ أم هو عام له وللأمة؟ الجواب: بأصل وضعه خاص ادع أنت إلى سبيل ربك؛ لأنه في سياق قوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٣﴾.

لكن لا شك أن الأمة مثله في هذا الأمر؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾، إننا إذا تأملنا هذه الآية وجدنا أنه لا بد للداعية أن يكون مخلصًا لله في دعوته؛ لأنه قال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾

فلا بد من إخلاص الداعي في دعوته بأن يكون غرضه من دعوته الوصول أعني: وصول المدعو إلى سبيل الله ﷻ، لا يقصد بذلك الانتقام من هذا المدعو أو الانتقام لنفسه غيرة لله؛ لأن بعض الأخوة الدعاة إذا دعوا الناس إلى دين الله يحملهم على ذلك الغيرة والانتقام من هذا المدعو الذي خالف الحق، فتجده بناء على ذلك يدعوه بعنف وغلظة، وإذا خالفه غضب انتقامًا لنفسه لا غضبًا لله ﷻ، وهذا ليس بمخلص، المخلص هو الذي يدعو عباد الله إلى الله ﷻ، لا إلى نفسه، لا لأجل أن يكون كلامه هو المعمول به أو هو المقبول أو هو الذي عليه الناس، هو لا يهمه إذا عمل الناس بالحق أن يكونوا موافقين له أو مخالفين له، يهمه أن يعمل الناس بالحق.

ولهذا فهو يدعو إلى الله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ هذا هو الداعي الذي يريد أن يكون الخَلْق مُتَمَشين على شريعة الله لا أن يكونوا متبعين له بمجرد كونه متبوعًا، ولكن يريد من الناس أن يلتزموا بالحق، يقول الله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ الحكمة يقول الله تعالى فيها: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾.

فما هي الحكمة؟

الحكمة: هي إتقان الشيء بأن يكون الإنسان متقنًا دعوته لله، فتكون دعوته مصحوبة بالدليل؛ لأنه إذا لم تكن الدعوة مصحوبة بالدليل فإن المدعو قد لا يقتنع، قد تدعو شخصًا فتقول له: احضر الجماعة؛ لأن الجماعة واجبة، قد لا يقتنع بذلك، فلا بد أن تذكر الدليل، سواء طلب منك الدليل بالفعل أو رأيته متشوقًا لطلب الدليل، والناس يختلفون، من الناس من هو عامي محض يكيفه أن تقول له: احضر الصلاة فإن الجماعة واجبة وتاركها آثم؛ فيحضر.

ومِن الناس مَن يتطلب الدليل؛ إما محبة للدليل ليعبد الله على بصيرة، وإما تعنتًا، ولكن عليك أن تقوم الدليل عليه، فمن الحكمة أن يقرن الإنسان دعوته إلى الله ﷻ بالدليل متى رأى الحاجة داعية إلى ذلك.

ومن الحكمة أيضًا: أن يُنَزِّلَ الناسَ منازلَهم في الدعوة إلى الله وتوجيه الخطاب إليهم، والناس في هذا المقام ينقسمون إلى ثلاثة أقسام؛ قسم معاند: تعرف أنه معاند وأنه يكره الحق، فهذا يُدعى بما يليق بحاله، وقسم آخر جاهل: لا يَعرف الحق، فهذا يُدعى أيضًا بحسب حاله، وقسم ثالث: يُشْكِلُ على الإنسان أمره، فهل ندعوه بالشدة أو باللين؟ الجواب: أن ندعوه باللين؛ لأن هذا هو الأصل، والنبي عليه الصلاة والسلام لما بعث البعوث إلى البلاد أمرهم بالتيسير وعدم التعسير.

وأنا أضرب لهذا أمثلة يتبين بها أن الدعوة إلى الله ﷻ تختلف بحسب حال المدعو:

المثال الأول: دخل رجل إلى المسجد والنبي ﷺ جالس بأصحابه فتنحى ناحية فبال إلى المسجد، البول في المسجد منكر، ولهذا زجره الصحابة رضي الله عنهم وصاحوا به، ولكن النبي ﷺ نهاهم عن ذلك وقال: «**لا تزرموه**» يعني: لا تقطعوا عليه بوله، وتركه النبي عليه الصلاة والسلام حتى قضى بوله، فلما قضى بوله أمر النبي ﷺ أن يراق على بوله ذنوب من ماء يعني: دلو من ماء، ثم دعا الرجل وقال له: «**إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى والقذر، إنما هي للصلاة و قراءة القرآن وذكر الله**» وما أشبه ذلك.

أيها الإخوة هذا الأعرابي الذي دخل فبال في المسجد هل هو جاهل أم معاند؟ الجواب: جاهل؛ لأنه لا يمكن لشخص يعلم أن البول في المسجد

محرم فيقدم عليه والنبي ﷺ شاهد أبدًا، إذن هو جاهل، ولهذا عامله النبي ﷺ بالرفق واللين، فهذه حكمة.

وفي هذه القصة حكمة أخرى وهي تنزيه المسجد؛ لأن هذا الرجل لو قام وهو يبول وتحرك عن موضعه الأول فسوف يلوث من المسجد مكانًا أكثر؛ لأن البول عادة لا ينقطع بمجرد القيام، إذن هناك حكمتان: التسهيل والتيسير واللين، وأن لا تنتشر المفسدة أكثر.

المثال الثاني: معاوية بن الحكم رضي الله عنه دخل والنبي ﷺ يصلي بأصحابه فعطس رجل من القوم فقال: الحمد لله، فقال له: يرحمك الله، فرماه الناس بأبصارهم -يعني: جعلوا ينظرون إليه استنكارًا لقوله: يرحمك الله- فقال: وا ثكل أمياه، فجعل الصحابة يضربون على أفخاذهم يسكتونه فسكت.

فلما سلم دعاه النبي ﷺ، قال معاوية: فبأبي وأمي ما علمت معلمًا أحسن تعليمًا منه -اللهم صلِّ وسلم عليه- والله ما قهرني ولا نهرني وإنما قال: «**إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»؛ ولهذا أقسم معاوية فقال: ما رأيت معلمًا أحسن تعليمًا منه.

وهنا عدة مسائل فقهية:

الأولى: هل يقول العاطس إذا عطس في الصلاة: الحمد لله أم لا؟

والجواب: نعم، يقول والدليل إقرار النبي ﷺ ذلك الصحابي على قوله؛ لأنه ما أنكر عليه.

المسألة الثانية: رجل تكلم في الصلاة يظن أن الكلام لا يبطل الصلاة، مثلًا مأموم سمع الإمام يقرأ فتلكأ الإمام في قراءته، فقال له المأموم: أكمل أكمل أنت على صواب، وهو لا يدري أن هذا يبطل الصلاة، فهل تبطل صلاته أو لا؟

الجواب: لا تبطل لجهله، ولهذا معاوية بن الحكم ﷺ ما أمره النبي ﷺ بإعادة الصلاة مع أنه تكلم مرتين، قال: يرحمك الله، وقال: وا ثكل أمياه.

ولهذا لما دخل الرجل المسجد وصلى صلاة لا يطمئن فيها، وجاء فسلم على النبي عليه الصلاة والسلام، قال له النبي عليه الصلاة والسلام: «ارجع فصل فإنك لم تصل» كم رده من مرة؟ ثلاث مرات، ثم قال: والذي بعثك بالحق لا أحسن غير هذه فعلمني، فعلمه.

المثال الثالث: جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله هلكت هلكت، قال: «ما أهلكك»، قال: وقعت على امرأتي في رمضان وأنا صائم، ومعلوم أن الإنسان في رمضان لا يحل له أن يجامع زوجته وهو صائم صومًا يجب عليه.

وهل هناك صوم في رمضان لا يجب؟ الجواب: نعم، في السفر، فلو كان الإنسان صائمًا وهو وزوجته في سفر ثم جامعها في رمضان، فليس عليه شيء، لماذا؟ لأن الصوم في السفر ليس بواجب، فإن صام الإنسان في السفر فذلك طيب، وإن أفطر فلا حرج عليه، وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه أفطر في رمضان وهو مسافر بعد صلاة العصر.

نعود إلى قصة هذا الرجل الذي وقع على امرأته في نهار رمضان، قال له النبي ﷺ: «**أعتق رقبة**»، قال: لا أجد، قال: «**صم شهرين متتابعين**»، قال: لا أجد، يقال: «**أطعم ستين مسكينًا**»، ثم جلس الرجل، فجيء بتمر إلى النبي ﷺ، فقال للرجل: «**خذ هذا فتصدق به**»، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ والله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر مني، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «**أطعمه أهلك**»، فالرجل جاء هالكًا خائفًا، ورجع سالمًا غانمًا.

بمثل هذه الدعوة إلى الله ﷻ تتقبل النفوس؛ لأن النفوس مجبولة أو مفطورة على قبول الحق، فإذا وافق مع الفطرة دعوة حكيمة لينة قبلت النفوس، لكن ما أدري لو جاء هذا الرجل في زمننا هذا إلى رجل من أهل الخير وقال له: إنه هلك، إنه جامع امرأته في رمضان وهو صائم، ماذا يقول له؟

أتوقع أن كثيرًا من الناس -ولا سيما من ليس عندهم حكمة- سيلم رأسه، وربما يصرخ عليه، ويقول: ما تستحي على نفسك، لِمَ لَمْ تصبر إلى الليل؟ وما أشبه ذلك، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يفعل هذا؛ لأن الرجل جاء مقرًّا بذنبه يريد الحل لهذه المشكلة.

المثال الرابع: رأى النبي ﷺ رجلًا لبس خاتمًا من ذهب فنزعه النبي ﷺ من يده ورمى به، وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيضعها في يده**» ثم لما انصرف النبي ﷺ، قيل للرجل: خذ خاتمك انتفع به، قال: والله لا آخذ خاتمًا رمى به النبي ﷺ.

من الملاحظ أيها الإخوة أن النبي ﷺ عامل هذا الرجل بشيء من الشدة، ولعل النبي ﷺ كان قد أخبر الأمة سابقًا بأن مثل هذا العمل لا يجوز، فلذلك عامل هذا الرجل بما تقتضيه حاله، يقول الله ﷻ في الآية التي نحن بصدد الكلام عليها: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وإني أوجه السؤال إلى أصحاب اللغة: على أي شيء تدل كلمة جادل (فاعل)؟ إنها تدل على وقوع الفعل من شخصين، إذن لا بد أن يكون هذا المدعو عنده نوع من الجدال؛ لأن المدعو إما أن يكفيه مجرد الدعوة، وإما أن يكون عنده شيء من التردد فيحتاج إلى الموعظة، وإما أن يكون عنده شيء من العناد فيجادل، فقد قال الله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾

أيهما أحسن الجدال أم تركه؟ والجواب: أجادله بالتي هي أحسن؛ لأن انهزام المحق أمام المبطل هو هزيمة للحق، وهذا حرام عليك، الواجب أن تنتصر للحق، وأن تجادل من جادلك، فيجب أن تجادله لكن بالتي هي أحسن، أي: بالطريقة التي هي أحسن، ولكن أحسن بماذا؟ في سياق الأدلة أحسن الشدة إذا دعت الحاجة إلى ذلك، أقول: إن الله ﷻ أطلق قال: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، فما كان أحسن في أي وجه من الوجوه من الجدال فإن الواجب أن نجادل به، وإذا جادلنا بالحق فإن النصر لنا؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾، ويقول: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾، فنجادل بالتي هي أحسن، ونسلك أقرب طريق يوصل إلى الحق، وندع الطرق الملتوية.

وأنا أضرب لكم مثلًا في هذا جرى بين إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ورجل حاج إبراهيم في ربه، قال: ما ربك الذي تدع إليه؟ ما هذا؟ ماذا يعمل؟ ماذا يصنع؟ قال له إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾، فقال الرجل: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾، الرجل يعلم أنه لا يحيي ولا يميت، لكنه قال ذلك تلبيسًا وتمويهًا، قال بعض العلماء: يريد بذلك أنه يؤتى إليه بالرجل يستحق القتل فيرفع القتل عنه، ويؤتى إليه برجل بريء فيقتله، فهذا إحياء وإماتة، وقال بعض العلماء: إنه قال ذلك مجرد مكابرة وليس يقصد هذا المعنى.

وأيًّا كان فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام عدل إلى أمر لا نزاع فيه، قال له إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾، هل يستطيع أن يفعل هذا؟ الجواب: لا يستطيع، فتجدون أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام عدل عن المجادلة التي يكون فيها أخذ ورد وتلبيس وتمويه إلى أمر

لا يقبل الأخذ والرد ولا التلبيس ولا التمويه، ولهذا أنا أدعو إخواني إذا جادلهم مجادلٌ في أمر يكون فيه اختلاط أن يسلكوا الطريق الذي لا يكون فيه لبس، وليس فيه اشتباه حتى يقطعوا الحجة عليه.

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾، ثم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

أيها الإخوة، إنه يجب علينا أن ندعو إلى الله، يجب علينا أن يكون دعاؤنا إلى الله خالصًا له، يجب علينا أن يكون دعاؤنا إلى الله بحكمة، يجب أن يكون مقرونًا بموعظة حسنة إذا دعت الحاجة إلى الموعظة، يجب علينا أيضًا أن نجادل إذا احتجنا إلى المجادلة وأن نسلك الطريق الأحسن.

وهاهنا مسألة يتخذها بعض الإخوة ولا سيما في هذه السنوات القليلة المباركة التي شاهدنا -ولله الحمد- فيها من إقبال الشباب على العلم، العلم الأصيل العلم المبني على كتاب الله وسنة ورسوله ﷺ شاهدنا -ولله الحمد- من هؤلاء الشباب إقبالا على طاعة الله والعمل بما علموا حتى إنهم يعملون من العبادات ما لا يعمله آباؤهم وأمهاتهم.

وهذا -ولله الحمد- يبشر بخير ويبشر بمستقبل زاهر لهذه الأمة ولا سيما الأمة في بلادنا هذه التي منها بدا الحق وإليها يعود، وهذه النهضة المباركة واليقظة الحية تسر كل مؤمن، لكن لكل شيء آفة، والآفة التي نجدها من بعض الإخوة أنهم يتنازعون ويتعادون ويتباغضون في مسائل خلافية بين أهل العلم، مسائل يسوغ فيها الاجتهاد، ليس فيها نص صحيح صريح يفصل بين القوم، وإنما اجتهادات اجتهدها من سبقهم من العلماء، فالعلماء من قديم اجتهدوا فيها واختلفوا ومع ذلك فإن قلوبهم متآلفة، لا يسخر بعضهم من بعض، ولا يعادي بعضهم بعضًا.

من عهد الصحابة ﷺ وهم يختلفون في النصوص، وأظن بعضكم سمع بما جرى بعد رجوع الرسول ﷺ من غزوة الأحزاب، وغزوة الأحزاب كانت في السنة الخامسة، في شهر شوال، فالنبي ﷺ لما رجع من غزوة الأحزاب جاءه جبريل وأمره أن يخرج إلى بني قريظة، وهي قبيلة من يهود نقضت العهد، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «**اخرجوا إلى بني قريظة لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة**» فما مراد النبي ﷺ بهذا القول؟ والجواب: التعجل، أي: أمرهم أن يتعجلوا حتى لا يأتي وقت العصر إلا وقد وصلوا بني قريظة.

وهناك احتمال آخر؛ وهو أن يؤخروا صلاة العصر، فلا يصلون إلا في بني قريظة، هذان الاحتمالان كلاهما ورد في أذهان الصحابة؛ فانقسم الصحابة إلى قسمين؛ قسم قالوا: لا نصل العصر إلا في بني قريظة ولو غابت الشمس؛ لقول الرسول عليه الصلاة و السلام: «**لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة**».

وقسم آخر: لما حان وقت الصلاة صلوا في الطريق وقالوا: إن النبي ﷺ لم يجملنا أن نؤخر الصلاة عن وقتها حتى نصل إلى بني قريظة؛ لأنا نعلم علم اليقين أن هذا ليس فيه غرض مقصود للشارع، ومراده ﷺ أن نبادر بالخروج.

فاختلف الصحابة في تنفيذ كلام الرسول عليه الصلاة والسلام بناء على اختلافهم في الفَهم، فهل بدع بعضهم بعضًا وخطأ بعضهم بعضًا؟ الجواب: لم يخطئ بعضهم بعضًا، مع أننا نرجح أن الصواب مع من صلوا في الطريق ولم يؤخروا الصلاة عن وقتها.

بعض الإخوة الآن في أيامنا هذه أو في سنواتنا هذه إذا رأى من إخوانه شيئًا مبنيًا على اجتهاد يخالف اجتهاده ذهب يفسقهم، ويضللهم ويبغضهم، وهذا والله لا تقر به إلا أعين أعداء الإسلام، فأعداء الإسلام لا يريدون من بني الإسلام أن يتفقوا أبدًا، يريدون أن يختلفوا، ولكن المؤمن حقًا هو الذي يقول: ما دامت المسألة مبنية على الاجتهاد والاجتهاد فيها سائغ فإن كونه يخالفني بمقتضى الدليل عنده هو في الحقيقة موافق لي.

لأننا إذا سألناه: لماذا هذا العمل أو هذا الطريق؟ يقول: لأنه دل عليه الدليل، وإذا سئلت: لماذا اخترت هذا العمل أو هذا الطريق؟ قلت: لأنه دل عليه الدليل، إذن قولي وقولك مبنيان على أمر نتفق فيه؛ فحين إذن لا خلاف بيننا في الواقع.

وإذا رأينا الصحابة ومَن بعدهم يختلفون في هذه الأمور وهم على قلب رجل واحد فإن الواجب أن نسلك مسلكهم، وأي إنسان يقول: إنني سلفي ومتبع للسلف في طريقهم، وهو يعادي إخوانه أو يتكلم فيهم في أمور يسوغ فيها الاجتهاد فإنه ليس بصادق في دعواه؛ لأن السلف يختلفون في هذه الأمور التي يسوغ فيها الاجتهاد ولا يغلظ بعضهم بعضًا، وهذا الإمام أحمد والشافعي وأبو حنيفة ومالك، كلنا يعلم ما بينهم من الخلاف وهم على قلب رجل واحد من التآلف والمحبة، إذن فلنكن إخوانًا متآلفين وإن اختلفنا في بعض الأمور التي يسوغ فيها الاجتهاد.

أضرب لذلك مثلًا: قال قائل: إذا سجدت فابدأ بركبتيك قبل يديك، فإن بدأت بيديك قبل ركبتيك فأنت ضال والعداوة بيني وبينك، وقال الآخر: إذا سجدت فابدأ بيديك، فإن بدأت بركبتيك فأنت ضال ولا مؤاخاة بيني و بينك.

هذا وإن كانوا لا يقولونه بلسان المقال لكن يقولونه بلسان الحال، فتجده ينظر إليه شزرًا ويقطب في وجهه؛ لأنه خالفه في هذه المسألة، ولكن إذا رجعنا إلى الواقع وجدنا أن لكل منهما وجهة نظر، فالذي يقول: قدم الركبتين، يقول بأن النبي ﷺ قال: «**إذا سجد أ حدكم فلا يبرك كما يبرك البعير**»، فقدم الركبتين؛ لأنك إن قدمت اليدين بركت كما يبرك البعير؛ لأن البعير إذا برك يقدم يديه.

وقال الثاني: بل إن الرسول النبي ﷺ يقول: «**إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير**» والمراد: قدم يديك قبل ركبتيك، فالحكم مختلف والدليل واحد، إذن الخلاف في كيفية الاستدلال، أو في فهم الدلالة، كلاهما مستدل بالحديث، لكن اختلفا في فَهم الحديث، وفالإنسان لا يُكلف فهم غيره ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾.

وإذا رجعنا إلى الحديث بتأمل وجدنا أن الصواب مع من يقول: إذا سجدت فقدم ركبتيك؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «**لا يبرك كما يبرك البعير**»، أما لو قال النبي ﷺ: فلا يبرك على ما يبرك عليه البعير، لكان الصواب مع من يقول: قدّم اليدين؛ لأنك إن قدمت الركبتين بركت على ما يبرك عليه البعير، فالنهي في الحديث عن الكيفية لا عن العضو المسنود عليه، أو العضو المقدم.

والآن أذكر قصة وقعت في منى؛ طائفتان من بلد الإسلام يكفر بعضهما بعضًا ويلعن بعضهما بعضًا، وذلك في منى في أيام الحج، جاءوا إلى رجل من أهل التوعية الإسلامية يتنازعون عنده هؤلاء يقولون: أنتم كفار، هؤلاء يقولون: أنتم كفار، قالت طائفة: أنتم إذا قمتم في الصلاة وضعتم اليد اليمنى على اليسرى على الصدر، وهذا كفر، وقال الآخرون: أنتم إذا كنتم

في الصلاة أسدلتم اليدين، وهذا كفر، ويقولون بجد، لأنك تجد على وجوههم التمعر والغلظة مع الآخرين والتكفير واللعن والعياذ بالله، اجتمعوا عند أحد الأخوة ونحكمه، فقال هذا الرجل: السنة فيها أن تضع يدك اليمنى على ذراعك اليسرى في الصلاة، هذه السنة ثابتة عن الرسول عليه الصلاة والسلام، والإسدال لا أصل له، ولكن مع ذلك مَن خالف السنة وأسدل فليس بكافر، كيف يكفر بعضكم بعضًا من أجل هذه المسألة البسيطة.

فأقول: يجب علينا معشر الإخوة أن نكون يدًا واحدة والوقت يقتضي ذلك؛ لأننا في زمن جميع شر الكفار موجه إلى هذه البلاد على بلادنا، ولا يخفى عليكم كيف يغزوننا هؤلاء بأساليب الغزو، تارة بالأخلاق الفاسدة وتارة بالأفكار الباطلة وتارة بالتثبيط عن الخير وتارة بالإرجاف من العدو إلى آخره.

الأساليب المسلطة على بلادنا لصرف شبابنا عن دين الله أساليب متعددة متنوعة، فعلينا أن نحذر وأن نكون جبهة واحدة ضد هذه الأساليب وضد من يلتمس الوصول إلى خدش الإسلام وأهل الإسلام بمثل هذه الأساليب، ولا يمكن إلا أن نتفق ونتحد يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ ويقول الله ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾

والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

۞ ۞ ۞

الأسئلة

س١ : إني أحبك في الله وجميع الأخوة الحاضرين، إذا كنتُ في زيارة لأقاربي أجد في مجلسهم التلفاز وقد علا صوته وقد يتخلل برامجه الموسيقى، فإن أنكرت عليهم ودعوتهم ولو بالحكمة و الموعظة الحسنة لم يستجيبوا، وسوف يكون بيني وبينهم شقاق، فماذا أفعل هل أقاطعهم ولا أصلهم؟ وهل أنا آثم في هذه الحالة؟ جزاكم الله خيرًا.

ج١ : هذه المشكلة التي عرضها السائل مشكلة في الواقع، أن يكون في البيت أعمال منكرة من التلفاز وغير التلفاز، والرجل لا يستطيع أن يدعو إلى الله، وإذا دعا فإنه لا يستجاب له، وجوابي على ذلك أن أقول: يجب أن يدعو إلى الله، وأن يستمر وأن لا ييئس، فكم من أناس هداهم الله ﷻ بعد ضلالهم ،وكم من أناس أصلحهم الله ﷻ بعد فسادهم، فليستمر في دعوته إلى الحق ويصبر، وينتظر الفرج من الله ﷻ.

أما مشاركتهم في العمل المحرم فإنه لا يجوز بمعنى أنه لا يجوز أن يبقى مشاهدًا للتلفاز، وهو يشاهد فيه ما كان حرامًا، أو أن يبقى مستمعًا إلى الراديو بحيث يسمع ما كان حرامًا، بل عليه أن يغادر المكان؛ لأن النبي ﷺ قال: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع بلسانه فإن لم يستطيع فبقلبه»**، والإنسان الذي يجلس مع أهل المعاصي يكتب له مثلهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾، ويقول تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا

﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ فلا يجوز أن تبقى في مكان تسمع فيه المنكر أو تشاهد فيه المنكر، ولكن تبقى مع أهلك في البيت وتناصحهم بقدر ما تستطيع.

س٢: سائلة تقول: زوجي يأمرني أن أكمل دراستي؛ لكي أصبح داعية بين النساء، وأنا أريد أن أهتم بالبيت وأولادي وأترك دراستي، فهل من الحكمة أن أطيع زوجي أو أترك دراستي؟ علمًا بأنني أحفظ ثماني وعشرين جزءًا من القرآن الكريم، أفدني بارك الله فيك.

ج٢: الذي أرى أنك تنظرين إلى المصلحة: هل البيت مضطر إلى بقائك فيه؟ مثل أن يكون الأطفال الصغار كثيرين يحتاجون إلى عناية، فإن بقاءك في بيتك أفضل لك من الخروج إلى الدراسة؛ لأن النبي ﷺ يقول: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»، فأنت مكلفة ومطالبة برعاية الأولاد وإصلاح البيت، وهذا أمر واجب والدعوة إلى الله ﷻ فرض كفاية أن تقوم بها من يكفي من النساء، وإذا أمكن الجمع بين هذا وهذا فهذا طيب.

وبهذه المناسبة أود أن أحذر أخواتي من استجلاب الخدم سواء كن مسلمات أو غير مسلمات؛ لأن لاستجلاب الخدم مضارًا متعددة؛ منها: أن كثيرًا منهن يأتي بلا محرم، وسفر المرأة بلا مَحْرَم مُحَرَّم، كما ثبت في الصحيحين من حديث بن عباس: أن النبي ﷺ قال: «لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم».

ومنها: أن هذه الخادمة تطلع على أسرار البيت وتعرفه، وربما تكون امرأة مستأجرة للتطلع على أحوال المسلمين والعلم ببواطن أمورهم، ومنها: أنها تعود النساء الركون إلى الكسل والدعة والخمول، وهذا ضرر على النساء

حتى في أفكارهن، فإن المرأة ستكون في بيتها جالسة ليس لها عمل فيتبلد ذهنها وتضعف قوتها.

ومنها: أن بعض هؤلاء الخدم تكون شابة وجميلة فتحصل بها الفتنة، إما من الرجل نفسه، وإما من أولاده إن كان له أولاد، وهذا شيء يبلغنا عنه الكثير مما حصل من الفساد، ومنها: أيضًا أن كثيرًا من هؤلاء الخدم يحضرن إلى الرجال في البيوت وهن كاشفات الوجوه، قد خرجت أكفهن وأذرعتهن وأقدامهن وسوقهن وكل هذا حرام، ولا يجوز.

فالذي ينبغي لنا الحذر التام من استجلاب الخدم، وإذا دعت الضرورة إلى ذلك فلا بد من شروط:

الشرط الأول: أن تكون المرأة مع محرمها.

والشرط الثاني: أن تؤمن الفتنة.

والشرط الثالث: أن تدعوَ الضرورة في جلب هذه الخادمة .

س٣: سائل يقول: أعمل بعض الأعمال الصالحة وأحرص على إخفائها عن الناس خوفًا من الرياء، ولكني أجد في نفسي فرحًا إذا عرف عنها بدون قصد مني، فهل هذا رياء؟ يقول: وهل ترك العمل الطيب أما الناس إذا حضروا خشية أن أكون مرائيًا في عملي هل هذا يعتبر رياء أم يصدق قول: «رحم الله امرأ دفع المقالة عن نفسه»؟

ج٣: الذي ينبغي للمؤمن أن يكون مخلصًا لله تعالى في عمله، بل هذا هو الواجب، ولا ينبغي له أن يستسلم للخواطر التي ترد على قبله في كونه مراء؛ لأنه إذا استسلم لذلك ترك كثيرًا من الأعمال الصالحة، والمؤمن المخلص هو الذي يبدي العمل أحيانًا ويخفيه أحيانًا، ولهذا امتدح الله ﷻ الذين

ينفقون أموالهم سرًا وعلانية، فقد يكون الخير في السر وقد يكون الخير في الإعلام، وأنت يا أخي المسلم انتقِ ما هو أفضل وافعله، وانتهِ عن الرياء وابتعد عنه، ولا تعود نفسك أبدًا مراءاة الخلق أو محبة ظهورهم على عملك.

أما ما يحصل لك من الفرح بعد فعل العبادة وأنت قد فعلتها لله، فإن هذا لا يضر، بل إن هذا قد يكون من البشرى للمؤمن الذي قال الله تعالى فيها: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ففرق بين رجل إذا عمل العمل يعمله لأجل أن يراه الناس ويمدحوه، ورجل آخر يعمل العمل لله ولكن إذا اطلع عليه الناس فرح؛ لأنه وافق بما أنعم الله عليه، فإن هذا لا يضره بذلك الفرح شيئًا.

أما بالنسبة لمن يترك العمل أحيانًا خوفًا من الرياء، فهذا أيضًا من الوساوس التي يلقيها الشيطان في القلب، فعليك أن تفعل العبادة حتى لو وقع في قلبك أنك مراء تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، واستعن بالله وافعل العبادة.

س٤: سائل يقول -والأسئلة على هذا المنوال كثيرة-: إني أحبك في الله، إنني أواجه مشاكل ومصائب في الدعوة إلى الله في بيتي وخاصة إخوتي الذين يكبرونني عمرًا، فعندما أوجه إليهم نصيحة يرونها مني على أنها تسلط، ويفسرون كلامي على خلاف ما أقصد، وأجد صعوبة في تغيير ذلك خصوصًا أنهم يقاطعون كلامي، أفيدونا مأجورين بنصيحة لي ولهم.

ج٤: أقول: أسأل الله أن يجعلني وإياه وإخواني الحاضرين من أحباب

الله وأوليائه، أما ما ذكره عن أهله الذين ينابذونه في دعوته إلى الله ﷻ، ويقاطعون كلامه ويكرهونه فهذا شيء واقع والشكوى منه كثيرة من الرجال ومن النساء؛ وذلك لأن بعض الناس إذا دعي إلى الله ﷻ يظن أن الداعي يريد السلطة عليه فقط، ويريد الانتقام منه، ويريد أن ينتصر لنفسه على من دعاه، وهذا من الشيطان بلا شك.

فالداعي إلى الله لا يريد إلا إصلاح إخوانه وهدايتهم إلى الحق، ومع هذا فإني أقول لهذا السائل: اصبر واحتسب الأجر، واعلم أن كل أذى تناله في دعوتك إلى الله فإنك تؤجر عليه، والداعي إلى الله عز جل إذا قضيت دعوته فإنه يستفيد بذلك القيام بالواجب والأجر الذي يترتب على هداية الخلق، الذي قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب: «**انفذ على رِسلك فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»، وإن كنت قد أوذيت في الله فإن ذلك أجرًا لك أيضًا، تؤجر مرتين؛ مرة على الدعوة إلى الله ومرة على الإيذاء في ذات الله ﷻ.

والرسل عليهم الصلاة والسلام أوذوا فصبروا كما قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ وأنت أيها الأخ لا تجعل أذية الناس لك في الدعوة إلى الله ﷻ سببًا يمنعك من الحق أو يردك على عقبك؛ لأن هذا حال لمن لم يكن إيمانه راسخ كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾.

فنصيحتي للأخ ونصيحتي لأهله أن يستمر هو في الدعوة إلى الله ولا ييئس، وأما أهله فيجب عليهم قبول الحق سواء كان ممن دونهم أو ممن هو مثلهم في السن.

س٥: ما هو المشروع لنا عند سماع المؤذن؟

ج٥: المشروع لنا عند سماع المؤذن أن نقول مثلما يقول، إلا في حي على الصلاة حي على الفلاح فنقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، أما في قول المؤذن في أذان الفجر: الصلاة خير من النوم، نقول كما يقول؛ لأنه ورد في الحديث أن نقول مثلما يقول المؤذن إلا في حي على الصلاة حي على الفلاح، نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وبعد انتهائنا نصلي على النبي ﷺ ونقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد.

ثم بعد ذلك تصلي إن كان أذان الفجر فسنة الفجر، وإن كان أذان الظهر فسنة الظهر، وإن كان أذان العصر فسنة ما بين الأذان والإقامة؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «ما بين كل أذانين صلاة»، وفي صلاة المغرب كذلك، وفي صلاة العشاء كذلك.

وبالمناسبة: ما السنن الرواتب؟

والجواب: ركعتان قبل الفجر، وأربع ركعات قبل الظهر بسلامين، وركعتان بعد صلاة الظهر، وركعتان بعد صلاة المغرب، وركعتان بعد صلاة العشاء.

وهنا سؤال آخر: ما الذي يسن في سنة الفجر التخفيف أو التثقيل؟

الجواب: التخفيف، فلو قال قائل: أنا أحب أن أطيل في سنة الفجر؛ أقرأ كثيرًا وأسبح كثيرًا وأدعو كثيرًا، أيهما أفضل هذا أو أن أخفف؟

قلنا: أن نخفف، وهذا نستنتج منه فائدة مهمة جدًا وهو أن اتباع السنة أولى من العمل وإن كثر، لهذا نقول لهذا الرجل في سنة الفجر: خفف، فهو أفضل من التطويل.

س٦: هناك شبهات حول تحريم حلق اللحية والحجاب والدخان، نرجو من فضيلتك الحديث عن هذه الأمور بتفصيل.

ج٦: الأول: بالنسبة لحالق اللحية لا ينبغي أن يكون موضع خلاف؛ لأن النص فيه واضح فإن النبي ﷺ يقول: «**خالفوا المجوس، خالفوا المشركين وفروا اللحى وحفوا الشوارب**» هل بعد هذا البيان شيء؟ والرسل عليهم الصلاة والسلام كان من سننهم وهديهم إبقاء اللحية، فهارون يقول لموسى: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ والنبي عليه الصلاة والسلام كان عظيم اللحية.

وأيضًا فإن اللحية من سنن الفطرة، يعني: ليس فيها أنها مخالفة للمشركين والمجوس فقط بل هي أيضًا من سنن الفطرة كما ثبت في ذلك في صحيح مسلم، ولهذا بعض الجهلة المجادلين بغير الحق يقول: إذا كان المقصود من إعفاء اللحية مخالفة المجوس والمشركين فإن المجوس والمشركين اليوم يعفون اللحية، فنقول لهم: هذا أولًا غير مُسَلَّم، نقول: انظروا إلى بلاد الكفر هل يعفون لحاهم أو يحلقونها؟ الجواب: أنهم يحلقونها، هذا الذي نشاهده في صورهم في الجرائد وغيرها، ثانيًا: أنه ليس العلة مجرد المخالفة بل الإتيان بالفطرة مع المخالفة.

أما عن حجاب المرأة: فقد كتب العلماء عنه قديمًا وحديثًا وبينوه وأكثر أدلة المجوزين كشف الوجه هو حديث أسماء بنت أبي بكر أنها دخلت على النبي ﷺ وعليها ثياب رقاق (يعني: خفيفة)، فأعرض عنها النبي عليه الصلاة والسلام ثم قال لها: «**إن المرأة إذا بلغت سن المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى والوجه والكفين**» هذا الحديث رواه أبو داود، وأبو داود الذي رواه أعله بالانقطاع، فقال: خالد بن دريد لم -الذي رواه عن عائشة- لم يدرك عائشة.

والانقطاع علة قادحة في الحديث، لأن الانقطاع معناه عدم اتصال السند؛ وحينئذ يكون الحديث ضعيفًا بإقرار مَن رواه وهو أبو داود.

ثانيًا: أن هذا الحديث فيه سعيد بن بشير النضري وهو ضعيف.

ثالثًا: أن فيه عنعنة قتادة، وقتادة رحمه الله لا تُقبل عنعنته إلا ما جاء منها في الصحيحين، لماذا؟ لأنه مدلس، والمدلس إذا لم يصرح بالتحديث فإنه لا يحمل حديثه على الاتصال، هذا من جهة السند، أما من جهة المتن: فيه علة ونكارة، هل يعقل أن أسماء بنت أبي بكر وهي مَن هي في جلالتها وفضلها، تدخل على النبي عليه الصلاة والسلام وهي في سن فوق البلوغ وعليها ثياب رقاق أوجب أن يعرض عنها الرسول عليه الصلاة والسلام؟ لا، لا يمكن أن يعقل.

فهذا الحديث على فرض أن سنده صحيح متصل فهو منكر المتن، ومعلوم لكل طالبي الحديث ولكل من عنده علم من الحديث أن من شرط صحة الحديث أن لا يكون شاذًا ولا منكرًا، ولا شك أن هذا منكر المتن، غير مقبول إطلاقًا.

لكن هناك دليل آخر، قالوا: إن الرسول عليه الصلاة والسلام حين دفع من مزدلفة كان قد أردف الفضل بن العباس -ابن عمه- وكان شابًا وسيمًا، وجاءت امرأة من خثعم تسأل النبي ﷺ فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فصرف النبي وجه الفضل عنها، قالوا: هذا فيه دليل على جواز كشف المرأة وجهها؛ لأن الفضل جعل ينظر إليها وتنظر إليه.

فنقول: هذا فيه دليل عليكم؛ لأن النبي ﷺ لم يقر الفضل على النظر إليها، ولهذا استدل الإمام النووي رحمه الله بهذا الحديث على تحريم نظر الرجل إلى المرأة قال: لأن النبي ﷺ لم يقره، بل صرف وجهه.

أما كشف المرأة وجهها فإن نظر الفضل بن العباس إليها لا يستلزم أن تكون كاشفة الوجه، يجوز أن يكون نظر إليها وهي ساترة وجهها، والإنسان قد ينظر إلى المرأة لا من أجل وجهها لكن من أجل جمال بنيتها وجسمها وهيكلها.

ثم على فرض أن وجهها كان مكشوفًا فإنه من المعلوم للمحرمة أن من حقها أن تكشف الوجه وهذه ربما كانت كاشفة الوجه وليس حولها رجال إلا النبي ﷺ، وقد صرح كثير من العلماء بأن من خصائص النبي ﷺ أنه يجوز له النظر إلى المرأة، ويجوز له أن يخلو بالمرأة ولو كانت أجنبية منه.

رابعًا: نقول: هذا الحديث مشتَبِه، وقاعدة الراسخين في العلم الطالبين للحق: أن نحمل النصوص المشتبهة على النصوص المحكمة حتى تبقى النصوص محكمة لا اشتباه فيها، فإذا قدر أن هذا الحديث وقع من امرأة قد لا تكون عالمة بالحكم ويكون الرسول علمها بعد ذلك، فإن لدينا أدلة كثيرة تدل على وجوب ستر المرأة وجهها عن الرجال الأجانب.

ثم نقول: لو فرض أن النصوص واضحة صريحة صحيحة في جواز كشف المرأة وجهها، ورأينا ما وقع في الناس اليوم من الفتنة والشر والفساد لقلنا: إن المباح إذا كان يوصل إلى مفاسد صار حرامًا، بل المفروض الذي يُطلب فعله إذا أوصل إلى مفسدة أكبر فإنه يترك.

فالنبي عليه الصلاة والسلام هَمَّ أن يهدم الكعبة، وأن يبنيها على قواعد إبراهيم، وأن يجعل لها بابين بابًا يدخل منه الناس وباب يخرجون منه، ولكن منعه من ذلك أن قريشًا كانوا حديث عهد بكفر، فخاف الفتنة، فخاف الفتنة فتركه مع أنه مطلوب.

فكشف المرأة وجهها لو فرض على أدنى تنازل وأكبر تنازل أنه كان متأخرًا، فإننا نعلم الآن أنه يؤدي إلى مفاسد لا نقول ذلك ظنًّا وتخمينًا بل نقول ذلك بشهادة الواقع، البلاد التي يكشف فيها النساء وجوههم الآن هل اقتصر النساء فيها على ما أباحه بعض العلماء من كشف الوجه فقط والكفين؟

الجواب: لا، بل قمنَ بكشف الوجه، والرأس والعنق، والنحر، والذراع، والقدم، والساق، ما وقفْنَ على حد، وعجز الآن علماؤهم أن يرجع النساء حتى إلى ما أبيح لهن من كشف الوجه والكفين فقط.

ثم نقول: من الناحية العقلية، هم ماذا يقولون لو أن المرأة كشفت قدمها، هل هذا جائز؟ يقولون: لا، ولو كشفت يديها ذات الأنامل الجميلة الحسنة، يجوز أو لا؟ يقولون: يجوز.

لنفرض أن أصابع قدم هذه المرأة متلاصقة، والذي يراها يستقبحها نقول: لا يجوز أن تكشف قدميها، وهذه الأكف ذات الأصابع الجميلة قلنا: إنه يجوز.

نأتي إلى أخرى: هذه امرأة تريد أن تظهر طرف قرن رأسها، يجوز أو لا يجوز؟ لا يجوز عندهم، لكن لو تكشف هذا الوجه المزين بالحواجب وأهداب العينين، والعينين الساحرتين وما أشبه ذلك، يجوز أو لا يجوز؟ يقولون: يجوز، هل تظنون أن شريعة كاملة عادلة تبيح الثاني وهو كشف الوجه، وتحرم الأول أبدًا.

فبمجرد النظرة العقلية يتبين للإنسان أن من أجاز كشف الوجه فإنه يلزمه أن يجيز كشف القدم، ومن منع كشف القدم فإنه يلزمه أن يمنع كشف الوجه، وإلا صار متناقضًا غير متوافق.

أما عن الدخان: فعندما ظهر أصبح موضع نزاع بين العلماء كغيره من الأمور الجديدة؛ بعضهم قال: الدخان حلال، وبعضهم قال: الدخان مكروه، وبعضهم قال: الدخان حرام، وقال لي بعض الناس إن بعض العلماء قال: إن الدخان حسب ما يفضي إليه، إن نشطك على العبادة، صار مطلوبًا، كيف ينشط على العبادة؟! فالمعنى المبتلى به -والعياذ بالله- يضيق صبره، فإذا شربه ازداد صبره وصلى!!!

هذا أول ما ظهر، لكن الدخان بلا شك تبين أنه حرام؛ لأنه ثبت من الناحية الطبية أنه مضر، وإن كان لا يضر في الوقت الحاضر لكن على طول المدى يضر، مع ما فيه من إضاعة المال واستثقال العبادات على الإنسان وسوء الخلق من كثير من الذين يشربون الدخان إذا أبطئوا عن شربه، وأنا لا أشك أنه حرام، وأن الإنسان قد وقع فيما نهى عنه رسول الله ﷺ في قوله: «لا ضرر ولا ضرار»، بل فيما ذكره الله في القرآن في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

س٧: سائل يقول: فضيلة الشيخ، كثير من الإخوة المتدينين إذا مروا بشبان منحرفين، فإنهم لا يسلمون عليهم، وحجتهم حتى بشعروهم بالمعاصي، وأيضًا يقولون: إنه يجب هجر أصحاب المعاصي، مع العلم أنهم لم يدعوهم إلى ترك المعاصي، وتجد بعضهم لا يرد القول عليهم إذا خاطبوه، ويقول: لأنهم عصاة، فما رأيكم؟ جازاكم الله خيرًا.

ج٧: سأجيب بسؤال : هل أصحاب المعاصي كفار أو مسلمون؟ والجواب: مسلمون، فهم مسلمون ناقصو الإيمان، وإذا كانوا كذلك لم يخرجوا من الإيمان فإن النبي ﷺ يقول: «لا يحق للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»، فإذا

مررت برجل على معصية وهي معصية لا تخرجه من الإيمان فسلم عليه وادعه وانصحه عن هذه المعصية وألن له القول لعله يتذكر أو يخشى، قد تقول: يجب أن أهجر أصحاب المعاصي وأقول: يجب أن تهجر معصية صاحب المعاصي، أما صاحب المعاصي فلا يجب هجره إلا إذا كان في هجره مصلحة بحيث يدع معصيته، فحين إذن يكون هجره تأديبًا ويكون هجره دواءً.

وخلاصة الجواب: أنه لا يجوز هجر المؤمن وإن كان فاسقًا، إلا إذا كان في هجره فائدة، وهو إقلاعه عن المعصية.



كُنْ دَاعِيًا

الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا، وكفى بالله شهيدا، وكفى بالله شهيدا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الإخوة في الله، أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن أقامهم لنشر دعوة الإسلام وهداية من ضلّ عنها إلى الصراط المستقيم، كما أسأله سبحانه أن يجعل أعمالنا صالحة، وأقوالنا صالحة، ونيّاتنا خالصة له وحده سبحانه إنه جواد كريم.

أرسل الله جل وعلا رسله جميعا للدعوة إلى الله جل وعلا، كل رسول هو داعٍ إلى الله، وأول الرسل نوح عليه السلام، وآخرهم محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، فقال في وصف آخرهم ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨]، وقال مُمْتَنًّا على نبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، فالدعوة

إلى الله جل وعلا نعمة عظيمة، أنعم الله جل وعلا بها على خاصة عباده، وعلى من آتاهم اللهُ العلم والعمل، فجعلهم مهيئين لتبليغ الناس كلمة الله جل جلاله.

ولهذا فإن الله سبحانه أمر نبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بالدعوة في غير ما آية، فقال جل وعلا﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال أيضا﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال أيضا جل وعلا لنبيه﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال قبلها﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، يأمر الله جل وعلا فيها الناس بأمره لنبيه ولصحابته بالدعوة إليه ﷺ، فقوله﴿ادع إلى سبيل ربك؟ يعني كن داعيا إلى سبيل ربك،﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ﴾ يعني لذلك كن داعيا إلى الله﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ﴾ [الشورى: ١٥]، وكذلك في قوله جل وعلا ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، يعني لتكن هذه الأمة منكم داعية إلى الخير ودعاة إلى الخير، و؟الْخَيْر؟ اسم جامع يشمل كل ما أمر الله جل وعلا به في الكتاب أو أمر به رسوله ﷺ في السنة أمر إيجاب أو أمر استحباب.

وهذا الأصل العظيم ألا وهو الأمر بالدعوة إلى الله سبحانه جعله سبحانه صفة الأنبياء وصفة أتباع الأنبياء، كما في قوله ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف:١٠٨]، في قوله ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ إشارة، ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ الإشارة إلى ما ورد في هذه السورة -ألا وهي سورة

يوسف- التي يمكن أن يكون موضوعها الدعوة إلى الله جل وعلا، وحال الداعية إلى الله في تقلباته وأحواله كلها.

نبينا ﷺ أمر بالتبليغ، أمر أمّته بالتبليغ، وحضّ على نقل الدعوة ونقل الرسالة ونقل القرآن والسنة، فلما اجتمع له عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في حَجَّةِ الوداع نحو مائة ألف ممن حجُّوا معه تلك الحجة عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال لهم **«ألا فليبلغ الشاهد الغائب، اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد، اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد»**، وثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أنه قال **«نضّر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها، فأدّاها كما سمعها، فرُبَّ مبلغ أوعى من سامع»** معنى قوله (نضر الله وجه امرئ) دعاء لهذا الرجل أو لهذه المرأة الذي ينقل ما سمع أو سمعت على نحو ما سمعت بأن ينضّر الله الوجه منهم يوم يقوم الأشهاد، وهذا فيه الفضل العظيم بالنظرة يوم يُلَقّى الناس كتابهم باليمين وآخرين يُلَقَّوْنَ كتابهم بالشمال.

لاشك أن الدعوة إلى الله جل وعلا امتلأت بها النصوص في الكتاب والسنة؛ بالحثّ عليها وبطلبها وبجعل العلماء هم حملة هذه الدعوة بعد الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، ولاشك أيضا أن الدعوة فضلها عَظيم عظيم، كما أنها واجب على الكفاية على مجموع الأمة، ففضلها بعد فضل الواجب فضلها أعظم وفضلها أكبر من جهة تتابعه، ومن جهة عدم انقطاعه.

ولهذا صحّ عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أنه قال من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتّبعه؛ يعني إذا اتبعه واحد فله مثل أجره، إذا اتبعه ألف فله مثل أجره، وهكذا إلى أن تقوم الساعة.

فصح عنه أيضا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كما في مسلم وفي غيره أنه قال **«من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله»**، وأيضا فيه أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال

«من سنّ في الإسلام سنة حسنة كان له مثل أجرها وأجر من عمل بها إلى قيام الساعة».

وهذا كلّه فيه أنّ الداعية إلى الله جل وعلا يضاعَف أجره من حيث أن كل متأثر بهذه الدعوة الصحيحة التي دعا إليها الدّاعي فسمع مقالة النبي ﷺ فوعاها فأدّاها وبلغها فإن له من الأجر مثل أجور من اتبعه، لهذا قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لعلي رضي الله عنه **«أنفذ على رِسلك ثم ادعهم إلى الإسلام»** وصح عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أيضا أنه قال **«لئن يهدي بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»** وهذا كله فضل عظيم وكبير كبير.

ومن الاستطراد أنّ العلماء لما بحثوا مسألة إهداء القُرَب -إهداء الثواب بعد العمل- بحثوا مسألة إهداء الثواب للنبي ﷺ، وكان الكثيرون والمحقّقون على منع جواز إهداء الثواب للنبي ﷺ؛ لأنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ هو الذي دعانا إلى هذا الخير وهو الذي هدانا ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وهو الذي أرشد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ دلّ وهدى، فله حينئذ مثل أجر من اتّبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، فكل من عمل عملا صالحا من أمة الإسلام فللنبي ﷺ مثل هذا العمل كما قرره العلماء في شرح العقائد؛ وذلك لتحقيق أنّ من دعا إلى شيء من الهدى ودين الحق فله مثل أجر فاعله، وهذا منة من الله جل وعلا وتكرّم.

ومن باب التطبيق خُذْ مثلا: إذا دعوت إلى الله جل وعلا في تصحيح العقيدة وتصفية القلوب من أن يكون فيها مقصودا معظّما -تعظيم العبادة- غير الله جل وعلا، وكل ما صَلُحَ من العمل بسبب هذا الإخلاص فإنّ لك مثل ذلك الأجر.

وهكذا من علّم الناس القرآن فأحسنوا تلاوته، أو صلوا بالناس، أو قرؤوه، للمعلم وللداعي إلى ذلك مثل أجر من اتبعه وعلّمه.

وكذلك من دعا إلى الصلاح وأمر بها وحض عليها أهله وأولاده ومن حوله ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]، فله مثل هذا وذلك.

من هدى رجلا إلى الاستقامة على الدين بعد أن كان غير مستقيم، فحصل له من الخير والصلاح والعبادة بسبب هذه الهداية فله مثل أجر من عمل بما دعا إليه.

وهكذا في أمور العبادات وأمور الدين كلها وهذا يبيّن لك أننا لم نكن دعاة إلى الله جل وعلا فنحن تخلفنا عما فيه مصلحتنا في ديننا وفي آخرتنا؛ لأن الدّاعية إلى الله جل وعلا له هذا الفضل العظيم الذي لا يوصف ولا يُحد له حد، فكيف إذن بحال الأنبياء الذين دعوا أقوامهم إلى تفاصيل الهدى؟ لاشك أن رتبهم ستكون أعلى وأعلى، ولهذا لا يمكن أن يكون أحد من أمة نبيٍّ ويكون مقامه أعلى من مقام ذلك النبي، كما يزعم طائفة من غلاة المتصوفة؛ بأن الولي قد يبلغ مرتبة أعظم من مرتبة النبي، وهذا لا يمكن لأنّ الولي كلما فعل وعمل عملا، فإن مثل أجره يكون للنبي؛ بل وإن كرامة الولي هي في الحقيقة صلة بما أعطى الله جل وعلا ذلك النبي.

وهكذا في أنواع شتى تدلّك على أن هذه الشريعة وهذا الدين قولا وعملا حضّ على أن نكون دعاة إلى الله جل وعلا.

إذا تبين ذلك: فكن داعيا إلى الله.

كن داعيا إلى الله سبحانه، حاملا همّ هذه الدعوة، إذا كنت في بيتك، أو في عملك، أو كنت في السفر أو كنت في الحضر، فليكن معك هذا الهمّ

في نشر دين الله جل وعلا وفي أن تكسب هذا الأجر العظيم، فإن الهمّ والدعوة لن يفارق ذلك صاحبها.

لكن أريد أن أكون داعية: فهل لي ذلك؟

على كل حال العلماء قالوا: إنّ الدعوة ثانيا والعلم أولا، ولا بد من العلم ثم الدعوة؛ لكن هل العلم معناه أنك لا تكون داعية إلا إذا صرت عالما من العلماء المبرّزين؟ ليس كذلك، وإنّما معناه أنْ لا تدعو إلى شيء إلا إذا علمته بأصله ودليله، أو من كلام أهل العلم عليه، إذا لم يكن ثَمّ دليل على ذلك.

فإذن الدعوة لابد أن يسبِقَها العلم والعلم مجزأ، العلم لا يمكن أن يكون الناس فيه مرتبة واحدة، حتى العلماء درجات، حتى العلماء مقامات، بعضهم أعلم من بعض، وبعضهم أفقه من بعض، تارة في الجميع -يعني في كل المسائل- وتارة يكون عالما أعلم من العلماء الآخر في شيء من علوم الشريعة.

وهكذا من أراد أن يدعو فإنه يدعو؛ لكن لابد أن يتعلم ما يريد أن يدعو إليه، فإذا أراد أن يدعو إلى التوحيد وإلى إخلاص القصد والوجه لله جل وعلا، وتبرئة القلب من الأغيار ومما يدخل فيه قصدا وإرادة غير الله جل وعلا، فإنه لابد أن يتعلم هذا الأصل العظيم ألا وهو التوحيد والعقيدة حتى يدعو إليه.

إذا أراد أن يدعو إلى ترك الكبائر وإلى اجتنابها والنهي عنها فلابد أن يتعلم هذا الذي يدعو إليه؛ لأنه لو لم يتعلم فربما دعا وزاد في شيء من عند نفسه، وهنا لم تكن الدعوة موافقة للسنة؛ لأنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال «من دعا إلى هدى» والهدى من أين نستقيه؟ نستقيه من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ.

وهكذا من أراد أن يدعو إلى فضائل الأعمال، أو أن يعظ الناس بمواعظ لابد أن يتعلم ذلك لئلا يدخل في شيء من الوعظ يخالف الأصل الشرعي، مثل ما كان في القرون الأولى صار هناك أناس يدعون إلى غير طريقة الصحابة والتابعين في الزهد، فصار لهم طريقة خاصة توسعت بعد ذلك حتى صارت طرقا؛ لأنهم لم يتعلموا قبل أن يدعو، إذْ تغلب عليهم العبادة وحب الخير ولكنهم لما لم يتعلموا ظنوا كل طريق فيه خير فهو طريق صحيح، وهذا ليس كذلك.

ابن مسعود رضي الله عنه أتاه أحد تلامذته فقال له: يا أبا عبد الرحمن إن هاهنا قوم اجتمعوا في المسجد وتحلقوا يقول أحدهم: سبحوا مائة، ويرمون حصاة، ثم يقول: كبروا مائة احمدوا مائة، وهكذا، فذهب إليهم ابن مسعود رضي الله عنه ولما رآهم يسبحون على هذه الطريقة قال: إما -أحد الاحتمالين لاحظ العلم وأثره في الفهم كيف تصل إلى ربك جل وعلا- أن تكونوا أهدى من صحابة رسول الله ﷺ أو تكونوا على شعبة ضلالة. فقالوا: يا أبا عبد الرحمن -في الكوفة كان- الخير أردنا. يعني فهموا من المراد لأنهم جاءوا بشيء ولم يعرفوه لم يأخذوه عن ابن مسعود ولا عن الصحابة المتواجدين؛ لكن قالوا يا أبا عبد الرحمن الخير أردنا، فقال: كم من مريد للخير لم يبلغه، هؤلاء صحابة رسول الله ﷺ لم يموتوا وهذه آنية رسول الله ﷺ لم تكسر؛ يعني أن العهد قريب فكيف تحدثون مثل هذا الحدَث.

وهكذا يدلك على أن أنواع الدعوة سواء كان إلى أعظم شيء ألا وهو التوحيد أم إلى فضائل الأعمال إذا لم تنضبط بضابط العلم الصحيح المستقى من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ فلابد وأن يحدث الافتراق في الأمة، كما حصل فعلاً ما حصل الافتراق لأجل نقص العلم، ولكن حصل الافتراق

لأجل الجهل والبغي ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البينة: ٤]، وقال جل وعلا أيضا في سورة الشورى مبينا أنهم ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤]، وفي آيات كثيرة.

إذن نقول كن داعيا، ومعنى ذلك كن متعلما العلم الشرعي الذي يساعدك في الدعوة إلى الله جل وعلا، لا يُطلب من كل مسلم أن يتعلم بحيث يكون طالب علم، وأن يكون يحفظ ويفهم ويقرأ كثيرا ونحو ذلك، لا يُطلب منك ذلك وإلا فإنه لا يمكن ويسد باب الدعوة، لا يمكن أن يقوم الناس بالدعوة، أو نقول يسد باب الدعوة إلا من نفر قليل، وهذا ليس المقصود من ذلك؛ لكن تعلَّم ثم علِّم وادع إلى الله جل وعلا، وهذا نبه عليه النبي ﷺ بقوله **«نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها فأداها»** لاحظ **«سمع»** هذا فيه تلقي العلم، **«فوعى»** فيه فهم العلم، **«فواعاها فأداها كما سمعها»** دون تغيير، دون اجتهادات، دون زيادات، **«فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع»**.

الآن يُلقي الكلام، الداعية أو أنت تلقي الكلام، وربما تنصح وتدعو أو تبيّن، استعدادات الناس تختلف؛ فمنه من يتأثر بهذه الدعوة المبنية على العلم أعظم أثر، ومنهم من هو متوسط، ومنهم من هو دون ذلك، فلا تقل إن كنت داعية لا تقل لم يتأثر أحد، هذا ليس من شأننا البتة ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

نوح عليه السلام كم مكث في قومه؟ ألف سنة إلا خمسين عاما وهذه المدة ذكرت في أي سورة؟ في سورة العنكبوت، مدة مُكث نوح عليه السلام هذه المدة الطويلة ذُكرت في سورة العنكبوت فقط، لماذا؟ لأن موضوع سورة العنكبوت هو الفتنة التي يفتن الله بها الناس، كما قال تعالى في أولها ﴿الم ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ

ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ١-٣]، موضوع السورة في الفتنة بدأها بفتنة الإنسان ووالديه وهما يدعوانه إلى الشرك بالله جل وعلا قال تعالى ﴿فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ﴾ [لقمان: ١٥]، الفتنة بالمنافقين، ذكر قصة نوح في آيتين ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: ١٤-١٥] لماذا قصة نوح عليه السلام تأتي في آيتين في هذه السورة؟ ما القصد من ذلك؟ ما العبرة؟ العبرة أنّ من يدعو أو من يهدي الناس يُفتتن بالمدة الطويلة؛ لأن موضوع السورة الفتنة، نوح عليه السلام رسول أول الرسل ومن أولي العزم من الرسل مؤيد من الله جل وعلا ألف سنة إلا خمسين عاما ما الحصيلة ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

فإذن لا ينظر الداعية إذا كنت داعية لا تنظر إلى هل الناس اهتدوا أو لم يهتدوا، نفعت دعوتك أو لم تنفع، أثّرت أو لم تؤثّر؛ ولكن أصلح قلبك حتى يَصلح قولُك وعملك، ثم ادع إلى ما أمر الله جل وعلا أن يدعى إليه، ثم تذكر ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

الناس في المقام الواحد يختلفون، تجد شخص بعد أن يدعى أو يلقى عليه شيء أو نحو ذلك يذهب متأثرا بالقوة، ويبدأ يهمل إما في العلم أو في تصحيح التوحيد والعقيدة، أو في العمل أو في المحافظة على الفرائض أو اجتناب الكبائر والمنهيات أو، أو، وبعضهم يكون أقل وبعضهم يكون أقل.

إذن في الدعوة إذا كنت داعيا فلابد أن تعلم أن قبول الناس للدعوة مختلف؛ لكن الله جل وعلا يمكن على من يشاء من عباده.

آية في سورة الرعد عجيبة وهي قوله جل وعلا ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الرعد: ٤] المفسرون ذكروا هذه الآية -يعني بعض المفسرين أو من الأقوال في التفسير-: أن الله جل وعلا يبيِّن دلائل صنعه وربوبيته، يقول إن الأرض مختلفة، إن الأرض واحدة متجاورة الماء واحد يسقى بماء واحد ولكن الطعوم مختلفة ففي هذه دلالة على أنه ﷻ الواحد الأحد، ولكن الحسن البصري رحمه الله تعالى وهو البصير قال: هذه الآية مثل ضربه الله جل وعلا للناس إذ يتلقَّون الوحي أو الدعوة، وهم متقاربون كتقارب الأرض وتجاورها؛ لكنهم بعد نزول الوحي الذي يُشبه بالماء يتفاوتون في الأُكُل ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

لأن الأمر الأول ظاهر بين للدلالة على الربوبية والدلالة على الوحدانية لكنه في قوله ﴿يَعْقِلُونَ﴾ ما يدلّ على أن الناس متفاوتون في ذلك، وهذا التفسير هو الصحيح كما قال ابن كثير رحمه الله: وتفسير الحسن حسن في هذا المقام؛ لأنه فيه دلالة على شيء.

فإذن المسألة أنه إذا كنت داعية فانظر إلى تأسيسك، ولا تنظر إلى الناس من جهة هل استجابوا أو لم يستجيبوا؛ لأن النظر في الاستجابة وعدم الاستجابة هذه قد تؤدي إلى انحراف، وذلك الانحراف من جهة أنه سيقول: الناس لم يستجيبوا لأنه ربما ما قلت لهم لا يناسبهم، فيأتي ويبتدئ طرقا جديدة وأشياء محدثة ليؤثر عليهم، وربما استجابه لهذه الطرق المحدثة بعض من يدعوهم؛ لكن يقع الانحراف ولا تكون الدعوة حينئذ على هدى وعلى وفق الكتاب والسنة.

كن داعيا إلى الله جل وعلا، وأعظم ما يُدعى فيه إلى الله جل جلاله أعظم ما يحب الله ﷻ؛ وهو أن يوحّد العباد ربَّهم في أفعاله في أفعالهم، الرسل اجتمعت على دين واحد ألا وهو دين الإسلام، وهذا الدين الواحد تصحيح التوحيد، العقيدة الحقة التي اشتملت عليها رسالات الأنبياء، هذا الدين الواحد هو أعظم ما يحبه الله جل وعلا ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، هذا الإسلام الواحد هو الذي جاء به آدم ﵇، وهو الذي جاء به نوح ﵇، وهو الذي جاء به إبراهيم ﵇، ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢]، والإسلام عقيدة، الإسلام توحيد دين، جميع الأنبياء مشتركون في ذلك تختلف شرائعهم التفصيلية لكن الدين واحد، كما ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال «**الأنبياء إخوة لعلات الدين واحد والشرائع شتى**».

إذن كل رسول يدعو إلى تصحيح هذا الدين، وهكذا كل متّبع لهؤلاء الرسل فلا بد أن يكون داعيا إلى هذا الأصل الأصيل، وهو الإسلام، ما هو الإسلام؟ هو الاستسلام لله بالتوحيد -يعني الإسلام العام الذي جاءت به كل الرسل-، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

هذا الإسلام الذي يدعى إليه، فلا بد من التوحيد، ولا بد من الانقياد بالطاعة، ولا بد من تعليم الناس الولاء والبراء في دين الله جل وعلا، الولاء الحب؛ حب الدين، حب الله، حب رسوله ﷺ، حب أهل التوحيد، حب أهل الدين، البراء بغض الكفر، بغض الشرك، بغض عبادة غير الله جل وعلا وهكذا.

إذن فأعظم ما يدعى إليه التوحيد والعقيدة الصحيحة والسنة واتباع النبي ﷺ.

إذن كن داعيا إلى توحيد الله، كن داعيا إلى سنة نبيه ﷺ وإلى الإيمان به.

وهذا هو الذي أوصى به النبي ﷺ معاذا حين قال له: «**يا معاذ إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن أجابوك لذلك**» يعني: فإن هم وحدوا الله «**فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**».

إذن أنت ستدعو إلى هذا الأمر العظيم فلابد أن تتعلمه، هنا كن داعيا، تدعو من؟ تدعو من يحتاج إلى الدعوة.

بعض المسلمين عنده قدرة على أن يدعو غير المسلمين باللغة العربية.

وآخر عنده قدرة إلى أن يدعو غير المسلمين باللغة الإنجليزية أو باللغة الفرنسية أو باللغة الأردية أو باللغة المَالَوية أو باللغة التيلاندية أو باللغة الفليبينية أو باللغة اليابانية، أو بأي لغة، عنده قدرة، أعطاك الله جل وعلا هذه القدرة وامتن عليك بها، كن داعيا إلى الله بعد العلم بما أعطاك الله جل وعلا.

آخر عنده أسلوب في الدعوة يصلح في شيء ما، كن داعيا فيما أعطاك الله جل وعلا.

آخر أعطاه العلم يكون داعيا بما أعطاه الله جل وعلا.

لا يمكن أن نقول الناس: لابد أن تكونوا على مرتبة واحدة أو على طريقة واحدة أو يكونوا على نسق واحد لا يختلفون، ليس كذلك المهم سلامة المنهج في الدعوة إلى الله جل وعلا، وفهم الكتاب والسنة في أمر الدعوة، أما الاستعدادات فكما أعطى الله جل وعلا المسلم منها فعليه أن ينطلق في الدعوة بما أعطاه العمل الله جل وعلا من ذلك.

الداعية إلى الله جل وعلا لابد أن تظهر عنده مواقف ومشكلات، ولابد أن يواجهه أشياء إما علمية وإما عملية، لا تتوقع أنك إذا كنت داعيا أنه لن تواجهك مشكلة علمية لا تعرف كيف تخرج منها، أو مشكلة عملية، أو مشكلة دعوية أو علاقات إلى آخره، أو مواجهات مع الآخرين.

فالمرجع في الدعوة؟

لابد من معرفة المرجع في الدعوة إلى الله؛ لأنه إذا لم تحدد المرجع في دعوتك من أول الطريق، فإننا ستفترق في الدعوة ولابد، وهو الذي حصل في الأمة أنه لما غابت المرجعية في الدعوة وكذلك في العلم حصل التفرق، وبعد التفرق حصلت البغضاء، وبعد البغضاء ربما حصل ما هو أشد من ذلك من قذف الأمة بعضها بعضا، أو ربما حصلت المقاتل كما هو معلوم، ألم يتقاتل المسلمون؟ تقاتلوا، وتارة يكون كلٌّ يدعي أنه على الحق، لكن لابد من مرجعية.

ما المرجع؟

لاشك أن المرجع هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعمل السلف الصالح وكلام أئمة الإسلام الذين أجمعت الأمة على الثناء عليهم.

هذا مرجع مطمئن، واضح، بيّن، لا لَبْس فيه ولا غموض ويسهل أن تقنع نفسك به وأن تقنع الآخرين به؛ قال الله تعالى وقال رسوله، على هذا كان السلف الصالح، هذا الذي عليه أئمة الإسلام الذين أجمعت الأمة عليهم.

إذن فنحن مع هؤلاء الركب لا نتخلف عنهم، وهؤلاء السفينة التي من ركبها سلِم، ومن تخلف عنها غرق.

هذا يسميه بعض المعاصرين مصدر التلقي.

مصدر التلقي ما معناه؟

معناه المرجعية في الدعوة إلى الله، ما مصدر تلقينا في الدعوة؟ هذه الأمور: الكتاب قال الله، السنة قال رسوله ﷺ، الصحابة، هدي السلف الصالح، كلام الأئمة أئمة الإسلام الذين أجمع على أنهم من أئمة الإسلام واشتهر مقام الصدق فيهم.

إذن مصدر التلقي، إذا أردت أن تكون داعيا فلابد أن يتضح لك المرجعية، إذا لم تتضح لك المرجعية فسيكون هناك في مواجهة الأمر العملي لابد أن يكون هناك اجتهادات، ستجتهد وتجتهد وتجتهد بلا علم وبلا مرجع، فحينئذ ستكثر الخلافات والانحرافات في الدعوة، الدعوة فيها اجتهاد، لابد من جهة العمل فيها اجتهاد؛ لكن إذا كان مصدر التلقي واحدا والمرجعية واحدة فإن الخلافات ستقل، ولن تكون في الأمور المهمة، ستكون في الأمور غير المهمة.

كن داعيا إلى الله جل وعلا على منهج الأنبياء في البداءة بالأهم فالمهم.

ومنهج الدعوة حدده النبي بقوله «**إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله -أو إلى أن يوحدوا الله-**».

إذن منهج الدعوة فيه ترتيب، ما الحاجة؟ ما الذي تحتاجه الناس في الدعوة؟ فتجعل الأولوية متجهة إلى ما يحتاجه الناس.

فإذا كان الناس عندهم انحراف في توحيد الله جل وعلا، فيُجعل هذا هو لأولوية ويركز عليه، والأمور الأخرى تكون تبع لذلك لا تترك؛ لكن تكون تبعا.

إذا كان الناس على توحيد؛ لكنهم عندهم غفلة، تفريط بالفرائض، ارتكاب لبعض المنهيات، إقدام على الشهوات، تساهل في هذا، فيدعون ويوعظون بما نقصهم.

لهذا رسالات الأنبياء بالاتفاق أنها كانت جميعا يدعون إلى التوحيد وإلى تحقيق الإسلام؛ لكن نجد بعض الأنبياء لم يذكر الله جل وعلا عنه تفصيلا أنه دعا إلى التوحيد مثل من؟ مثل لوط عليه السلام، لوط عليه السلام كلْ ما في القرآن عنه أن الله جل وعلا أمره فقال لوط لقومه في النهي عن كبيرة إتيان الرجال والعياذ بالله وأيضا قطع السبيل، ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ وأيضا ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٩]، ﴿ [أَئِنَّكُمْ] لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء﴾ [النمل:٥٥]؛ لكن ماذا....؟ هل لم يدع؟ دعا إلى ذلك، هذا هو الأصل لكن كانت هذه هي الفاشية وهي الوصية لغضب الله فوصى الله جل وعلا عليها وإلا فالجميع مشتركون في ذلك.

إذن فأولويات الدعوة تكون بحسب الحاجة، تكون بحسب الحاجة إلى ذلك؛ لكن لا يأتي قائل ويقول إذا رأينا الحاجة مثلا في الدعوة إلى بيان أمر من أمور الشريعة، فمعنى ذلك أننا لا ندعو إلى الأصل ألا وهو التوحيد والسنة. لا، ذاك الأصل لابد أن يكون مستصحبا أن يتعرض له الدّاعي في أي حال، تثبيتا له وتأكيدا وتذكيرا للنفوس به.

المسائل نوعان: مسائل علمية، ومسائل عملية.

أما المسائل العلمية فيتعرض لها ويعترض لها النسيان، والمسائل العلمية تنسى.

والمسائل العملية هي بحسب العمل، إن تتابع الناس بالعمل بها لم تنس وإن تركوها بسبب نسيت.

مثلا الأمة في تاريخها لم تترك الصلاة؛ لم يتركوا الصلاة ولم يتركوا الصيام؛ لأن هذه الأمور عملية يتتابع فيها ويتربى الناس.

لكنهم نسوا وجهلوا العلم بالتوحيد والعقيدة الصحيحة والسنة فوقع منهم ما وقع.

لهذا نقول: الأمور العلمية يؤكد عليها ويؤكد حتى لا ينساها الناس، وأول ما وقع الشرك في قوم نوح والابتلاء بالصور المعظمة والتماثيل ونحو ذلك، قال ابن عباس كما في صحيح البخاري: فلما تنسخ العلم عُبدت. لاحظ نسيان العلم، العلم لا يبقى، العلم ينسى.

إذن لابد من ترتيب الأولويات.

كن داعيا إلى الله جل وعلا معك وسيلة الدعوة، لا يمكن للداعي أن يدعو بلا وسيلة، لابد أن يكون معه سلاح، لابد أن تكون معه وسيلة، لابد أن يكون معه ما يعضده في دعوته، كيف؟ الناس منهم طلبة علم ممكن أن يدعو بما يحفظ، حفظ الكتاب أو شيئا منه، أو حفظ السنة أو شيئا منها، حفظ وعلِم وعلَّم فهو سيدعو بما أتاه الله جل وعلا.

آخر ما يحتاج إليه أن يكون معه السلاح من الكتب والأشرطة والنشرات، الكتيبات تكون معه في كل حال، كتيبات باللغة العربية فيما يدعى الناس إليه ويرشدون، كذلك باللغات الأخرى.

إذا أردت أن تكون داعية، ونؤكد ونقول كن داعيا واحرص على ذلك في كل مقام، اجعل معك السلاح دائما معك في حقيبتك في سيارتك.

ربما تأتي وتريد مثلا -هذا مثال- تريد مثلا أن تأخذ بنزين، ما فرصة الدعوة؟ فرصة هذا كتاب وهذا شريط؛ لكن إذا لم يكن معك، فكيف سيبقى

أثر هذه الدعوة، يكون معك كتاب نافع، يكون معك شريط نافع من الكتاب المأمونة، والأشرطة المأمونة التي صدرت عن علم صحيح، أو بأسلوب جيد يوعي الناس، لا تتوقع ماذا سيكون الأثر، ستذهب لكن الأثر عظيم.

وأنا أضرب لك مثالا بقصة من القصص عجيبة:

الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله تعالى، رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ومن أنشأها في مصر، كان أتى من قريته كما حدث عن نفسه بعض المشايخ وسمعتُ منهم.

درس في مصر في الأزهر، وفي الأزهر بحكم المنهج لا تدرّس كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ولا كتب ابن القيم، ولا تدرّس كتب السنة بتوسع، من جهة المنهج؛ يعني هناك كتب أخرى إلىَ آخره، فلم يكن يعرف هذه الكتب أصلا، ودرس المنهج المعروف.

بينما هو راجع إلى بلده بالسيارة، قال: أردنا أن نقف في مكان فيه مثل الدكّة؛ فيه مرتفع، وجلوس قرب مزارع -أراضي فيها زراعة-، قال: فنزلنا لنشرب بعض الماء وجلست، وإذا بالمكان الذي أنا فيه، المكان هذا فيه بعض الكتيبات بعض الكتب والرسائل، وصاحب الحقل، صاحب المزرعة هناك يشتغل في الماء، يرتب الماء وهو ينظر إلي وأنا علي لباس المتخرج من الأزهر، عليَّ الجبة والعمامة إلى آخره -يعني يدل على أنه من طلبة العلم في الأزهر الشريف- جعل ينظر إلي ويشتغل، ويقول: وأنا أخذت هذه الكتب، والكتاب الذي وقع على عيني فتحته فإذا هو لابن القيم اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية.

يقول: فتأثرت، هذا الكتاب ما مر علي، ظننت أن بدراستي في الأزهر كل شيء مر علينا هذا الكتاب ما مر علينا فلما جلست أنظر وأقرأ، وأقرأ،

أتى هذا الشيخ الكبير في حقله، وقال لي: أنت تخرجت من الأزهر؟ وبعد حديث، هذه الكتب لا تدرس في الأزهر تحتاجها أنت في مكتبتك، فخذها مني هدية لك، فقلبت حياة الشيخ محمد حامد الفقي.

فرجع إلى بلده ولما قرأ هذه الكتب، هذه الرسائل التي كانت في ذلك المكان، لما قرأها، رجع إلى القاهرة مرة أخرى قال، فيمّمت نحو الشيخ محمد رشيد رضا الذي كان تصدر له مجلة المنار، واتصلتُ به وبدأت طريقا آخر.

الرجل من هو؟ يقول لا أعرفه عالم الذي أعطاه الكتب؟ مزارع في حقله؛ لكن كان معه السلاح، وهذا السلاح هل ذاك الرجل يعرف أن فلان هذا الذي جاء محمد وأنه سيكون له من الأثر؟ لا يعلم عن ذلك شيئا؛ لكن النية الصالحة ووسيلة الدعوة السليمة موجودة، والإهداء موجود، وروح البذل موجودة، فحصل ذلك.

لهذا نقول ليكن معك دائما سلاح الدعوة، ليكن معك ما تحفظ من الكتاب والسنة، ليكن معك ما هو موجود من الكتب والرسائل والأشرطة.

ولهذا وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد نظّمت معرضا، وهو المعرض الأول في المنطقة الشرقية بدأ يوم السبت الماضي، عنوانه كن داعيا، المعرض الأول لوسائل الدعوة، فيه السلاح، ما نستطيع أن نجعل الناس جميعا نؤهلهم للدعوة؛ لكن نوفر لهم هذا السلاح، كتب بجميع اللغات، وأشرطة مختلفة فيه شيء لغير المسلمين بلغات مختلفة، للمسلم، وللشاب، للمرأة، للطفل، للكبير، للصغير، إلى آخره. ليكن مع الرجل، مع الأم، مع الوالد، مع الذي يتنقل، مع المسافر.

حتى أن بعض الإخوة هناك عملوا حقيبة مقسمة إلى اثنا عشرة قسم أو أكثر، وكل قسم من الحقيبة عليه عنوان أيش في داخل هذا القسم، حقيبة تحمل وفيها الكتب والأشرطة باللغات المختلفة.

نريد أن نقول: إن هذا تقوية ليكون معك السلاح.

وسيكون في جدة إن شاء الله تعالى هذا المتعرض في هذه السنة بإذن الله تعالى.

إذن فلابد أن يكون معك السلاح، بحسب الدعوة التي تريد.

أما أن نقول: الدعوة ضعيفة، أين الدعاة، والواحد منا لا يحمل كتابا لا يحمل شريطا للدعوة يهديه ويبذله، القصور منا، وليس القصور من الوسائل، الوسائل -ولله الحمد- المأمونة في هذا البلد الطيب المبارك موجودة ووافرة لمن أراد.

كن داعيا إلى الله ﷻ، لا تريد بدعوتك إلا وجه الله ﷻ، أخطر شيء على الإخلاص ميدان الدعوة، ميدان الدعوة ميدان شهرة وميدان ذكر وميدان بروز لبعض الناس، وذلك هو أخطر شيء من العمال الصالحة أخطر شيء على الإنسان لأنها فيما يصرفه عن الإخلاص، مثل التصدر للتعليم، فلهذا إذا أردت أن تكون داعية، فنبه نفسك دائما على الإخلاص والصدق في ذلك، وأنك لا تريد بدعوتك خدمة لنفسك أو لحزب أو الطاعة، وإنما تريد أن تهدي الخلق إلى ربهم جل وعلا، وأن يستقيموا على طاعة الله جل وعلا.

أبو الدرداء ﷺ مرّ بجمع من الناس ووجدهم يتكلمون على رجل، يؤنبونه ويرفعون عليه الصوت، وهم جلوس.

فسألهم ما الأمر؟ فقالوا: هذا الرجل فعل كذا وكذا وكذا، من الذنوب، كبيرة من الكبائر التي فعلها.

فقال أبو الدرداء وهو حكيم هذه الأمة: لو سقط أخوكم في بئر ما كنتم صانعين؟

قالوا: ننتشله من البئر.

قال: أتلومونه أولا على السقوط ثم تنتشلونه؛ يعني الآن هو طايح في البئر أو حصل له حادث ويريد الإنقاذ إلى المستشفى، أو نحو ذلك، لماذا تسرع؟ لماذا، كيف تحط في البئر؟ هل هذا طريق؟ ليس طريقا.

قال أبو الدرداء لهم: ما كنتم صانعين أتلومونه أم تنتشلونه من البئر؟

قالوا: نخرجه من البئر.

اللوم لمن وقع ليس أسلوبا مصيبا دائما، الدعوة تحتاج منك إلى أن تنتشل وتنقل، ثم بعد ذلك تذكّر بسوء ما كان عليه الناس، لذلك يكون أثبت، خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام.

كان الصحابة يتذكرون أمرهم في الجاهلية، لماذا؟ ليس من جهة اللوم، لكن من جهة أن يكون عندهم استمساك أكثر بالإسلام بدين الله جل وعلا.

والوصية لي ولكم جميعا أن نَحرص على توطين أنفسنا على الدعوة إلى الله جل وعلا، المرأة الصالحة، المرأة المسلمة، عليها مهمة عظيمة في أن تدرب نفسها على ميدان الدعوة إلى الله جل وعلا.

هل ميدان الدعوة بين النساء هو بين الصالحات، أو بالتعبير الدارج بين الملتزمات؟ ليس كذلك، الأمر أوسع من هذا، لكن الأسلوب والسلاح،

والله جل وعلا من أراد هدايته فسيهديه إلى صراط مستقيم.

المرأة عليها واجب كبير نحو الدعوة إلى الله جل وعلا، لذلك لابد من أن تكون كما ذكرنا متسلحة بالعلم، معها السلاح، عندها البذل في ذلك بحسب محيطها الذي تعيش فيه.

الرجل أيضا يعود أهله، يعود أبناءه الصغار على أن يحملوا هم هذه الدعوة؛ لكن بما يناسبهم بطرقهم.

الدعوة إلى الله جل وعلا لابد أن تكون بحسب ما يفقهه الناس، لا بحسب ما يريده الإنسان، حدثوا الناس بما يعرفون، إذا دعوت -رجلا كنت أو امرأة- إلى ما تريد أنت بدون معرفة حال الناس أو كيف استعدادات الناس وما يحتاجونه وكيف يتقبلون وما الأشياء المؤثرة عليها فإنكما تحدث نفسك، لابد أن تنزل، لذلك تجد بعض العلماء يؤلف مؤلفات عالية في الجودة فيها قوة لفظية وقوة علمية ويصنف مصنفات سهلة جدا، لماذا؟

النووي رحمه الله ألف شرح المهذب صحيح؟ يعني جزء من شرح المهذب في فقه الشافعية، وألّف رياض الصالحين، رياض الصالحين أجمعت الأمة على حسنه وعلى تداوله بعده؛ ولكن الكتاب لمن؟ هل هو للعلماء؟ للجميع؛ لأنه عرف ما يحتاجه الناس بجميع طبقاتهم فكتب.

بعض العلماء تجد في بعض رسائله العبارات الشرعية القوية وفي بعض رسائل أخرى تجد عبارات عامية، مثل ما استعمل إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في بعض الرسائل فيه كلمات عامية، هل هو قصور في فهم اللغة؟ لكن لأنه هذه رسائل ورقتين أو ثلاث ستذهب للناس فيخاطب العوام بقدر ما يستوعبون.

أحد العلماء أتاه رجل فقال له: ما معنى آية أسمعها دائما، ولكن ما عرفت معناها؟ قال وهو من علماء الرياض قديما ومن آل الشيخ رحمه الله قال: وأيش الآية يا ولدي؟ بالعبارة قال ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝﴾ [الفرقان:٧٧]، يمكن كثير من الإخوة ربما ما طالع تفسيرها، العالم ماذا قال له؟ ربما يأتي أحد ويقول عَبَأَ يَعْبَأُ هذه معناها كذا و أصلها ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا﴾، ﴿لَوْلَا﴾ حرف دخول كذا، يبدأ يفسرها كما فسرها علماء التفسير التحليلي في ذلك؛ لكن قال له -يعني باللغة العامية في نجد- أنا أعبر عنها بالتعبير العربي: الله جل وعلا خلقكم لأي غرض إن لم يكن دعاؤكم وتوحيدكم ودعوتكم للإسلام وعبادتكم له وحده لا شريك له. ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾ يعني أنكم لا تستحقون لولا الدعاء الصالح والعبادة، قال: يعني أنكم إذا ما عبدتم الله جل وعلا وحده فما له لزوم فيكم.

أقصد من هذا المثال أن الداعي إلى الله جل وعلا ينزل بالمستوى، لابد أن ينزل باللفظ والشرح حتى يستوعب الناس الدعوة، أما أن تكون الدعوة في مستوى واحد للجميع، مثل من يحفظ أشياء ويبلّغها دائما بنفس المستوى، ليس الأمر كذلك، لابد من رعاية الحال والمَقام والاستيعاب حتى تؤثر هذه الدعوة.

الطفل الصغير أو يعني من هو في سن التمييز يمكن أن يُدرّب على الدعوة، الشاب يمكن أن يدرب على الدعوة، المرأة تدرب على الدعوة، الفتاة يمكن أن تدرب على الدعوة؛ لكن بالأسلوب الذي يصلح.

فمثلا عندك ولد عنده محبة وفتنة بالكمبيوتر مثلا واستعماله، أدخل عليه من ميدان الدعوة وأن يرسل أشياء ويستقبل أشياء في هذا الميدان؛ لأن هناك

شيء سيشتغل به فاجعله يشتغل بما يؤصل به هم الدعوة إلى الله جل وعلا، وقد جُرّب هذا فنجح.

المرأة تكون معها رسائل أذكار كتب في السنة في ذلك توزعها تهديها تعطيها إلى آخره في المجال.

الداعية إلى الله جل وعلا -وهو الختام- لابد أن يهتم بالسنة -سنة النبي ﷺ القولية والعملية؛ لأنه إن أخلى نفسه من السنة قولا وعملا فإنه سينقص من أمره بحسب ذلك.

السنة هي أعظم شيء، السنة تشمل الواجبات، تشمل المستحبات، سنة النبي ﷺ الناس يحتاجون إليها، سنته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في عبادته، سنته في شرابه، سنته في هديه، سنته في أهله، سنته مع صحابته، سنته مع الأعداء، سنته مع العصاة، سنته مع المحتاج للدعوة، سنته مع البعيد، سنته في رسائله، لهذا ألّف ابن القيم كتابا جامعا في هذا سماه زاد المعاد في هدي خير العباد.

السنة مهمة جدا في هذا الأمر، ونقف عند هذا الحد.

والموضوع لاشك ذو شعب، وأنه كثير الميادين.

وأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن استعمله في طاعته، وصرف عنه الفتن ظاهرها وباطنها، وغفر له ولوالديه ولأهلينا وذرارينا جميعا، وجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى.

اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا ولمن له حق علينا، واستعملنا في رضاك، اللهم وفق ولاة أمورنا لان تحب وترضى، واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، ولا تخزنا يوم تبعث عبادك، واستر علينا بسترك، وأسبل

علينا عفوك ورحمتك وعافيتك ومنتك، إنك جواد كريم كثير العطاء كثير النوال.

اللهم واغفر وأجب وأنت أكرم مسؤول.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

۞ ۞ ۞

الأسئلة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

نأخذ بعض الأسئلة بحسب ما يمكن في هذا الوقت القصير.

س١/ السؤال يتعلق بإيجاد موقع للجنة الدائمة وهيئة كبار العلماء على الإنترنت.

ج/ حسب ما سمعت من المشايخ في دار الإفتاء على أنه يجري الآن إعداد موقع لذلك، وأن تكون فيه جميع الفتاوى والقرارات والبحوث على ذلك الموقع.

س٢/ ما هي أخبار القناة الإسلامية الفضائية؟

ج/ القناة الإسلامية الفضائية السعودية بإذن الله تعالى سوف تبدأ هذا العام، الخطوات الأخيرة الآن ترتب لها، نسأل الله جل وعلا الإعانة للجميع.

س٣/ هل يجب على الشاب الملتزم أن يترك طلب العلم من أجل حفظ القرآن الكريم؟

ج/ أولا حفظ القرآن من الأعمال الصالحة والقربات العظيمة؛ لأن قارئ القرآن له بكل حرف يقرؤه عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وكثرة القراءة تتهيأ مع الحفظ، ولذلك هو عمل صالح عظيم، وعبادة كبيرة لله جل جلاله فأحث نفسي والجميع أن نستزيد من القرآن تلاوة وحفظا وتدارسا، فهو النور الهدى وهو حجة الله على الأولين والآخرين.

أما مسألة طلب العلم والحفظ، فحفظ القرآن مستحب وطلب العلم نوعان: منه واجب، ومنه مستحب.

فأما العلم الواجب الذي لا يصح العمل إلا به، فإن هذا مقدّم على المستحب، فيقدم العلم الواجب على الأمور المستحبّة أو العلم الواجب تارة يكون في العقيدة تارة يكون في العبادات، تارة يكون في المعاملات بحسب حاله، عامة المسلمين لابد أن يتعلموا العلم الواجب في تصحيح قلوبهم وتوحيدهم لله جل وعلا حتى تكون شهادتهم بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله على علم، ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

العبادات الصلاة الزكاة لابد فيها أيضا من العلم حتى يصلي على بينة وعلى علم، حتى يزكي على بينة، يصوم على بينة وهكذا.

كذلك إذا كان من أصحاب البيع والشراء لابد أن يتعلم بعض الأحكام الضرورية المتعلقة بذلك.

فإذن إذا كان العلم مما لا يجوز تركه أو لا يسعه جهله لطلبه من المكلّف، فإن هذا يقدم على جميع النوافل باتفاق العلماء.

وأما إذا كان العلم زائدا على ذلك -مستحبّا- فهل يقدم على حفظ القرآن أم لا؟

العلماء اختلفوا في ذلك:

فمنهم من قال يقدم حفظ القرآن.

ومنهم من قال يقدم العلم؛ لأن تعلم العلم أثره متعد وحفظ القرآن أثره من

جهة العبادة غير متعد، فنقدم العبادة المتعدية على العبادة اللازمة.

والصحيح في ذلك هو التفصيل وهو أن الناس يختلفون:

فمنهم من يكون عنده ملكة في الحفظ قوية وعنده رغبة جازمة في العلم فهذا يوجه لحفظ القرآن ومعه أو بعده يتعلم.

وأما من كان لا يمكنه إلا أن يتعلم وليس عنده استعداد للحفظ ولو حفظ فإنه سيمضي سنوات طويلة يَمضي فيها فهمه وفترة شبابه ونحو ذلك وهو يحفظ.

أنا أعرف من مكث يحفظ ولم يثبت القرآن اثنا عشرة سنة وأربعة عشرة سنة لأجل ضعف الاستعداد وعدم القدرة على الحفظ، فهذا في حقه يكون تعلّم العلم والحضور عند العلماء أولى.

فإذن المسألة الصواب فيها التفصيل في الحال الثانية.

س٤/ يقول السائل: أحيانا عندما أدعو بعض الشباب أتكاسل وأتركهم، وعندما يكون بعض الأصدقاء أتشجع وأدعو عندما أرى منكرا، فهل هذا من النفاق؟

ج/ ليس من النفاق لكن المرء المسلم يحاسب نفسه، يدعو ويحاسب نفسه، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجعل نفسه أول المخاطبين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولذلك سئل الإمام مالك رحمه الله وتعالى -مالك ابن أنس إمام دار الهجرة وإمام المسلمين- هل من يقع في المنكر لا ينكر المنكر؟ فقال الإمام مالك: لو لم ينكر إلا من سلِم من المنكر فإنه قد لا ينكر أحد. وذلك لأنّ

السلامة قد تكون عزيزة ليست في سلوك الإنسان، قد تكون في بيته، قد تكون فيما حوله، وإذا كان أنه سيسكت الجميع فحينئذ تقع المصيبة.

ولهذا نقول: إن الإنسان المسلم طالب العلم يدعو يخاطب نفسه، ويدعو إلى التوحيد إلى السنة إلى الالتزام ويخاطب نفسه، يأمر بالمعروف ويخاطب نفسه بالنهي عن المنكر ويخاطب نفسه، فيكون ممن أمر وحثّ نفسه على الامتثال بالأمر في ذلك.

س٥/ كيف يجمع طالب العلم بين العلم والدعوة وهل الأفضل التفرّغ للعلم؟

ج/ العلم دعوة، العلم والتعليم موعظة عظيمة ودعوة عظيمة، لا يُظن أن العلم والتعليم ليس دعوة، العلم أساس الدعوة لأنك من ستدرس وستعلم هؤلاء دعوتهم أصلا، وقويت الإيمان في قلوبهم بالعلم بالله جل وعلا وبحقوق رسوله ﷺ وبشريعة الإسلام، وأيضا هم سينتشرون بذلك.

من الذي أثر في الناس بالدعوة؟ العلماء والعلماء كانوا طلبة عند من قبلهم وهكذا، فالعلم دعوة إلى الله جل وعلا.

والناس جعلهم الله جل وعلا طبقات واستعدادات.

سئل الإمام مالك رحمه الله تعالى -وأنا اليوم مالكي- فقيل له: نراك في العلم، أين أنت من الجهاد في سبيل الله؟ أين أنت من الرباط في الثغور؟ مثل ما يقول اليوم بعض الجهلة يقول: هذا عالم جالس في المسجد وِينَه من الجهاد وأين هو من كذا؟ إلى آخر كلمة من لا يعلم.

فقال الإمام مالك رحمه الله كلمة تعتبر قاعدة شرعية في هذا الباب قال: يا هذا، إن من عباد الله من فتح له باب الصلاة -يعني كثرة العبادة بالصلاة

النوافل-، ومنهم من فتح لهم باب الصلاة والصدقة -باب الصدقة-، ومنهم من فتح له باب الصيام، ومنهم من فتح له باب الحج والعمرة، ومنهم من فتح له باب الجهاد، ومنهم من فتح له باب العلم، وأنا -يقول الإمام مالك- ممن فتح له باب العلم ورضيت بما فتح الله لي.

لا يمكن أنّ الأمة تكون شيئا واحدا؛ لكن لا بد أن يكون منهجها واحدا، لكن أن يكونوا جميعا علماء؟ لا يمكن، أن يكونوا جميعا دعاة بلغة معينة؟ لا يمكن، أن يكونوا جميعا مسافرون؟ لا يمكن، لأن يكونوا جميعا معلمون في مكاتب للدعوة؟ لا يمكن.

إذن نعين بعضنا بعضا على ما أعطاه الله جل وعلا، ونتعاون على البر والتقوى؛ لكن تحت مضلة واحدة وهي سلامة المنهج في الدعوة إلى الله جل وعلا وفي سلوكنا جميعا لنتوحد ولا نختلف.

س٦/ يفرّق بين طلب العلم والتربية ويقول إن بعض الأشياء في الكبار في السن ليس لديهم تربية وإنما هام مجرد؟

ج/ إذا صلح العلم وصلح الاستقبال له فإنه أعظم تربية، يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى: كنا نحضر عند شيخنا أبي عبد الله -يعلمهم العلم- وكنا نستفيد من بكائه أكثر من استفادتنا من علمه، تعلّموا منه -يقول- أثر فينا ببكائه بسمته بخشوعه.

طالب العلم إذا اتصل بالعالم فإنه لا يقتصر الأثر على سماع العلم، لا، عبادته ومسابقته للصلاة، كيف يعامل الصغار؟ يرحم، كيف يتعامل مع الأمور الكبار، كيف ينظر إليها؛ لأن الشباب عادة فيهم اندفاع، وفيهم قوة، وفيهم إقبال، فإذا لم يكونوا تحت مظلة المشايخ والعلماء بالاستفادة من

هديهم وسمتهم ودلّهم وحكمتهم فإنه يكون هناك نقص كبير في تربيتهم.

إذن العلم والعلماء هم مصدر التربية الصالحة.

س٧/ هذا أيضا في نفس الموضوع يقول: بعض الشباب الملتزم يقللون من شأن طلب العلم؛ بل وربما يفصلون بينه وبين الدعوة إلى الله، ولذلك كثير من الشباب يهجرون الدروس العلمية ومجالس العلماء بحجة أنهم عندهم برامج يقومون بها إلى آخره.

ج/ كما ذكرت لك التوازن مطلوب، من آنس في نفسه رشدا فالعلم أفضل النوافل، العلم ما بعد العلم الواجب هو أفضل القربات كما نص العلماء عليه؛ يعني قربات التطوع.

من آنس في نفسه ردا وقوة فالعلم أفضل.

من لم يأنس من نفسه ذلك فلا يدعو إلى شيء إلا إذا تعلمه بحجته الصحيحة من كلام أهل العلم المأمونين.

س٨/ هل يأثم الإنسان إذا رأى الناس جالسين في وقت الصلاة فلم يدعهم إلى الصلاة؟

ج/ نعم، إذا كان الوقت وقت أداء للصلاة؛ يعني الصلاة تقام، وأناس جالسين لا يصلون فيؤثم إذا لم يأمرهم بذلك؛ لكن إذا كان في الوقت سعة فيحضهم على أن يدركوا الوقت وأن لا يتخلفوا عن الصلاة، فالإثم مرتب على حلول الوقت الواجب لأداء الصلاة إذا كانت في المسجد، أو مع أدائها في ذلك.

فلابد أن يأمرهم في ذلك وينهاهم عن ذلك.

س٩/ ما حكم الجماعة الثانية في الصلاة وهل كانت تفعل في زمن رسول الله ﷺ؟

ج/ جمهور أهل العلم أن الإمام الراتب في المسجد إذا صلّى وانقضت صلاته بالتسليم، وأتى أناس وأرادوا أن يصلوا فإن صلاتهم وتجميعهم بعد الإمام الراتب صحيح، ولا بأس به، بشرط أن لا يكون قصدهم مخالفة الإمام وعدم الصلاة وراءه.

وهذا قول جمهور أهل العلم وهو الصحيح، وذلك لأن النبي ﷺ كما جاء في السنن -سنن أبي داود عند البيهقي أيضا- من أنه لما صلى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ جاء رجل بعد سلامه فقال رسول الله ﷺ «من يتصدق على هذا» فقام رجل فصلى معهم وهذه جماعة ثانية في مسجد رسول الله ﷺ، وهذا الرجل هو أبو بكر الصديق كما في رواية البيهقي في سننه.

ومن أهل العلم من منع ذلك، وقال: إن الجماعة الثانية لا تجوز؛ لأنها مخالفة للجماعة الأولى، والتجميع في المسجد أكثر من مرة لا دليل عليه، وحملوا الحديث السابق على الخصوصية.

وانضم إلى ذلك أن فعل عدد من الصحابة كابن عمر وكأنس أنهم لما قدموا إلى المسجد ورأوا الناس قد صلوا فلم يصلوا في المسجد ورجعوا وجمّعوا في بيوتهم.

والقول الثالث أن هذا يُكره.

وأما القول الرابع والأخير فهو أن تعدد الجماعات يكره في الثلاثة مساجد؛ المساجد المفضلة مكة والمدينة والمسجد الأقصى كما هو مذهب الحنابلة وغيرهم.

فتلخص من هذا أن الصحيح الذي عليه الدليل أنه يجوز التجميع في المسجد بعد الإمام الراتب لمن أتى وقد فرغ الإمام من صلاته، بشرط أن لا يكون التخلف مقصودا به عدم الصلاة وراء هذا الإمام، وهذا هو الذي تدل عليه الآثار عليه.

عدم التجميع نصّ عليه الشافعي في الأم أنه لا يُجمع، وابن حزم وجماعة ما أدري هل هو قول المالكية أم لا؟

إذا لم يكن فيه قصد لا بأس من تكرر الواحدة والثانية إذا لم يكن من غير قصد.

س١٠/ هل الصلاة في المسجد القديم أفضل من الصلاة في المسجد الجديد؟

ج/ نعم المسجد القديم الأكثر مصلّين أفضل من المسجد الجديد الأقل مصلين كما ذكر ذلك أهل العلم لأن له السابقة والكثرة.

أظن نكتفي بهذا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

۞ ۞ ۞

تفاني السلف في الدعوة إلى الله

الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد، فصلى الله وسلم على نبينا محمد كلما صلى عليه المصلون، وصلى الله وسلم على نبينا محمد كلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون، وعلى الآل والصحب أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها الإخوة في الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فإنها لمناسبة سارة سعيدة أن يكون مع تنظيم المعرض الثالث لوسائل الدعوة إلى الله سلسلة من البرامج الدعوية والمحاضرات والدروس والدورات التدريبية النافعة، وذلك ليتوافق التواصل ما بين القول والعمل وما بين التنظير وما بين التطبيق، فإنّ الأصل في نجاح أعمال الدعوة إلى الله أن يكون القول والعمل معًا، وأن يكون القائمون على الدعوة إلى الله ييسرون سبيل الدعوة، ويفتحون أبوابها، وأن يكونوا جميعًا يدًا واحدة في الخير متعاونين على البر والتقوى.

ولا شك أن الدعوة إلى الله جل وعلا هي مهمة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، كما عبر العلامة شمس الدين ابن القيم، فإن الأنبياء والمرسلين بعثوا إلى شيء واحد ألا وهو الدعوة إلى الله جل وعلا، الدعوة إلى الله بتقواه، الدعوة إلى الله بتوحيده، الدعوة إلى الله باتباع رسوله الذي أرسل، الدعوة إلى بأن تطلب مراضي الله جل وعلا وأن يبتعد عن مساخطه ﷻ.

ولهذا أجمعت الأنبياء والمرسلون جميعًا من لدن آدم عليه السلام -وهو أول الأنبياء- ونوح عليه السلام -وهو أول الرسل- إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أجمعوا على البذل في الدعوة إلى الله امتثالاً وحضًا على نشر ما يحب الله جل وعلا ويرضاه من الأقوال والأعمال التي هي سبيل الدعوة، ولهذا قال جل وعلا ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، وهذا فيه تفضيل للداعي إلى الله جل وعلا بقوله إذا أتبع القول بالعمل ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فلا أحد أحسن قولاً ممن يدعو إلى الله جل وعلا، يدعو إلى تعظيم الله، يدعو إلى توحيد الله، يدعو إلى ترك الشرك ووسائله، يدعو إلى اتباع السنة، يدعو إلى أن يطيع الخلق ربهم جل وعلا.

ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في هذه الآية لما تلاها قال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله إليه من دعوته، هذا ولي الله، هذا صفي الله.

وهذا كما قال أيضًا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى قال: ودَدتُّ أو وِددت أن الخلق أطاعوا الله وأن جسمي قرض بالمقاريض.

وهذا يعطيك شدة فقه أئمة الدين بالقرآن وبسنة النبي ﷺ، وبحرصهم الشديد على نشر الدعوة والبذل في أن يطيع الخلق ربّهم جل وعلا.

فالدعوة إلى الله جل وعلا مقام عظيم وشرف كبير ومنزلة رفيعة عالية اختص الله جل وعلا بها الأنبياء والمرسلين، ومن سار على نهجهم في هذا السبيل؛ لهذا قصّ الله جل وعلا في القرآن سير الأنبياء وسير المرسلين منبها إلى أنهم كانوا دعاة إلى الله جل وعلا.

فانظر مثلاً إلى قول أول الرسل عليهم صلوات الله وسلامه نوح عليه السلام في سورة باسمه سورة نوح قال فيها: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾[نوح: ٥-٦]، فدعاهم مع أنه المؤيد بالمعجزات والبراهين، دعاهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ليلاً ونهارًا، لم ييأس، ولم يتواكل؛ بل كان مقبلاً على هذا السبيل ليلاً ونهارًا والنتيجة ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾.

وأخبر الله جل وعلا عن نوع آخر من الدعوة في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام لما ناظر قومه كما أخبر في سورة الأنعام في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام: ٧٤] الآيات حيث قال فيها مناظرا لقوله: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨﴾ [الأنعام: ٧٧-٧٨]، قال أهل العلم: كان إبراهيم عليه السلام مناظرًا للمشركين بما ذكر لا ناظرًا في الملكوت أو في الدلائل.

لهذا كان من منهج أهل السنة والجماعة أن إبراهيم عليه السلام كان في هذه الآيات وما قاله داعيًا إلى الله بالمناظرة بالمحاجّة لهذا قال في آخرها:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ [الأنعام:٨٣]، فإبراهيم عليه السلام دعا إلى الله جل وعلا في وجه من أوجه الدعوة وهو المناظرة والمجادلة وبذل في ذلك، ودعا من؟ دعا أباه كما في قصته في سورة مريم، ودعا قومه كما في قصته في سورة الأنعام وفي سورة الأنبياء وفي الصافات وفي غيرها، ودعا الناس إلى ذلك، فآمن به من آمن وكان من أعظم من آمن به لوط عليه السلام ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [العنكبوت:٢٦].

وهنا تقف أن الأنبياء عليهم السلام والرسل عليه الصلاة والسلام كانوا أكثر الخلق بذلاً في الدعوة إلى الله جل وعلا؛ لأن الله كلّفهم بذلك وأمرهم به كما أمر نبيه ﷺ بذلك، فالجميع مأمورون بتبليغ رسالات الله، الجميع مأمورون بتبليغ الدعوة إلى الله جل وعلا، وهذا السبيل وهو سبيل إبلاغ الدعوة هو سبيل الأنبياء وهو هداهم وهو هديهم وهو سمتهم الواجب الذي أوجبه الله جل وعلا عليهم، فنحن مأمورون أن نقتدي بهم، قال جل وعلا في حقهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، يعني اقتد بذلك الهدى الذي منه أنهم كانوا دعاة إلى الله جل وعلا.

وخذ مثلاً لذلك يوسف عليه السلام، يوسف عليه السلام في جميع أحواله التي تقلب فيها منذ أن كان في بيت العزيز وما حصل في بيت العزيز، إلى أن مكّنه الله جل وعلا وقدم عليه أبوه وأمه وإخوانه وخروا له سُجّدا، كان في هذه المقامات جميعًا داعيًا إلى الله جل وعلا؛ ولهذا تستطيع أن تسمي سورة يوسف عليه السلام سورة الدعوة -لأن أسماء السور ليست توقيفية على الصحيح- يمكن أن تسميها سورة الدعوة أو أن تقول موضوعها الدعوة إلى الله جل وعلا، فهذا يوسف عليه السلام في السجن كن داعيًا إلى الله جل وعلا ﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ

ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: ٣٩]، ولما وصل إلى الملك وقرّبه كان داعيًا إلى الله جل وعلا ، ولما أتاه إخوته كان كذلك، حتى صارت هذه السورة فيها سورة الداعية وفيها خلق الداعية وفيما ما يكابد الداعية من القيل والقال والكيد، وفيها أيضًا صبر الداعية وتحمله وما يأتيه من البلاء في ذلك، فهي محل للاعتبار والتدبر والدرس وهي سورة يوسف عليه السلام.

لهذا جاء في آخرها ليُربط موضوع السورة آخر السورة جاء في آخرها قول الحق جل وعلا : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ هذه الإشارة إلى أي شيء؟ الإشارة إلى ما ذُكر في السورة، ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ يعني ما قُصّ في السورة من أحكام ومن سيرة ليوسف عليه السلام من الدعوة إلى التوحيد والصبر على الأذى وبذل النفع والندى والعفو عن من ظلم والحرص على النفع والتعاون مع الناس على البر والتقوى، ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ وحده، لا إلى النفس، ولا إلى طريقة، ولا إلى حزب، ولا إلى جماعة، وإنما الدعوة إلى الله وحده خالصة، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ يعني على علم وبينة وبرهان وحجة، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ فكل من اتبع محمدًا ﷺ هو على هذا السبيل؛ أنه داع إلى الله جل وعلا.

لهذا كانت مهمة الأنبياء ومهمة المرسلين الدعوة إلى الله جل وعلا، الدعوة إلى الله بالعلم النافع، الدعوة إلى الله جل وعلا بالخلق الكامل، الدعوة إلى الله جل وعلا بحسن السيرة وحسن السمت وحسن الهدي، الدعوة إلى الله جل وعلا في أي مكان يكونون فيه.

النبي ﷺ كان داعيًا إلى الله في منصب الإمامة وولاية الأمر، وكان داعيًا إلى الله في منصب القضاء، وكان داعيًا إلى الله في منصب الإفتاء، وكان داعيًا إلى الله في إمامة الناس في الصلاة.

قال أهل العلم من أهل الأصول: تصرفات النبي ﷺ بحسَب ما كان فيه من العمل، ففي التبليغ والتشريع كان نبيًا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وفي تولّي أمر الأمّة كان وليا الأمر وكان إمام المسلمين، وفي الحرب كان قائد الجهاد، وفي القضاء كان هو القاضي، لهذا قال لما كان يقضي قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**لعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فهو قطعة من النار فليأخذ أو ليدع**» هنا موقع القضاء كان موقع دعوة وبيان وإرشاد وتبليغ للناس لما قاله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ولأفعاله، لم يكن يعط الوحي في بيان الحق لمن من المتخاصمين؛ ولكن كان يأخذ بالدلائل والإمارات ويأخذ بالبينات على ما هو معروف في هذا السبيل.

كان أيضًا إماما للناس، فكان يسمع ما يسمع من الناس فيقول: «**ما بال أقوام يقولون كذا وكذا**»، «**ما بال أقوام يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله**» وينبه الناس ويعظهم ويدعوهم ويذهب ويكون القدوة، إمام للناس إذا رأى الفقير المحتاج حث الناس على ذلك وهكذا، كان مرشدًا كان يشفع للناس أتته امرأة عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ فأمرها أن تستقيم مع زوجها يعني أن تلزمه وأن لا تطلب فراقه فقالت: يا رسول الله أمر؟ قال: «**لا إنما أنا شافع**» فقالت: إذن لا حاجتي لي به. والمرأة هنا تعرف مقام النبوة، هل هو في هذه الحال مقام أمر ووحي تجب الطاعة من الرسول ﷺ، أو هو مقام شفاعة، مقام إرشاد، في مقام المفتى أو مقام القاضي أو مقام إمام المسجد، ونحو ذلك، سألته: أمر، يعني من الوحي أو تأمرني به فأطيع أم غير ذلك، فقال: «**لا إنما أنا شافع**» فقالت: لا حاجة لي به.

النبي ﷺ في جميع أحواله كان داعيًا إلى الله جل وعلا، والعلماء ورثة الأنبياء كما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**العلماء ورثة الأنبياء فإن الأنبياء لم**

يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» فخاصة الدعاة هم أهل العلم؛ لأن الدعوة هي وظيفة الأنبياء والمرسلين، من الذي ورث محمدًا ﷺ؟ أهل العلم وكلما زادت قدم العالم في العلم وطالب العلم وزادت قدم طالب العلم في العلم كما زاد حظه من وراثة محمد ﷺ.

لهذا كان السلف من الصحابة الخلفاء الراشدين وسادات الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام كانوا أحرص شيء على الدعوة إلى الله جل وعلا وعلى الإرسال وعلى تبليغ الناس الحق وحضهم على الخير وإبعادهم من الباطل، وحضهم على الخير ونهيهم عن الباطل، وذلك اقتداء بالنبي ﷺ، النبي ﷺ سيرته سيرة دعوة عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، في مكة ألم يكن داعيا؟ هل المصائب التي نالهم منها ما ناله ونال الصحابة منها ما نالهم من المشركين إلا لأجل أنه داعية إلى الله جل وعلا؟ أرادوا منه أن يترك دعوته، قالوا له: يا محمد إن أردت ملكًا ملكناك، وإن أردت مالاً جمعنا لك مالا حتى تكون أغنانا، وإن أردت امرأة نظرنا إلى أجمل نسائنا فجعلناها لك، فقال النبي ﷺ لهم ما معناه: **«لن أدع هذا الأمر حتى يتمه الله»** وفي الرواية المشهورة -وإن كان في إسنادها نظر- قال لعمه في قصته المشهورة: **«والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أموت دونه»** هذا مقام الدعوة إلى الله جل وعلا.

النبي ﷺ إمام الأمة وقدوتها في جميع أحواله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وخاصة في أعظم مقام وهو مقام الدعوة إلى الله، من الذي أمره بذلك؟ ربه في قوله ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال له ﴿قُلْ﴾ يعني يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾[يوسف: ١٠٨]، فلن أتركها، وقال له ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ

كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال أيضًا له ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، فربط الدعوة في انتفاعها بإذن الله جل وعلا.

فهنا ينظر أهل العلم في هذه الفوائد من الآيات وسيرة النبي ﷺ في أنّ الدعوة ليس المراد منها أن تصل فيها إلى هداية الخلق، إنما أن تمتثل أمر الله جل وعلا بالدعوة، إذا حصلت نتيجة فالحمد لله، وإن لم تحصل ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء، فالأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ بذلوا ما بذلوا في سبيل الدعوة وورثهم منهم أهل العلم، وخاصة هذه الأمة من الدعاة إلى الله بذلوا في ذلك لكن لا يعني أن يتحقق المقصود أو لا يتحقق، يحرصون على أن ينفعوا الناس وأن يتحقق سبيل الدعوة، لكن إذا لم يتحقق فالأمر لله جل وعلا من قبل ومن بعد.

وهذان المثالان عجيبان:

الأول: لنوح عليه السلام كم لبث في قومه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ داعيًا إلى الله، لكن ما الحصيلة؟ هل كانت الحصيلة كبيرة؟ قال جل وعلا ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، قال المفسرون: آمن معه اثنا عشرة رجلا وامرأة، وأكثر الروايات على أنه آمن معه بضعة وسبعون بين رجل وامرأة، حصيلة ألف سنة هذا العدد؟! لكنهم امتثلوا أمر الله جل وعلا وعبدوا الله جل وعلا ببذل الدعوة.

المثال الثاني: محمد بن عبد الله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ مكث في مكة ثلاثة عشر عامًا، كم نتيجة الدعوة في هذه السنين؟ قليل نحو خمسمائة من أهل مكة وأهل المدينة فقط؛ لكن في العشر سنين في العهد المدني كم حصل؟

حجّ معه مائة ألف عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أو يزيدون، فيبين لك ربك جل وعلا أن العبرة في الدعوة بالبذل والعطاء؛ لكن متى تنفتح القلوب للدعوة ومتى يدخل الناس في دين الله أفواجًا ومتى يهتدون؟ هذا الأمر لمن؟ لله جل وعلا ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، أنت عليك البلاغ ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، الذي على الرسل البلاغ، على العلماء أن يبينوا ما كان عليه محمد ﷺ وأن يجتهدوا في بيان الكتاب والسنة وما أمر الله به وما نهى عنه ليتبع الناس وليحذروا، لكن هل يستجيب الناس ولا يستجيبون، وما يكون ذلك من مهامهم، إنما عليهم أن يبذلوا في ذلك.

والداعي إلى الله فضيلته عظيمة، وأجره مضاعف، وعمله ينمى له بقدر من اهتدى به، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كما في صحيح مسلم: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم»** **«من دعا إلى هدى»** أي نوع من الهدى، تدعو إليه فلك مثل أجر من اتبعك لا ينقص ذلك من الأجر شيئًا، علمت التوحيد، عملت الصلاة، علمت الخلق الحميد، علمت آداب الإسلام، علمت الغيرة على الإسلام، علمت الدعوة، حثثت الناس، حفّظت القرآن، أي سبيل من ذلك، لك من الأجر مثل أجور من اتبعك، ولله الحمد والمنة.

السلف الصالح رضوان الله عليهم نشروا الإسلام، من الذي نشر الإسلام في شرق الأرض وفي غربها؟ الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الإسلام في الفتوحات الصحابة رضوان الله عليهم كانوا -كما وصفهم ابن مسعود-: كانوا أبر الأمة قلوبًا وأعمقها علومًا وأقلها تكلفًا، حين نشروا هداية الإسلام، بماذا نشروها؟ بالدعوة إلى الله جل وعلا، بذلوا ليلهم ونهارهم،

وتركوا أولادهم، وتركوا ديارهم لينشروا الدعوة، أحب ما عليهم مكة والمدينة من بلاد الله؛ لكن تركوها وسكنوا غيرها لنشر الدعوة إلى الله جل وعلا، كيف انتشرت الدعوة في الشام؟ بهم، كيف انتشرت الدعوة في مصر؟ بهم، كيف انتشرت الدعوة في العراق؟ بهم، كيف انتشرت الدعوة في خراسان وبلاد السند وما وراء السند إلى فلسطين؟ إنما انتشرت بهم، فتحوا البلاد بالعلم والدعوة.

السيف أو الجهاد هذا يفتح الطريق؛ لكن لا يقنع الناس، لا يهدي الناس، لا يعلم الناس، فحينئذ صار الصحابة معلمي.

ذكر أهل العلم في ترجمة ابن عباس رضي الله عنهما أن ابن عباس كان يغشى الناس في منازلهم يعلمهم السنة لما كان أميرًا لعلي بن أبي طالب على البصرة، يغشى الناس في منازلهم يعلمهم، وخاصة في شهر الإقبال على الخير رمضان، إذا كان رمضان دخل المنازل يعلم الناس الخير، ولما رجع إلى مكة، كان المرجع للناس في تفسير القرآن، حتى إنه أقرأ القرآن مئات المرات، وعرض عليه أحد طلابه وهو مجاهد بن جبر عرض عليه القرآن ثلاث مرات يسأله عن كل آية ما معناها، وكان خادمه يقف عند الباب والناس مكتظون خلف الباب، فيقول من أراد أن يسأل عن التفسير فليدخل، فيدخل أمة من الناس فيسألون ابن عباس فيعلمهم فيذهبون، ثم يقول من أراد أن يسأل عن السنة فليدخل، ثم يقول من أراد أن يسأل عن الفقه فليدخل، من أراد أن يسأل عن التاريخ فليدخل، من أراد أن يسأل عن الشعر فليدخل، وهكذا فكان داعيًا ومعلمًا وناشرًا لما علمه، ابن عباس دعا له النبي ﷺ بقوله: «اللهم فقهه في الدين» كما في الصحيح وفي رواية للإمام أحمد في مسنده: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وحبر الأمة وترجمانها هو،

اقرأ سيرته فترى كيف أنه كان يبذل وقته ونفسه ونفيسه في بذل العلم ونشر الهداية، الخلفاء الراشدون كانوا دعاة إلى الله جل وعلا، علي رضي الله عنه قال له نبينا ﷺ في قصة فتح خيبر المعروفة: **«يا علي أنفذ على رِسلك، ثم أدعهم إلى دين الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدًا خير لك من حمْر النعم»** يعني الإبل الحمراء، ولا تقل حمُر، نعم، لأن الحمُر جمع حمار، وهي حمْر جمع حمراء يعني الإبل الحمراء النفسية أنفس ما عند العرب هذا لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم.

قال علي رضي الله عنه لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: ألا تدع صورة -منحوتة يعني على جدار- إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا -يعني عاليًا- إلا سويته.

الدعوة إلى الله في فهم السلف ليست فقط دعوة إلى الأخلاق، أو دعوة إلى الأمور العامة، لا، أهم شيء في الدعوة إلى الله أن يدعى إلى أعظم حق لله جل وعلا وهو توحيد الله جل وعلا والحفاظ على جناب التوحيد وحمايته، ثم المحافظة على الفرائض والمحافظة على الأخلاق المحافظة على السير.

عائشة رضي الله عنها كان يغشاها الناس ويسألونها عن خلق رسول الله ﷺ، فتخبرهم بما تيسر لها، وجاءها مرة بعض الصحابة في بيتها وقالوا لها -وكانوا علماء من علماء التابعين- قالوا: أخبرينا عن خلق رسول الله ﷺ. قالت: كان خلقه القرآن. يعني أن هديه وسمته وخلقه وطريقته هي القرآن بشموله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

إذا نظرت إلى سير التابعين وجدتّ أن التابعين عملوا على أربع محاور:

فمنهم من بذل نفسه في الجهاد في سبيل الله والفتوحات.

ومنهم من بذل نفسه في الوِلايات -يعني تولى ولاية بلد إمارة سارعلى ديوان سار كذا.

ومنهم من بذل نفسه في التعليم؛ في تعليم الناس العلم النافع.

ومنهم من بذل نفسه في الوعظ والإرشاد.

والجهاد الناس فيه كثير جاهد من جاهد حتى دفنوا على أسوار، فمنهم من دفن على أسوار القسطنطينية، ومنهم من مات في البحر، ومنهم مات في البر، وإنما انتشر الدين بالبذل والعطاء، انتشر الدين فبُلِّغت رسالة الله بنفوس ذهبت وحياة سنين وحياة طويلة فيها السنون الكثيرة بُذلت لله جل وعلا، ليست للهو ولا للدعة ولا للمكث، وإنما بذلوا لذلك انتشر الدين.

ومنهم من بذل في نفس في الولايات، ما من شك أن أمر الدين لا يستقيم إلا أن يكون أهل الحق الأقوياء في دين الله أهل الأمانة أن يكونوا في مستوى المسؤولية وأن يلون الولايات، لا يطلبونها ولكن يستعينون بها على أداء أمر الله جل وعلا، وهذا يوسف عليه السلام قال: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾ [يوسف: ٥٥]، هل قال ذلك رغبة فيها؟ لا، ولكن لأجل أن يفتح الله على يديه ما يقي الناس من المصايب في عهده من الفقر والعنت.

كذلك السلف لم يكونوا يطلبونها؛ لكن إذا جاءت استعانوا الله بها واتقوا الله جل وعلا فيها، فنشروا أمر الله وأعانوا على الخير في جميع المجالات لما كانوا ولاة.

الصنف الثالث: العلماء، العلماء نشروا العلم كلٌّ في مجاله، منهم من نشر علم التفسير، ومنهم من نشر علم السنة، ومنهم من نشر علم الفقه، ومنهم ومنهم إلى آخره.

وعلماء السلف كثير من التابعين وتابعي التابعين وأئمة الإسلام، واقرأ تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي، تجد أن فيها جمعًا كبيرًا من أهل العلم من وقت التابعين إلى من بعدهم.

الصنف الرابع: الوعاظ؛ لكن كان وعظ السلف، كان وعظ السلف في سبيل نشر الدعوة وترقيق القلوب بالعلم النافع، ولذلك ذمّ أئمة الإسلام القصاص، القصاص الذين يقصون بجهل ويضربون الأمثلة بجهل، ويحكون على غير هدى، وإنما بما اقتضته عقولهم بما يؤثر على الناس، هذا مذموم، فنهى عنه السلف أن يتبع سبيل القصاص.

لكن كان هناك في السلف وُعّاظًا مثل عبيد بن عمير في مكة، مثل الربيع بن خثيم من تلامذة ابن مسعود ﷺ في الكوفة.

الربيع بن خثيم كان يبذل نفسه يذهب ويجيء في الدعوة إلى الله جل وعلا وفي تعليم العلم، فأراد أن يربي أبناءه وطلابه مرة على نوع من البذل، فقال لأهله اصنعوا لي طعامًا وكان من طعام سماه كان من أحسن ما يصنع من الأطعمة، فصنعوا له الطعام زينوه ظنوا أنه عنده ضيفًا، فلما أتوا به إلى طلابه كان بعض منهم عنده في منزل قال: احملوه، ظنوا أنهم سيأكلون معه، قال: احملوه، فحملوا به، فطرق باب بيت في الكوفة، فلما طرق قال: أريد فلانًا، فادخلوه عرفوا أنه الربيع.

الربيع بن خُثيم كان إذا أتى لزيارة بعض أهل العلم أو بعض طلابه كان الخادم أو الأولاد إذا فتحوا الباب وردوا الخبر يقولون جاء الربيع الأعمى ظنوا أنه أعمى البصر؛ لأنه لم يكن يحلق في بيت أحد يزوره.

لما دخل على هذا الرجل وهو أتى بالطعام دخلوا معه فإذا الرجل الذي أتوا إليه بالطعام لا يأكل لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر؛ أعمى أصم أبكم،

وأخذ البيع يضع يده في الطعام -يد هذا الأصم الأبكم الأعمى في الطعام- ويؤاكله حتى سُر ذلك، من أطيب الطعام ويذهب به إليه فلما انصرفوا، قال أحد طلابه: يا ربيع لو أخذنا في الدرس أو كلمة نحوها، وأرسلت إليه بالطعام فإنه أصم وإنه أعمى وإنه أبكم لا يسمع ولا يبصر ولا يرى.

فقال له الربيع -أراد به هذا الدرس درس عظيم في الدعوة والوعظ والإرشاد- قال له: ولكن الله يسمع ويرى.

لأن لا يتكون الأعمال التي تعملها تريد منها أن المقابل يعرف ما بذلت له، إنما يكون التعامل مع من؟ مع الله جل وعلا، هذا وعظ رفيع الدرجة، هذا عمل ليس أقوالاً هذه أعمال رفيعة الدرجة.

الواعظ الآخر الذي في مكة ما اسمه عبيد بن عمير قالت له عائشة لما دخل في طول كلام كان واعظًا قالت له عائشة: يا عبيد بن عمير إذا وعظت فأوجز، فإن كثير الكلام ينسي بعضُه بعضًا؛ يعني إذا أردت الدعوة والوعظ فأوجز لأن الكلام الكثير ينس بعضه بعضًا. هذا توجيه من عائشة ﵂ لأحد تلامذتها والمستفيدين منها عبيد بن عمير.

عبيد بن عمير كان واعظًا صالحًا يؤثّر في الناس دخلت امرأة مرة على زوجها وكانت من أجمل نساء مكة، فقالت له مدلية بجمالها على زوجها وكان من التجار من الأغنياء في مكة قالت: يا فلان أتظن أن أحدًا يرى هذا الوجه ولا يعشقه أو لا يفتتن به، من غرورها بنفسها قال: نعم واحد، قالت: من هو؟ قال: عبيد بن عمير. قالت: والله لأذهبن إليه ولأفتننه. ما هي تريد الحرام لكن تريد أنه تبين له أنه كذا.

فأتت إليه وهو يعظ في صحن الكعبة، فلما انتهى قالت- كانت طبعًا لا يظهر منها شيء وتزينت- قالت: إنّ لي إليك حاجة فاختر أي سارية من

سواري الحرم وأعرض عليك حاجتي، فقال: اذهبي اختاري أنت. فذهبت وذهب إليها، فلما قابلها كشفت عن وجهها وعن بعض بدنها، فنظر إليها ثم أطرق، فقالت: يا عبيد بن عمير إني مفتونة بك وإني أريدك -في الحرم-، هي غير صادقة لكن تريد تبين جمالها وفضلها عند زوجها.

فنظر إليها عبيد ثم قال لها: يا فلانة أو يا أمة الله، في الحرم لا يصلح، ولكن أواعدك في مكان آخر، فقال لك ذلك، قال أختار المكان: أختار المكان؟ قالت: نعم.

قال: إذن موعدنا إذا تطايرت الصحف فآخذ كتابه باليمين وآخذ كتابه بالشمال، فهناك أعطيك ما تريدين. فقالت: يا عبيد ما هذا بالمكان.

فقال: إذن إذا وضعت الموازين، فهناك من تثقل موازينه، وهناك من تخف موازينه، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذي خسروا أنفسهم في جهنم خالدين. قالت: يا عبيد بن عمير ما هذا بالمكان.

قال: إذن إذا وضع الصراط على متن جهنم، والناس يمرون عليه والظلمة دامسة، فمن ماض ومن مكردس في النار.

قالت: يا عبيد بن عمير ما هذا المكان.

قال: فأين المكان إذن؟ قالت: يا عبيد بن عمير الموعد الجنة ورجعت إلى بيتها فتركت ما كانت عليه وتبتلت إلى الله، فنظر إليها زوجها بعد ما تغيّرت في هذه الحال. وقال: حسبي الله على عبيد بن عمير أفسد علي زوجتي.

صلاح السلف في الوعظ وفي الدعوة بالقول والعمل، صلاحهم في البدل يعلم الله صدقهم في ذلك لا يخالف ظاهرهم باطنهم، وإنما يفعلون ما يفعلون لله جل وعلا، فصلحوا وصلح الأمر بهم.

فالداعية إلى الله المعلم الواعظ من بذل في أي سبيل عليه أن يكون متّبعًا للسنة متقيًا لله جل وعلا ينفع الله به الناس.

الإمام مالك سئل بعيب عيب عليه وقالوا: أنت مالك الذي تشد إليك آباط الإبل ويرحل إليك الناس، لا نراك تفعل كذا ولا تفعل كذا ولا تجاهد في سبيل الله؟ فقال مالك بن أنس رحمه الله مبينا شمولية النظر لواجبات الدعوة إلى الله جل وعلا وواجبات الإسلام فقال: يا هذا إن من الناس من فتح الله له باب الجهاد، ومنهم من فتح له باب العبادة أو باب الصلاة، ومنهم من فتح له باب الصدقة، ومنهم من فتح له باب الحج والعمرة -يعني بذلك النفل-، ومنهم من فتح له باب الصيام -يعني النفل-، ومنهم من فتح الله له باب العلم، وأنا ممن فتح الله له باب العلم فرضيت بما فتح الله لي.

يعني بذلك أن سبيل الخير ونشر الدعوة تكاملي، لا يتصور أنه نكون جميعًا على شيء واحد، وأن نكون نسخة واحدة مكررة لا يمكن، ولكن كل في مجاله بحسب تنوع السلف في أعمالهم، ويعين بعضنا بعضًا على الخير وينهى بعضنا بعضًا عن الشر.

الإمام أحمد كان من أئمة الإسلام العظام؛ بل كان في عصره إمام أهل السنة والجماعة بلا منازع رحمه الله تعالى، كان بذله في ذلك السبيل في الدعوة إلى الله جل وعلا بذلاً عظيمًا، رحل لطلب الحديث ولإقرائه، وكان من تلامذته أبو داود صاحب السنن، البصرة بعد فتنة الزنج المعروفة في التاريخ قلّ فيها الناس رحلوا عنها كان فيها القتل وهرج ومرج فانتدب الخليفة أبا داود، فقال له: يا أبا داود -كان في بغداد- أريد منك ثلاثًا أريد أن تسكن البصرة ليرحل إليك طلاب العلم وطلبة الحديث فيملأ الناس البصرة؛ لأن الزنج قد أخرجوا الناس منها، فقال أبو داوود هذه لك.

الثانية قال أريد أن تجيز أبنائي بكتابك السنن. قال هذه لك.

قال الثالثة: أريد أن تخص أبنائي بدرس في الحديث في بيتنا، فقال: هذه لا، الناس في العلم سواء.

فرحل إلى البصرة وسكن فيها ونشر علمًا كثيرًا ورجع الناس إليها رحل الناس إليها.

الإمام أحمد إذا درست حياته وجدت أنه في سبيل الدعوة عمل بجميع المقامات، في سبيل نشر العلم، إقراء الحديث، نشر السنة القولية والعملية، الرحلة ونشر الدعوة والخير في أي مكان الدفاع عن العقيدة والتوحيد بالقول والعمل وبالتصنيف وبالوقوف في الشدائد وبالرد على المخالفين للحق من أهل الأهواء على جميع اختلاف أصنافهم، وأيضاً من أراد في الدعوة سبيلاً غير مشروع رَدّ عليه وأنكر عليه.

من ذلك ما كان يسمى في عصره بالتغبير، التغبير وسيلة من وسائل الدعوة المنكرة أنكرها العلماء، ماذا يعملون يأتون بطبول ودفوف ويأتون بأشعار زهديات مرققات ويجمعون العامة، فيأخذون يضربون على هذه الجلود المغبرة وينشدون الأشعار ليرققوا الناس؛ نقول هذه من سبيل سنة أو سبيل بدعة؟ كيف سبيل سنة؟ هذه من الأساليب المخالفة للسنة، من أساليب البدع، فنهى الإمام أحمد عنها وقال: أحدثوا شيئًا يقال له التغبير ليس من دين الله. ما قال طيب إذا كان الناس يرقون وينفعهم والناس عندهم مشاكل وبغداد صار فيها فساد كثير، وو إلى آخره، أي سبيل ينفع، ليس هذا سبيل السلف وأئمة الإسلام في أمر الدعوة.

قال رحمه الله تعالى: أحدثوا شيئًا يقال له التغبير ليس من دين الله. ينهاهم عن أن تُسلك سبيل ووسيلة من وسائل الدعوة وليست مشروعة.

وهكذا كان أئمة الإسلام جميعًا في جميع أحوالهم.

الشافعي رحمه الله تعالى من أي بلد؟ الشافعي من أهل مكة، مطلبي من أهل مكة، رحل إلى المدينة وأخذ منها علم مالك بن أنس، فمكث فيها مدة، ثم رحل إلى العراق فأفتى فيها وعلّم ودرّس واستفاد، ثم استقر به الأمر في مصر فنشر هناك علمًا كثيرًا، التنقل هذا التنقل لماذا؟ هل التنقل سنون هنا وسنون هنا أليس صعبًا على النفس؟ يجلس في بلده فيكون مكرمًا معززًا بين عشيرته وأهله وأقربائه وعالم قريش يملأ الأرض علمًا؛ لكن في سبيل نشر العلم.

شيخ الإسلام ابن تيمية -إذا طوينا الزمن- شيخ الإسلام بن تيمية مضى في زمانُه كله وهو ما بين علم وتعليم وجهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر ونشر للخير والدعوة في بلدنا هذه وفي مصر وفي الشام وفي فلسطين وإلى آخره، وفي الجبل ، وهكذا تنقل الهمة، همة أهل العلم عالية لأن وراثة الدعوة هي وراثة للنبي محمد ﷺ؛ لكن أن تكون الدعوة على المنهاج السليم لا تكن على أي منهاج يحدثه للناس، تكون على المنهاج السلفي الصحيح في سعته وشموله، وأيضًا المفاهيم قد تضيق فيحصر السبيل؛ لكن إذا كان العلم واسعًا فيكون السبيل واسعًا ما دام مشروعًا.

وانظر وتأمل في حال أئمة الإسلام وعصر السلف الصالح الصحابة والتابعين وتابعيهم، وحال أئمة الإسلام واقرأ في السير ستجد من ذلك شيئًا كثيرًا.

إذا تبين هذا بعد هذه الجولة السريعة، سنختم بشيء مهم، وهو أن الدعوة إلى الله جل وعلا تحتاج منّا إلى بذل ولو قليل، لا يقل أحد كيف أدعو قال

العلماء: الدعوة بحسب العلم، العلماء هم الدعاة؛ لكن من علم شيئًا دعا بحسب ما علم، علم شيئًا بدليله من كلام أهل العلم يدعو إلى ما علم بحسب ما علم.

لهذا جاء معرض وسائل الدعوة لكي يتيح للناس على اختلاف طبقاتهم من الكبار والصغار الرجال والنساء والتعرف على وسائل كثيرة للدعوة ممكن أن تحملها معك، ممكن أن تحمل معك كتاب يسير يناسب طبقات مختلفة، يمكن أن تحمل معك شريط، يمكن أن تحمل معك شريط كمبيوتر أو قرص كمبيوتر، يمكن أن تحمل معك أسماء مواقع في الانترنت، يمكن أن تحمل معك أشياء كثيرة من وسائل الدعوة ما تعرفها وأنت في بيتك، كثير من الناس يرغب أن يكون له بذل وله العمل في الدعوة خاصة في فترة الصيف لكن كيف يعمل؟ فوطّن نفسك على أن تكون باذلاً في الدعوة ولو قليل.

أتاني أحد الناس العام الماضي، وقال أنا أريد أن أسافر في رحلة أو في سياحة إلى بعض البلاد، ماذا تنصح، النصيحة أولاً تقوى الله جل وعلا في كل حال، ثم احرص على أن تبلّغ الدعوة وأن تنشر الدعوة ولو ربع ساعة في اليوم، ربع ساعة في اليوم، كيف؟ هل يأذى؟ الداعية لابد له من سلاح، ولا بد له من زاد، استعد خذ معك الكتب المناسبة أشرطة المناسبة زر مركزًا إسلاميًّا في اليوم مرة في الأسبوع مرة، انظر تعاون مع الناس، اعمل ابذل إلى آخره.

زارني هذه السنة من ثلاثة أسابيع وقال ربع ساعة تلك فكّرت فيها؛ ولكن جعلتني أستعد أكثر وأكثر حتى أحببت أن أكون من الدعاة إلى الله جل وعلا، وهذا واقع، الدعوة محبوبة وتشرح النفس وتبعث في النفس العزة والكرامة وتبعث في النفس القوة وتبعث في النفس حب الله وحب رسوله ﷺ

والثبات؛ لأنك إذا أعطيت للخير في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انقلب ذلك بإذن الله جل وعلا عليك ثباتًا وعزة وتمسكًا بالحق؛ لكن إذا أخليت نفسك تضعفت، والإنسان يضعف، والمرء يجب أن يحرص على الخير.

فهذا المعرض من فوائده أن تتعرف على وسائل الدعوة المختلفة المشروعة، مما كان موجودًا في عهد السلف ومما هو موجود في هذا الوقت، ووسائل الدعوة منها ما هو مشروع ومنها ما ليس بالمشروع، ولا يلزم أن تكون الوسيلة موجودة في زمن النبوة أو في زمن السلف الصالح؛ لأن الوسائل أحكامها ترجع إلى المصالح المرسلة، كما قال أهل العلم، والبدع تدخل في المقاصد والمصالح المرسلة تدخل في الوسائل؛ لكن هنا منها وسائل مشروعة ومنها وسائل غير مشروعة، كما قال الإمام أحمد في التغبير وفي غيره، فإذا كانت الوسيلة مشروعة نحرص عليها وليعد المرء عدته لكي ينش الدعوة في بيته وفي مجتمعه وفي سفره وفي حضره، فإن ذلك خير لنا جميعًا في ديننا وفي دنيانا وأعظم الأجور الجميع.

أسأل أهل جل وعلا أن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والثبات، وأن يقينا العثارة في القول والعمل، وأن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يوفق ولاة أمورنا لما فيه الخير وأن يغفر لنا ولهم ولوالدينا ولجميع من له حق علينا إنه سبحانه جواد كريم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

[أثابكم الله فضيلة الشيخ وجعل ما قلتم في ميزان حسناتكم، إنه جواد كريم، هذه مجموعة من الأسئلة يقول السائل:

س١/ فضيلة الشيخ أحبّ الدعوة إلى الله منذ طفولتي والآن بلغت حوالي ثلاثين سنة؛ ولكن حتى الآن حصيلتي قليلة، فهل تجب علي الدعوة إلى الله أم لا؟

ج/ الحمد لله وبعد:

الدعوة إلى الله يجب أن تكون على علم، من شرط صحتها العلم، لقوله ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[يوسف:١٠٨]، والبصيرة للقلب كالبصر للعين وهي العلم؛ ولكن العلم يتجزأ، الدعوة إلى الله تتجزأ، العلم يتبعض الدعوة إلى الله جل وعلا تتبعض، فمن علم شيئًا بدليله بحجته دعا إليه، علم التوحيد وفضله دعا إليه، علم الشرك نهى عنه، علم فضل الصلاة دعا إليه، علم النهي عن المحرمات من الكبائر وعن سائلها نهى عنها وهكذا.

فالدعوة تبع للعلم أما الجاهل أو الذي لا يعلم لا يدعو إلى شيء لا يعلمه، لابد من العلم ثم الدعوة؛ لكن العلم يتجزأ ويتبعض.

س٢/ يقول سائل: أردت أن أخدم الدين فطلبت العلم؛ ولكن لم يحصل لي إلا القليل منه، وذلك بسبب ضعف حفظي وسرعة النسيان ما رأيكم هل استمر أم أشتغل بشيء آخر؟

ج/ أولاً أوصي نفسي وأخي السائل بأن نصلح النية في العلم، العلم إصلاح النية فيه أن تنوي رفع الجهل عن نفسك، لا تنوي أن تأخذ به شهادة، ولا أن تلقي محاضرة ولا أن تبدأ في درس وتعلم الناس؛ ترفع الجهل عن نفسك؛ لأن العلم هو علم بالله وبدينه وبشرعه وبنبيه ﷺ، هذا هو العلم فالنية الصالحة فيه أن تنوي به أرفع الجهل عن نفسك، فإذا كان كذلك فثابر عليه واحرص على أن تكون عالمًا وأن ترفع الجهل عن نفسك.

الثانية: المرتبة الثانية لمن آنس من نفسه رشدًا وقوة حافظة وفهم وبذل، فإن عليه أن يصلح النية في أن ينوي رفع الجهل عن نفسه وأن ينوي رفع الجهل عن غيره، بتعليمه للعلم إذا تمكن فيه، لهذا سئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى قال: ما النية في العلم؟ قال: أن تنوي رفع الجهل عن نفسك وأن تنوي رفع الجهل عن غيرك.

العلم الذي يطلب العلم ليتصدر أو ليلفت وجوه الناس إليه، فهذا والعياذ بالله وبال على وبال؛ لكن من طلب العلم بنية صالحة أثر فيه.

لهذا قال ابن المبارك وغيره قال: طلبنا العلم وليس لنا فيه من نية، ثم جاءت النية بعد، النية من الإخلاص ونية رفع الجهل ومعرفة المطلوب، فطلب إما مع الأصحاب أوكدتهم بعد ذلك فتح على قلبه صحة النية.

لكن العلم عظيم، وأنا أذكر ذكرت عدة مرات قصة في ذلك ذكرها الخطيب البغدادي في الجامع لبيان أخلاق الراوي وآداب السامع في أن بعض أهل الحديث طلب العلم فوجد أنه لم ينتفع لم يحفظ، قال فتركه، ثم قال: بينا أنا أتنزه إذ وجدت ماء يتقاطر على صخر وقد أثر في الحجر صخرة بحسب، تقاطر ماء قليل قطرة قطرة لكن حفر، قال فقلت في نفسي: والله ما العلم بأخف من الماء -العلم أثقل ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزّمّل: ٥]، ما العلم بأخف من الماء، وليس قلبي بأقصى من حجر، فلابد إذن من تكرار العلم فيؤثر على قلبي فينتفع به قال: فرجعت فأخذت حديث ففتح عليّ.

س٣/ يقول السائل معالي الشيخ: هل وسائل الدعوة توقيفية أم لا؟

ج/ نبهت في آخر المحاضرة على أن الوسائل من قبيل المصالح المرسلة،

ويطرق عليها الجواز وعدمُه، هل تجوز أو لا تجوز؟

أما القول بأنها توقيفية أو غير توقيفية فلا يصح البحث؛ لأن الكلمة توقيف ترجع إلى المقاصد، يقول هل هذا توقيف أم لا ترجع إلى المقاصد، إذا قلنا الدعوة هل هي توقيفية أم اجتهادية؟ نقول: لا، الدعوة توقيفية.

لكن الوسيلة -وسيلة الشيء- هذه ترجع إلى المصالح المرسلة، هذا الذي ينطبق على تعاريف الأصوليين وعلماء السنة والبدعة، وهذا فرق مهم بين البدعة والمصلحة المرسلة.

عثمان ﷺ زاد الأذان الثاني، نحن مأمورون بطاعته «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» هل كانت زيادته في مقصد ولَّى في وسيلة؟ وسيلة، قال العلماء: فعله صحيح من قبيل أنه من المصالح المرسلة، المصالح المرسلة منها ما يجوز ومنها ما لا يجوز، فإذا كان المقتضي للعمل موجودًا في زمن النبوة والطريقة موجودة وتركها النبي ﷺ نقول: لا يصح أن تكون من قبيل الجائز، فهي بدعة إن كانت في المقاصد، ولا تجوز إن كانت من قبيل الوسائل والمصالح المرسلة فتكون المصلحة هنا مطلوب نفيها وليس تحصيلها. نعم.

س٤/ فضيلة الشيخ ذكرت حديثًا في السيرة وهو قول النبي ﷺ «لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري» وقد ذكرت أن جماعة و من أهل العلم قد ضعفوا هذا الحديث.

السؤال ما هو الموقف في التعامل مع نصوص السيرة النبوية، وهل يطبق عليها قواعد الجرح والتعديل؟

ج/ الحمد لله وبعد:

ما يروى في السيرة إذا كان يتعلق بالعقيدة أو بالأحكام أو بما يترتب عليه عمل، هذا لابد أن يكون الحديث فيه مقبولاً إما صحيحًا وحسنا حسب قواعد أهل الحديث.

أما إذا كانت من قبيل السير والأخبار العامة فهذه يتساهل فيها؛ لأن المقصود منها هو ما نُقل ونقله أهل العلم، إلا أن تكون موضوعة أو منكرة أو ما أشبه ذلك فلا يسوغ.

أنا ما ذكرت أنه ضعفها جماعة من أهل العلم قلت أن إسناده فيه نظر.

س٥/ هذه بعض الأسئلة الفقهية يقول السائل: ما حكم رفع اليدين بالدعاء بعد صلاة النافلة وقبل الفريضة؟

ج/ الحمد لله وبعد:

الدعاء مطلوب، وخاصة في أوقات إجابة الدعوة، وبين الأذان والإقامة الدعوة لا ترد كما جاء في السنة، فإذا صلى المسلم ركعتين رغب أن يدعو بعدها فلا بأس بذلك؛ أن يرفع يديه في الدعاء؛ لأن رفع اليدين في الدعاء من آداب الدعاء.

وأصل ذلك أن النبي ﷺ إذا كان مع الصحابة رضوان الله عليهم فمر بأحد المساجد فدخل المسجد ثم صلى ركعتين ثم دعا، فلما انصرف إلى الصحابة قالوا له: دعوت؟ قال «**سألت ربي ثلاثًا**» الحديث رواه مسلم في الصحيح، فيستفاد منه أن الدعاء بعد النافلة في المسجد رفع اليدين بذلك أنه لا بأس به، وذلك لفعل النبي ﷺ له وفعل السلف لذلك.

ولكن من أهل العلم من قال: الملازمة لهذا الفعل دائمًا ليس عليها دليل من السنة، بمعنى أنه كلما صلى رفع يديه ودعا، جاء في السنة أنه فعل، لكن

ما داوم على مثل هذا الفعل الأكمل في حقه أن يفعل حينًا وأن يترك حينًا، وإلا فالدعاء بين الأذان والإقامة يُرجى أن لا يرد.

نكتفي بهذا.

وقد أخبرني الإخوة القائمون على المعرض أن هناك أخًا لنا يريد أن يُعلن إسلامه في هذا المسجد بعد أن استمع إلى بعض المواعظ وشرحٍ عن الإسلام إما في المعرض أو قبله؟

في المعرض ولا قبله؟

[قبله.]

الحمد لله الذي أنقذه من النار.

[أشهد أن لا إله إ لا الله وأن محمد رسول الله.]

۞ ۞ ۞

كيف تدعو إلى الله؟

الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنه بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد، فصلواتُ الله وسلامه على نبينا محمد وعلى آل نبينا محمد، وعلى أزواج نبينا محمد وعلى صحابته، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فموضوع هذا الدرس كيف تدعو إلى الله؟

وسبب اختيار هذا الموضوع ما هو معلوم من أن الدعوة إلى الله جل وعلا مهمّة عظيمة، وأن كلَّ من رغِب في الخير واستقام على الإسلام فإنه يروم أن يهديَ غيره؛ لأنّ في ذلك الفضل الجزيل، وفي ذلك العائدة العظمى عليه وعلى غيره، وأعظم عائدةٍ على المستقيم على الصراط أن يكون له مثل أجور من هداهم إلى الله جل وعلا، فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، لا يَنْقص ذلك من أجورهم شيء، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيء»** وقد قال عليه الصلاة والسلام لعلي حين بعثه إلى خيبر قال له عليه الصلاة والسلام: **«فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدا خير لك من حمر النعم»** يعني من الإبل الحمراء الغالية عند أهلها، فإن

الدعوة إلى الله جل وعلا ؛ وأن يهدي الله على يديك واحدًا من الناس رجلاً أو امرأة، صغيرًا أو كبيرًا فإن في ذلك الفضل العظيم عليك؛ ولأن تعطى كذا وكذا من الأموال الجزيلة في هذا الزمن ليس بأفضل لك من أن يُهدى على يديك رجل واحد، لكن كما نرى أن كثيرين يريدون أن يدعوا، كثيرين يريدون أن يهدوا الناس، لكن سبيلُ ذلك لا تكون ماثلةً أمام أعينهم، ربما جربوا تَجْرُبات ليست بالمستقيمة، ربما حاولوا محاولات لم تكن مؤصلة لم تكن عن تجربة، لم تكن عن استرشاد بمن جرّب فنجح، فلهذا تكون خطاهم متعثّرة، وهؤلاء ربما فعلوا أشياء ودعوا، ولكن كان في دعوتهم من الخطأ ما حجز آخرين عن قبول الحق والهدى؛ لأن خطأ الداعية ليس كخطأ غيره، ولهذا أمر الله جل وعلا الأنبياء جميعًا بالصبر وأن لا يستخفَّهم الذين لا يوقنون، كما قال جل وعلا: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٦٠]، ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فإن الدعوة أساسُها الحكمة، أساسها الأناة، أساسها أن يكون العبد سائرًا على ما أمر الله جل وعلا به، وما نهى، فيما يأتي وما يذر في أمر الناس، وإذا كان كذلك فإنّ دعوته يُرجى أن تُؤتي ثمارها ولو بعد حين.

الدعوة إلى الله جل وعلا مطلبٌ للجميع؛ مطلب من حيث العمل، ومطلب من حيث الغاية؛ لأن الغاية؛ غاية المجتمع المسلم أن يكون مستسلمًا لله جل وعلا، منقادًا له في الظاهر ومنقادًا له في الباطن أيضًا، وهذه الغاية ينبغي للأفراد أن يسعوا في تحقيقها، وللمجتمعات أن تسعى في تحقيقها، وكذلك لدولة الإسلام أن تسعى إلى تحقيقها، فإنّ تعبيد الناس لله جل وعلا هو الغاية من خلقِهم، فإذا أدرك الناس ذلك فاستقاموا عليه، فذلك

فضل، و إلا فإن الناس يدعوا بعضهم بعضًا ويُرشد بعضهم بعضًا، لهذا كانت هذه المحاضرة أو كان هذا الدرس؛ كيف تدعو إلى الله جل وعلا؟ كان مُهِمًّا في إعطاء بعض النقاط، وليس بشمول ما يتصل بهذه المسألة؛ لأنها طويلة الذيول، لكن بما يفتح آفاقًا لدى الذي يحب أن يكون هاديا للناس سائرًا على الحق على صراط سوي.

المتأمل اليوم في أحوال الناس يجد أن الدعوة على أنواع:

(منها دعوة فردية ونعني بالدعوة الفردية أن يكون الفرد يدعو فردا آخر، أو أن يكون أفراد يدعون أفرادًا.

(ومنها دعوة جماعية، والدعوة الجماعية أيضًا من حيث الواقع منقسمة إلى قسمين:

* منهم من يدعو جماعيًا على أساس التعاون على البر والتقوى؛ ويتعاونون ويجتمعون على أن يهدوا الناس، يُرتّبون أمرهم؛ في كيف دعوة هذا وما السبيل في نجاح التأثير عليه أو التأثير على هذه الأسرة أو نحو ذلك.

* وهناك قسم آخر من الدعوة الجماعية وهي الدعوة الجماعية المنظّمة التي تكون عن تنظيم بترتيب المهمات ويكون هناك قيادة وهناك فروع لهذا التنظيم.

وهذه التقسيمات من جهة الوجود، أما من حيث مشروعية كل قسم وتفاصيل الكلام عليه فسنعرض له إن شاء الله تعالى في مكان آخر من هذه الدروس.

الذي يهمُّنا من هذا التقسيم في هذا الدرس هو القسم الأول وهو الدعوة الفردية التي يمكن أن يعمل بها المرء بمفرده، كيف يمكن أن تكون أنت داعية

إلى الله جل وعلا؟ كيف يمكن أن تهدي الناس؟ كيف تمشي في هذا الطريق دون عقبات ودون أن تتردد فيه وتؤثر على الناس ويُقبَل منك ذلك؟

إذا تأمّلت الواقع الذي تعيشه هذه البلاد، بل وواقع الأمة الإسلامية بعامة وجدتَ أن الخير ينتشر يومًا بعد يوم من جهة اهتداء الناس إلى الإسلام ومحبتهم لالتزام به، ورغبتهم في تعاليمه، وإقبالهم على الخير، لا شك أن الناس يزدادون إقبالا يوما بعد يوم.

فإلى أي شيء يُعزى هذا الانتشار العظيم؟

هل هو نتيجة للدعوة الجماعية التنظيمية؟ لاشك أن الذي يقول إنه نتيجة لذلك أنه مغالي وليس له في الواقع نصيب.

هل هو نتيجة إلى دعوة جماعية فيها تعاون على البر والتقوى؟ أيضا يعني دعوة جماعية مرتّبة ليس فيها تنظيم وقيادة إلى غير ذلك، يعني ليس لها صفة الحزبية أيضًا هذا فيه بعد.

ولكن الواقع أن أكثر انتشار أو أكثر الأسباب ظهورًا أمامنا في انتشار الإسلام، وفي زيادة الصحوة، وإقبال الناس نساءً ورجالا على الخير وعلى الهدى، هو نشاط الأفراد؛ هذا ينشط في عمله، وهذا ينشط في أسرته، وهذا ينشط في حيِّه، وهذا الإمام ينشط مع جماعته، إلى آخره، فأكثرها نشاطات فردية، وهذه النشاطات الفردية لا شك تستفيد مما يجري حولها بأنواع من الاستفادة منها ما هو جيد ومنها ما هو ليس بجيد، منها ما هو منضبط ومنها ما ليس بمنضبط، إلى آخر ذلك.

المهم أن سبب انتشار الخير كان هو الدعوة الفردية؛ دعوة الناس بعضهم بعضًا بدون مؤثرات عظيمة؛ مؤثرات جماعية، وإنما هذا يُرغّب في الخير فأثّر في أسرته، هذا يُرغّب في الخير فأثَّر

(في عمله، تجد أنه قرأ كلمة طيبة فنشرها إلى آخر ذلك..

فهذا الترتيب وهو أن من أكبر أسباب انتشار الصحوة وزيادة الخير هو جهد الأفراد، هو الذي نريد أن يعلق بالأذهان حتى لا يظن الظان أنه لا يمكن أن يدعو حتى يكون معه أناس، وحتى يكون معه من يساعده، وحتى يكون هناك من يرتبه، وهذا أمر لا بد منه، لأنه إذا شعر بأنه يمكن أن يعمل بمفرده، يمكن)

أن يدعو بمفرده، لاشك أنه إذا كان هناك معه غيره يدعون بما فيه تعاون على البر والتقوى، تُؤتِي الدعوة ثمراتها أكثر في قطاعات كثيرة لكن إذا كان يشعر أنه إذا عمل بمفرده فإنه سينتج ولا يحتاج إلى غيره في أمر الدعوة فإنه يشجّعه ذلك، وهذا الذي ينبغي أن يقرّ في الأذهان بادئ ذي بدء قبل الدّخول في هذا الموضوع الذي نعرض لأطراف منه.

إذن فمهمتك أيها المسلم هي أن تحمل أولاً همَّ هذه الدعوة، أن تحمل أولاً همَّ مصلحتك؛ لأنك إذا دعوت فإنك لا تدعو لأجل أن تكون المصلحة لغيرك، أو تدعو لأجل أن تكون المصلحة لك، لأنك إذا دعوت أحدًا إلى الله جل وعلا فاستقام وعمل شيئا من الخير فلك مثل أجره، فتزداد حسناتك بسبب هداية الناس إلى الحق والهدى، هذا الترغيب الذي يجعلك تقدم، لابد له من ضوابط، لابد أن تعرف ما فيه من محاذير، لابد أن تعرف ما له من أحكام، وهذا هو الذي سنطرقه إن شاء الله فيما نستقبل من الكلام.

الداعية المفرد الذي يدعو بنفسه أولاً لابد أن يكون نبيها ذكيًا من جهة حال المدعوين بل أقول قبل ذلك:

لابد أن يكون في دعوته متجردًا مخلصًا لله جل وعلا، يعني له رغب في قلبه أن يجعل الناس مطيعين لله جل وعلا، ليس له رغب في الدنيا، ليس له

رغب في الجاه، ليس له رغب في السمعة، ليس له رغب في السيطرة، ليس له رغب في أن يكون متعاليًا على الناس، مما هي من أنواع الأخلاقيات التي قد تعرض على بعض القلوب التي تدعو إلى الله.

المهم الأول أن يكون مخلصا لله متذللا مطيعا، ترغب أن تهدي الخلق إلى الله جل وعلا، لا أن تهديهم إلى غيره، وهذا الشرط جاء في قول الله جل وعلا ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾[يوسف: ١٠٨]، في هذه الآية أمر الله جل وعلا نبيَّه أن يقول: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾؛ ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس جميعًا وللكفار بوجه الخصوص ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾، قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في مسائل كتاب التوحيد في قوله ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾: التنبيه على الإخلاص، وهذا أمر مهمّ مطلوب دائما أن يكون في قلبك العمل لله جل وعلا، ثم قال على بصيرة والبصيرة للقلب كالبصر للعين، البصيرة هي العلم الواضح الذي يكون معه صورة الأشياء العلمية، صورة الأشياء العملية أمام القلب في وضوح، كما تكون الأشياء المبصَرة بالعين أمام العين في وضوح إذا توجه النظر إليها، ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ فذكر شرط الإخلاص وذكر شرط البصيرة والعلم مما سيأتي بيانه. هذا الشرط معروف ولابد أن يتوطّن قلبك أن تكون مخلصًا لستَ مسيطرًا، لستَ طالبا جاه سمعة، و هذا من الأخلاقيات المهمة، والدعائم المهمة للداعية، لما؟ لأن بعض الناس قد يأتي يدعو يرى الذي أمامه عنده مخالفات، عنده بلاء عظيم، حتى ولو كان الشرك والبدعة أو ما هو أقل من ذلك من كبائر الذنوب، أو تفريط في الفرائض أو الصغائر، قد ينظر إلى أنه متعالي عليه، فيأتي فيدعو من جهة التعالي، من جهة الاستعلاء، فيكون أمره ونهيه ليس صادرًا من قلب مخلص تمام الإخلاص، وإنما فيه شيء من الاستعلاء وهذا يفقد القبول.

فإذن عندنا الأمر الأول المهم هو أن تكون مخلصًا وفهمتَ معنى الإخلاص:

* أولا: أن لا تدعو إلى غير الله يعني لا تحبب الناس في غير الله، وإنما تريد أن يطيع الناس رَّبهم جل وعلا وحده.

* الثاني: أن تكون غير متعالي على الناس يعني أن تكون أنت وهم بمنزلة واحدة ليس معناه أنه عاصي معنى ذلك أنَّك خير منه لا تدري لمن تكون الخاتمة السعيدة، ولكن تكون أنت مقبلاً في أن يكون هذا مقبلاً على الله جل وعلا وأنت مخلص في أن يكون مهتديًا إلى الله جل وعلا.

هذا الخُلق الأول الإخلاص مهم بل هو شرط من الشرائط وواجب من الواجبات، وإذا قيل خُلق أو أدب في عُرف أهل العلم لا يعني أن يكون مستحَبًّا، فقد يكون واجبًا قد يكون شرطًا قد يكون مستحبًّا.

(ثانيا: أن يكون ذكيا، حصيفا، نبيها؛ لأن حالة المدعو كثيرًا ما تحتاج إلى تنبه، وهذا يأتينا في الأسباب يعني في دراسة حال المدعوّين، ينبغي أن يكون الداعية ذكي ونبيه وحصيف؛ يعني يعرف كيف يدعو، كيف يرتِّب النتائج على المقدمات، كيف يعرف الطريق الأحسن للدخول في ذلك، والذكاء هنا ليس أمرا فطريا فحسب، بل يكون أيضا بالتجرُبة، يكون بالتدرج، لهذا من خالط، من جرّب الدعوة اكتسب شيئا من الخبرة في معرفة كيف يكون الذكاء والحصافة والرأي في التعامل مع الناس.

(الأمر الثالث من أخلاق الداعية: أن يكون الداعية محبًّا لبذل الخير راغبا في هداية الناس عن طريق بذل ما عنده، وأن لا يحقر شيئا من الخير، يبذل جميع ما عنده، جميع قدراته التي يمكنه أن يبذلها، يبذلها إن كان من شيئا من

المال يستطيع بذله شيئًا من الجاه يستطيع بذله، شيئًا من الحركة والعمل، من الخدمة، من طلاقة اللسان، من بذل بعض الأمور التي يكون لها أثر، هذه مطلوبة من الداعية، يعني أن يبذل ما عنده، وهذه قد قال فيها عليه الصلاة والسلام: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»، «**لا تحقرن من المعروف شيئًا**»، هذه كلمة عظيمة «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا**»؛ لأنك ربما حقرت شيئا من المعروف ولو بسمة واحدة حقرتها لكن أثرها لن تراه أنت ربما يراه غيرك؛ بانفتاح صدر هذا المدعو في قبوله ما عند صاحب الخير، أما إذا لقي الداعية أو الذي يرغب في هداية الناس الخير، لقي الناس وهو مكفهرّ الوجه أو وهو غير متقدم لهم بنفس طيبة؛ يحقر المعروف يحقر الخير، فهذا لا شك يسبب شيء من الحواجز أمامه، لهذا على الداعية أن يوطِّن نفسه أن يكون باذلاً؛ إذا أردت أن تتحرك بالدعوة فابذلْ، تُوَطِّن نفسَكَ على أن تبذل، إذا كنت شحيحًا لست بذي جود فلا تصلح للدعوة؛ الداعية يصلح له أن يكون له جوادًا؛ يعني أن يكون باذلاً للخير غير شحيح، والشحّ ليس في المال فحسب، الشح يكون في اللفظ، في الحركة، يكون في بذل المعروف، في أشياء كثيرة، ومنها المال، وقد قال جل وعلا: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

ووصف ابن القيم رحمه الله شيخ الإسلام ابن تيمية عند ذكره في كتاب مدارج السالكين في منزلة الجود ذكر شيخ الإسلام وقال: لم أرَ في العلم أجود من شيخ الإسلام ابن تيمية، ذلك أنه يأتي السائل فيسأله عن مسألة، فيجيب بأكثر منها، وهذا ربما أُنتقد عليه، ولكن هذا من الجود بالعلم؛ لأن مثل ذلك مثل من سئِل عن الطريق إلى مكة فوصف للسائل طريق مكة وطرق المدينة وطريق كذا وطريق كذا إلى آخره ... وهذا مأخوذ من قول النبي

حينما سئل عن التوضأ بماء البحر فقال: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**» جواب السؤال (الطهور ماؤه) أما «**الحل ميتته**» فهذا زيادة في الجواب من الجود الذي ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى.

إذن في أخلاق الداعية تُوطّن نفسك على أن تكون جوادًا؛ جوادا في بيتك، جوادا في عملك، جوادا في السوق، جُود الطبيب وهو يمارس مهنته، جواد أو جُود التاجر وهو يمارس مهنته، جُود القريب وهو يتعامل مع أقربائه، إلى آخره؛ يعني جُود هؤلاء وكونهم يكونون من أهل الجود، هذا من المهم في كل نِطاق؛ لأن الجود سبب لانفتاح القلوب والناس يحبون من أحسن إليهم:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمُ فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

وهذا واقع، إذن هذه الخصلة لابد أن توطّن نفسَك عليها، تكون جوادًا ولو لم تكن كذلك في الداخل لكن جرِّب نفسك؛ أن تكون جواد بالكلمة، جواد بالبشاشة، جواد بالبذل مثلا من الأمثلة -وهذا سيأتي تطبيق له فيما نأتي إن شاء الله- من الأمثلة رجل في بيته يشكو من وضع والده، يشكو من وضع ولده، يشكو من وضع إخوانه -مثلاً- ويشكو، ويشكو، وهو إذا تعامل معهم في الدعوة يتعامل معهم من جهة الأمر والنهي، لكن لو خالط زملاءه، لو خالط أصحابه، وجد أنه معهم بشخصية أخرى غير الشخصية غير الشخصية التي يتعامل بها مع أهل بيته، هذا الانفصام سببه أنه جواد مع أولئك بالكلمة، بالبذل، بالأخذ، فأثر فيمن أثر، وثبَّت من ثبَّت بتوفيق الله جل وعلا، أما في بيته فهو إنما هو آمر ناهي، والناس ليست مجبولة على من يحب أن يتسلط عليها؛ من يأمر وينهى، وإنما مجبولة على حب من يقدّم لها، من يحسن إليها.

فإذن في البيت الجود لو جرّبته له أثره العظيم فجرّب مع أخيك الصغير، مع أخيك الكبير، مع والدك، مع ابنك، مع بنتك، مع أختك، مع قريبك، جرِّب هذا ستجد أن له أثرًا وإن كان هذا الأثر ربما يكون بعد مدة لكن له أثر، وأوّل درجات الدعوة انفتاح قلب المدعو إلى الداعية؛ قلب من تريد أن تؤثر عليه أن ينفتح قلبه لك، ويحب الكلمة التي يسمعها منك، ويقتنع بالكلام الذي تقوله، ولو عشرة في المائة، عشرين في المائة، خمسين في المائة، في البداية. هذا خير عظيم، الأمور لا تصل إليها على خطوة واحدة.

ومن الأسباب المهمة ما ذكرته لك وهو الجود فلا تحقر هذا السبب، وقد قال لك عليه الصلاة والسلام: «**لا تحقرنّ من المعروف شيئا**» أيّ شيء من المعروف لا تحقره«**ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**» بل إن ذلك فيه تنبيه على أن تلقى أخاك دائمًا بوجه طلق كما قال في الحديث الآخر: «**وتبسُّمك في وجه أخيك صدقة**».

(من الأخلاق المهمّة للداعية أن يكون واسع الأفق، يعني محلِّلاً لما يجري حوله؛ يعني أحيانًا يكون الأثر الذي يؤثر في المدعو سلبًا، أو يؤثر في المدعو إيجابًا، يكون هذا أثر غير مَرَضي يكون فيه أشياء في جوانب حياة هذا المدعو خاصة من لا تعاشره دائما، فهذا كيف تؤثر عليه؟ لا بد أن يكون عندك رؤية متّسعة للمؤثرات التي تؤثر على هذا المدعو، وهذه الرؤية المتسعة ستستنتج منها الأسباب التي تصدّ هذا المدعو عن قبول الخير، وستستنتج منها الأسباب التي تجعل هذا المدعو يُقبل على الخير، يعني هناك أشياء تجعل هذا يقبل؛ لأن كل إنسان له عواطفه، له محبته وخاصة إذا كان مسلماً فإنه عنده من الخير ما عنده، لكن هذا الخير ربما غطّى عليه كثير من الرَّان المنتشر في الناس، ولأسباب أخرى تارة تكون من نفسه والشيطان، وتارة

تكون ممن حوله من الشياطين الذين يصدون الناس عن الحق، هذا لابد أن يكون عند الداعية استيعاب لما حوله، ثم إذا استوعب كانت رؤيته غير محدودة، بل رؤيته متسعة بعد ذلك يدرس هذه الأسباب، ويحاول أن يأتي ويحصّل الإيجابيات وأن يبتعد عن السلبيات؛ ولهذا جاء مبدأ المشاورة والتطاوع في الدعوة، لأن أحيانا يكون الإنسان لا يدرك الأشياء بنفسه خاصة من تحليل نفسيات المدعوين، لهذا قال عليه الصلاة والسلام لمن أرسلهما إلى اليمن: «**تطاوعا ولا تختلفا وبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا**».

(أيضا من المهمات في أخلاق الداعية: أن يكون معتنيًا بشيء من العلم المتصل بالدعوة، وأن يعلم أن الدعوة إلى الله جل وعلا مراتبها كبيرة جدًّا، فهناك من الدعوة ما لا يصلح إلا للعلماء، هناك من الموضوعات ما لا يصلح أن يدعو إليه إلا العلماء، هناك من الموضوعات ما يصلح أن يدعو إليه كل مسلم؛ لأن كل مسلم معه من اليقين والعلم بأشياء من الحق ما ينبغي له أو إذا دعا فهو عنده من العلم في تلك الأشياء ما يجعله يدعو إليها.

العلم ذكرنا دليله في قوله جل وعلا ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ والبصيرة هي العلم؛ والعلم مهم وكما قلنا درجات؛ ولهذا أهل العلم يقولون لا يجوز لأحد أن يدعو حتى يعلم ما يدعو إليه، أما إذا كان جاهل بالحكم، جاهل بما يدعو إليه، فكيف يدعو إلى شيء وهو يجهل حكمه؟ لكن إذا دعا إلى تحبيب الناس في الخير، إلى تحبيب الناس في الاستقامة، في الصلاة، في الطاعة، في مؤاخاة الصالحين إلى آخره ... هذه أمور يشترك في معرفتها وفي العلم بها جميع المسلمين.

العلم لابد منه فيما تدعو إليه، إذا أردت أن تدعو إلى مسألة ليست من الواضحات فلا يجوز لك أن تتكلم فيها إلا بعد أن تكون عالمًا بها على ما قاله أهل العلم.

(أيضا من الأخلاق المهمة أو من الآداب المهمة للداعية التي تكون من خلقه وشخصيته: أن يكون مرتبا للأولويات وهذا ما يُسمى بتقديم الأهم على المهم، أو ما يسميه بعض المعاصرين بفقه الأولويات -وهذا صحيح- تقديم الأوْلى على ما هو دونه، هذا مهم، تقديم الأهم على المهم، هذا أصل شرعي، كما قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ: «**إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم . . .**»

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في مسائل كتاب التوحيد: فيه البداءة بالأهم على المهم. نعم الأهم يُبدأ به قبل المهم، فلابد أن يكون عندك معرفة بالأولويات ما المهم؟ بعض الناس ممكن أن يبدأ بالدعوة بفرعيات يعني بمستحبات ويترك الأصول، هذا ما بدأ بالأهم وترك المهم، بل بدأ بما هو من المستحبات وترك ربما الواجبات والفرائض، لابد أن يكون الداعية، أن يكون متمرسًا في معرفة الأولى فالأولى، هل الأولى فالأولى في جميع الناس واحد؟ لا، في جميع المجتمعات واحد؟ لا، المجتمعات تختلف وكذلك الأفراد يختلفون، بل البيوت تختلف، فهناك أولويات في بيت ليست هي الأولويات في البيت الآخر، بل نفس الداعية عنده أولويات في بيته في الدعوة، وينتقل قلبه إذا اتجه إلى عمله إلى أولويات أخر، وينتقل قلبه إذا خالط أصحابا له في أولويات أخر، فيكون عنده من فقه الأولويات ما يجعله إذا تكلم في كل مجلس يظن الظان أنه متناقض؛ يتكلم هنا بكلام وهناك بكلام، والواقع أنه من فقهه؛ جعل الأولويات التي يتكلم بها مع أهله غير الأولويات التي يتكلم بها مع أصحابه غير الأولويات التي يتكلم بها مع العامة وهكذا.

فإذن من فقه الداعية ومن الأخلاق التي لابد له أن تكون معه أن يكون عنده ترتيب للمهمات ترتيب للأولويات، وهذا يتطلب أن يكون معه الأشياء السابقة وهي أن يكون ذكيًا فطنًا واسعًا حتى يمكن أن يعرف ما هي الأولويات المتصلة بهذا الفرد، بهذه الأسرة، بهذا البيت، إلى آخره، فإذا رتبت الأولويات عرفت كيف تبدأ، وأما إذا لم ترتب فربما أتيت من قبيل الغيرة، وأمرت ونهيت وأقمت الدنيا وأقعدتها، لكن هل أثرت في القلوب؟ الجواب: لا. ربما المرء يحترم في بيته قد يحترمه أولاده، قد يحترمه إخوانه، لكن المهم أن يحترموه وبعد الاحترام أن يطيعوه، وأن يقتنعوا بالحق الذي معه، وهذا ليس مهمة الآمر الناهي فقط. بل مهمته أن يكون مع أمره ونهيه دعوة بشرائطها وبمتطلباتها.

(أيضا من الأخلاقيات المهمة في الداعية: أن يكون متخلِّصًا عن حظ نفسه، دائمًا يكون باغٍ لحق الآخرين بعيدًا عن أداء حق نفسه، وهذا نبينا ﷺ ربما أتى إليه الأعرابي وجذبه، أو جبذه من وراء ظهره بقوة بردائِه، والنبي عليه الصلاة والسلام يجيبه إجابة سمحة، وربما قام عليه الرجل فتكلم عليه، وقام عليه بسيفه، فأجابه بإجابة يكون فيها البَر والطمأنينة له، فيه أحاديث معلومة ليس هذا محل ذكرِها.

المقصود من هذا أن الداعية يجب عليه أن يكون متخلصًا، يعني وأنت في دعوتك تكون متخلصًا عن نفسك يعني هذه النفس التي بين جنبيك احترامها، قوتها ... إلى آخره هذه اجعلها تنزل مرتبة أو مرتبتين أو ثلاث لما؟ لأن الناس خاصة إذا تعاملوا مع من يدعوهم إذا رأوا أنه يتسلط ولو بكلمة فيها شيء من القوة والغلظة فإنهم لا يقبلوها ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وهو النبي عليه الصلاة والسلام، وهم صحابته

الكرام عليهم رضوان الله، هكذا الناس، الناس مجبولون على أنهم لا يقبلون الذي يخالف ما هم عليه؛ إذا تأمره بشيء يخالف رغبته لا يقبل ذلك، فمتى يكون لك حظ عند المدعوين؟ إذا تخلصت من رغبات نفسك، وهذا يظهر عند النقاش، عند الحجاج؛ إذا أتى أمرته ودعوته وكذا، فتكلَّم عليك ربما والدك، ربما ابنك، ربما أخوك، ربما أختك، وهكذا ربما يتكلم عليك، فهل معنى ذلك تظهر لك العزة وأنت تتمثل مقام الدعوة؟ لا، بل يظهر عندك مقام الداعية رحْب الصدر الذي يمكن أن يناقش، يمكن أن يتكلم في كل مسألة، وإذا ضاق به الأمر وأُحرج؛ لأنه ربما يكون المدعو يُحرج الداعية في أشياء، لأنه هو مضطرب فيها أو لا يكون عنده إلمام بها إلى أشباه ذلك يعترف بأنه هنا خطأ، لكن يرتب المهمات لأن المهم إذا وصلتَ إليه يعني الأَوْلى الأهم إذا وصلت إليه فإنه متفَق عليه؛ المحافظة مثلا على الصلوات، التزام المرأة مثلا بحجابها، بسترها، بقلة خروجها إلى آخره، التزام الرجل بآدابه، عدم مخالطة الأشرار إلى غير ذلك، هذه الأشياء تكون متفق عليها، فيأتي الكلام في خلافيات معينة فالانتصار للرأي يَخْرِم الدعوة، فلهذا على الداعية أن يكون واسع الصدر، أن يكون متخلصًا عن نفسه، وعن الانتصار لنفسه؛ يعني لا بأس أن يقول أخطأتُ لا بأس أنْ يقول معك الصواب، وألا يرتفع لأنه إذا رفع نفسه على غيره فلن يقبل الداعية بالذات لا بد أن يكون جاعلا نفسه أقل من غيره وهو يخاطب الآخرين؛ إذا جعل نفسه ندًّا لغيره أو متعاليًا فإنه في الغالب يكون كلامه محترمًا، لكن لا يكون محل قناعة وقبول.

الآن التجربة أو القسم الثاني هو الميدان:

كيف تبدأ العمل؟ كيف تدعو عمليّا في بيتك؟ كيف تدعو عمليّا في مكتبك؟ كيف تدعو عمليّا في مؤسسة، في الشركة؟ كيف تدعو عمليّا في المتجر؟ كيف تدعو عمليّا في قريتك إذا رجعت إليها، أو إذا سافرت إلى أي مكان في الطائرة؟... إلى آخره.

هذا المجال الذي هو المجال الميداني هذا لا شك أنه من المصاعب، ويحتاج إلى تجربة، لكن هو سهل ميسور إذا أخذته بتسهيل.

الأول البيت: البيت مركّب من رجل وامرأة كبير أو صغير، الأطفال ليس هذا محل بيان كيف يؤدبون وكيف تتكلم معهم لكن مع الكبار.

البيت يحتاج منك إلى أن تنظر في هذا البيت، في ما فيه من الخير الذي يَرْغَب فيه أهل البيت وما فيه من الشر الذي يقع فيه بعض أهل البيت وأنت لا ترض عنهم، -كل بيت من بيوت المسلمين فيه أشياء من الخير وفيه أشياء من الشر-.

النظر إلى الخيرات لابد أن يكون مع النظر إلى الشرور والمنكرات لما؟ لأن تلك قَبِلُوها وهذه قَبِلُوها، فأنتَ تريد أن يقبلوا منك زيادة في الخيرات التي يمارسونها، وأن يقبَلوا منك التخفيف من الشرور والمنكرات التي يمارسونها، فإذن في نظرك إلى البيت حلّل أولاً الإيجابيات والسلبيات -كما يقال-، حلّل الخيرات، وحلّل المنكرات، فانظر إلى أسباب حدوث الخير وأسباب حدوث الشر، فترى تارات كثيرة أن أسباب حدوث الخيرات هو الإيمان الكامل في نفوسهم، الرغبة الصادقة في أهل البيت في الدار الآخرة وفي الخير، هذه تحتاج منك إلى تنمية؛ تنميتها بأمور تغرس الإيمان في

القلب، وأهمّ ذلك أن يُوَطَّن أهل البيت على محبة القرآن والذِّكر، هذه أدْخِلْها إلى البيت، ولو بقراءات بينك وبينهم في فترة وجيزة من فترات الزمن يعني خمس دقائق، عشر دقائق، يجتمع الجميع على قراءة في كتاب الله و الإستماع له وحفظ آية أو نحو ذلك هذا شيء يشترك فيه الجميع لحُسنه، وأظنّ خمس دقائق أو عشر دقائق ليس ثَم من يعارض فيها.

مسألة الصلاة فيما يوجد مثلاً عند النساء، النساء تجد أنهنَّ في البيت وهنّ مغفولٌ عنهنّ تجد أنهم يصلون لكن الصلاة عند كثيرات منهن بدون خشوع، يعني كثير من النساء ينقر الصلاة نقرًا، فهذه أنظر لها وحاول أن تعالجها بالطريقة الملائمة، بأن تقول مثلاً هذه الفتوى لأهل العلم وهذه الأحاديث الواردة في ذلك، الصلاة زيدي فيها تسبيحة، زيدي فيها تسبيحتين، ونحو ذلك، لا يصح نقر الصلاة وبخطاب مودود بين المتكلم والمخاطب.

إذا نظرتَ مثلاً إلى الجهة الأخرى وهي التي قد يعتني بها كثير من الدعاة، أو من الذين يهتمون بإصلاح البيوت جهة المنكرات الموجودة في البيوت؛ المنكرات درجات فهناك منكرات كبيرة عظيمة، وهناك منكرات وسط، وهناك منكرات أخص، والجميع يشترك في أنه منكر ومحرم، فترتيب النّظر في هذه مهم، يعني مثلاً هناك بيت أهله من الرجال لا يحضرون الصلوات وتجد عندهم -مثلاً- بلاء؛ فيه دخان يعني شُرب الدخان أو رؤية للمنكرات، مثلاً عندهم أجهزة لرؤية النساء ونحو ذلك والمحرمات، أوعندهم ممارسات لأشياء محرمة في البيت؛ علاقات أو اتصالات أو إلى آخره، غير ذلك، فكيف تُرّتب وضع هذا البيت، بما يهيئ لك الانتقال إلى المرحلة الأخرى، إذا أتيت إلى الشيء الذي هم أكثر تعلقًا به وكان هو الأخص فتركتَ الكلام فيه ربما قبِلوا، وهذا جُرِّبَ وَوُجِدَ في بيوت كثيرة له نجاح؛

يعني هناك شيء يتعلقون به مثل مثلاً وجود التلفاز في البيوت تتعلق به، و هم عندهم مخالفات أكبر من ذلك، فإذا أتى كلام الداعية في هذا ليلا نهار رجع هناك بحواجز بينه وبينهم، لكن إذا سكت عنه كما سكت العلماء عن أشياء، وكما أمر النبي بأن يُؤمر أولئك بالصلاة قبل الزكاة، فإذا سكتَّ عنه ونظرت إلى المصيبة الأكبر أو المنكر الأكبر الموجود فجهدت في إزالته وتركت هذا ولو سنة، فإن هذا يسبب قبولاً؛ لأنه من عوائد النفس أن لا تحبب الانفكاك على كل ما فيها مرة واحدة، وأنت أنظر إلى نفسك لمن لم يكن مهتديا من قبل ثم اهتدى، وقد قال جل وعلا ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [النساء: ٩٤]، هذا ينظر إلى نفسه لو أتى واحد وقال له انتقل في يوم من الحال التي أنت عليها إلى الحال التي أنت عليها اليوم. لا يمكن أن يتصور ولا يمكن أن يكون واحد أن يقول هذا الكلام ويقبل منه فورا، ولكن هي مدة من الزمن، فإذن هناك أشياء يمكن أن تسكت عليها، يمكن أن لا تُغلِظ وجهك فيها، ولا الكلام فيها، ولا تنكرها حتى يأتي زمن يقبلوا منك ذلك، لكن بشرط أن تكون ساعيا في نقلهم إلى شيء أفضل، يعني في إنكار شيء أكبر من هذا الذي يمارسونه، وهذا واقع في البيوت، وكل بيت له تحليلاته وله أوضاعه الخاصّة.

إذا نظرت من جهة أخرى إلى وضع الرجل في بيته أنه يعطي البيت القليل، ويَرغَب من أهل البيت أن يكونوا كما يريد، هذا لا يمكن فلا بد أن تعطي البيت الكثير سواءً كان والدا، أو كان أخا، لابد أن يعطي بيته كثيرا من وقته، حتى يقبل منه أولئك لهم طلبات؛ يريدون في هذا الزمان يريدون أن يذهبوا هنا وهناك، رجال ونساء وأطفالا، مراهقين، شبابا شابات، يريدون من الرجل أن يبذل لهم، أن يذهب بهم هنا وهناك، إذا لم تبذل لهم؛ النفس لها

طبيعة لابد أن تتسلط عليها أفكار أفكار قد يتولد منها أشياء لا تحبذها أنت، فإذن من وسائل الدعوة المهمة العملية في البيت أن تبذل من وقتك الكثير وتنقل أهلك إلى ما يحبون، وفي خلال هذه المدة يمكن أن تُمرِّر كثيرا من الأشياء التي أمر الله جل وعلا بها ورسوله، هذه إعطاء البيت وقتًا في القعود في نفس البيت، في الجلوس أيضا في الخروج للصغار والكبار.

أيضا من المهمات في البيت أن تنظر إلى نفسية أهل البيت، وكل واحد تعالج نفسيته بما هو عليه، مثلا -وأنا ربما أركّز على النساء- مثلاً البنت في البيت بدأت في العمر الثالثة عشرة، الرابعة عشرة، الخامسة عشرة، هذا السِّن إما أن تسلط عليها الخير وإما أن تسلط عليها الشر، لا تظن أن الخير سينغمس فيها بكلمة في خِضَمِّ هذا المجتمع الذي فيه كثير من التأثيرات بالباطل والتي قد توافق نفسية المراهقة أو المراهق لا بد أن تدخل في نفسياتها، الفتاة تحتاج إلى أشياء تحتاج إلى المدح -مثلا- في زينتها، تحتاج إلى المدح في هيئتها، في كلامها، تحتاج إلى أن تلبَّى طلباتها، تحتاج أن تُنقل من شيء إلى شيء إلى أن تُقنعها بقناعات مع التسليم لها بأشياء، أن تدخل معها في المشاركة في اهتماماتها، هي مهتمة بأشياء وهي عندك لو اهتم بها فلان واطلع عليه الناس لعِيب ذلك، لكن في الواقع في علاج ما في البيت لا يعاب ذلك، فأنت اهتم معها باهتماماتها الخاصة؛ الاهتمامات التي تجعل هذه تشعر أنك دخلت معها في نفس الاهتمامات، ثم بعد مدة يأتي التوجيه شيئا فشيئا، وهذا يجعل هناك صداقة وارتباط بين الأخ أو بين الأب في الأسرة وبين هذه الفتاة التي وصلت سن المراهقة.

بعض الآباء في البيوت يكون رجل ديّنا صالحا وفيه خير، لكن حصل أشياء في بيته أمور غير محمودة، كان من أسبابها أنه لم يهتم يوما ما لا

بالشاب ولا بالشابة، هذا أحد الأسباب؛ ما اهتم بها، ما تكلم معهم في مشاكلهم، ما في داخلهم، كل واحد عنده رغبات، رغباته أحيانا تكون محرمة، رغباته أحيانا تكون بعيدة عن العقل والصواب، لكن لا بد أن تستخرج منها ذلك لأنك إن لم تستخرج منها ذلك، فسيستخرجه الأصدقاء، وسيوجه الأصدقاء بتوجيههم وإذا أتى والأصدقاء وأخلاء الشر بتوجيهاتهم فربما وقع ما لا يحمد.

فإذن من المهم أن تعطي البيت وقتا، وإذا أعطيت البيت وقتا فإنه مجال خصب للدخول معهم في ما تحب، والدعوة كما أنك ترى أنه لا يمكن أن تؤثر على الآخرين في خارج البيت بدون وقت، كذلك البيت لا يمكن أن تؤثر عليه بدون وقت.

النقطة الثالثة: أن تأتي بكل وسيلة من وسائل الخير فتدخلها إلى البيت من شريط مستقيم طيب، ومن كتب خاصة؛ كتب الأذكار، وكتب المواعظ، والكتب النافعة التي فيها علاج المشكلات، المجلات المأمونة الطيبة التي تعالج بعض الأشياء وتجعلها في البيت، وهم لا شك سيقرؤون، وسيكون هناك نوع تأثر بوضعها، لمجرد الوضع لا بالفرض، فرض تلك الأشياء.

بالنسبة للعمل: العمل ميدان آخر مختلف تماما عن البيت، معالجة البيوت أسهل من معالجة زملاء العمل؛ لإيش؟ لأن هؤلاء قد بلغوا من العمر ما بلغوا؛ لهم قناعاتهم، لهم شخصياتهم، لكن هؤلاء لا شك أنهم درجات يختلفون، هؤلاء لا تنظر إليهم نظرا واحدا، بل كل واحد له وضعه، له تفكيره، له عواطفه التي في داخله، زملاء العمل من أحسن ما يؤثر به عليهم، أن يكون هناك اثنين أو ثلاثة يبتدؤون بوضع شيء من الزيارات الخاصة التي يكون فيها حضور لبعض أهل العلم، يعني يجعل مثلا بينهم مثلا لقاء أسبوعي

أو ما يسميه بعض الناس دورية، يكون في ثلاث مرات في الشهر جلسة عامة يتحدثون كما يشاءون، ومرة في الشهر يأتيهم بعض أهل العلم ويتناقشون معه في ساعة من الزمان، في أمر من الأمور هذا النوع من الربط الربط الذي معه عدم فرض الشخصيات على أولئك؛ لأن منهم من لا يقبل أن يأتي كل مرة، واحد يتحدث لهم في هذه المجالات يعني المجالات الدينية، لكن إذا كان مرة في الشهرين، مرة في الشهر في أول الأمر، هذا مقبول، هذه وسيلة من الوسائل.

الوسيلة الثانية نشر أشياء في العمل من جهة فتاوى لبعض أهل العلم بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة من نشر أشرطة نافعة يكون فيها الأثر من قبول صحبة خاصة، نفع لبعضهم، توسط لبعضهم، السعي في نفعهم بالأخلاقيات التي ذكرنا؛ يعني أن يكون المرء في عمله -الذي يخاطب الآخرين- يكون رأى منه ذاك أنه يبذل له ما لا يبذله غيره، وهذه وسيلة مهمة؛ لأنها تُدخِل الخير في النفوس ولو بعد زمن. كذلك إذا كان هناك مسئول العمل، وإذا قلنا مسئول العمل لا يتصور أنه -مثلا- وظيفة رسمية في أي مجال من مجالات العمل؛ إذا كان مسئول العمل رجلا جيدا وصالحا، يمكن أن تعقد لقاءات لكل العاملين، ويؤثر عليهم عن طريقها، يعني أمامك مجالات في جهد فردي في العمل، يمكن أن تبذله ويكون معه أشياء من الخير، ولا يمكن طرق جميع الجوانب، لكن إذا كان هناك من سعى في ذلك فيجود بخبرته على الآخرين، أو إذا رأى المرء أنه سيبدأ في ذلك يشاور إخوانه، ولابد أن هناك تجارب كثيرة في هذا المجال.

جهة أخرى وهي ميدان الدعوة في القرى: من الناس من يأتي مثلاً للرياض أو للمدن، وبعد انتهاء فترة الدراسة، أو يريد أن يرجع إلى بلده في

إجازة وظيفية إلى آخره، والقرى وضعُها يختلف عن وضع المدن؛ وضع الناس فيها يختلف عن نفسيات أهل المدن -كما هو معروف- كيف يخاطب أولئك وكيف يسعى فيهم؟ أولئك أقرب في الغالب، أقرب إلى الخير؛ يعني أقرب إلى عدم مجادلة أهل الخير من أهل المدن؛ لأن أهل المدن تركزت فيهم أشياء من القناعة ببعض المنكرات، أما أهل القرى لا زالوا يحترمون أهل العلم احتراما طيبا، ويحترمون أهل الصلاح احتراما جيدا، هؤلاء تدخل معهم في نطاقات:

النطاق الأول تنشيط مجال الدعوة في البلد؛ يعني أن يكون لك صلة بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البلد، أن يكون لك صلة بمكتب الدعوة في القرية أو في المنطقة، تنشيط الكلمات في المساجد والمحاضرات، الدروس التي تقام في المساجد أو المواعظ التي تقام بعد الصلوات، هذه لها أثر ونفسية أهل القرى قريبة، كذلك في الدعوات العامة ما يسمى مثلاً بالعزايم أو اللقاءات العامة، هذه الحديث فيها دائما يكون متركز على رغبات الناس، والداعية إذا نظر إلى هذا المجال وجد أن هذه الأحاديث غالبا ما يتكلم فيها الناس مع أول متحدث؛ يعني إذا فتحتَ أنت موضوعا من الموضوعات فإن الحديث سيمرُّ وقتا من الزمن في هذا الموضوع، إذا كان طرحته في طرح جيد مقبول، يعني إذا تكلمت مثلا عن شيء من أخبار الصحابة رضوان الله عليهم أو أخبار بعض أهل العلم وما هم عليه، أو تحليل لموقف من المواقف أو نحو ذلك، أو حدث من الأحداث فإنه سيتكلم هذا المجلس في هذا الموضوع شيء من الزمن؛ ربع ساعة، ثلث ساعة، بقدر نباهة وانتباه الداعية يمكن أن يطيل ويشقق هذا الموضوع حتى يكون هناك استفادة أكبر من طرح تلك الموضوعات، يعني أن يكون

هذا المشارك مهتمًا في أن تكون الجلسات العامة ليست جلسات كلام قيل وقال، بل تكون الموضوعات المطروحة فيها مدروسة، وهذا لا بد أن يكون معه كما ذكرنا من قبل دراسة موضوعية لما يكون في تلك البلاد أو القرى من الأمور الإيجابية والسلبية.

مجال رابع من مجالات الدعوة الفردية أيضا هو: التأثير على من هم أقل منك؛ يعني المعلم مع طلابه، كبير الزملاء مع صغار زملائه وهكذا، هذا نوع من التأثير أو نوع من المخالطة موجود، والتأثر به كبير، والتأثير عن هذا الطريق سهل؛ ذلك لأن الصغير في الغالب يرى المعلم، أو الزملاء الصغار يرون الكبير فيهم، يرون له محل من الاحترام ومحلا من التقدير، وهذا يجعل الفرصة سانحة لكي يقول ما عنده، ويؤصل الدعوة الصحيحة بما يحصل لهم به الخير وينتقلون معه إلى الأفضل.

أكتفي بهذا القدر، وربما ما عندي النشاط ما يجعل الكلام يعني مستقيم لأخرجها، فنجيب على بعض الأسئلة وتعذروني عن القصور، وجزاكم الله خير.

[يقول من خلال الحديث عن كيفية الدعوة، هناك مشكلة تواجهني في هذا الجانب وكثير من الناس، وهي كيف أدعو زوجتي إلى الاستقامة إلى الدين، وما أفضل الطرق في ذلك لأني تعبت، ولم أرى تغيرا أرجو إفادتي وغيري بهذا الموضوع المهم؟]

التأثير على الزوجة لا شك أنه من المهمات، كذلك تأثير الزوجة على زوجها، وإن كان في الغالب تأثير الزوج على زوجته أكثر، يعني أكثر قبولا وأكثر واقعية.

الزوجة إذا كانت محترِمة يعني القاعدة إذا كانت محترمة لزوجها فإن عطاء الزوج لزوجته بمقداره يكون القبول؛ عطاء الزوج لزوجته من حيث الكلمة، من حيث العمل، من حيث المال، من حيث تلبية الرغبات، عندها أشياء مخالفة لا يريدها الزوج، عندها اهتمامات غير محمودة، محرّمة، تفعل أشياء منكرة، أو تجادل في أشياء لا يجوز أن تجادل فيها؛ مثل بعض مسائل الحجاب واللباس ونحو ذلك . . . لكن نفسية الزوجة رقيقة؛ المرأة رقيقة بطبيعتها، فالزوج يؤثر على زوجته أول الدرجات بأن ينطلق لسانه، وكثير من الأزواج -ويعذرني الإخوان- خاصة المستقيمين- لسانه ليس رطبا مع زوجته وفي هذا الزمن أن ترى المرأة أي الزوجة تسمع -نسأل الله العافية- حديث الرجل مع المرأة في الأجهزة المختلفة في التلفزيون أو في الفيديو أو إلى آخره إذا كانوا يرونه، يسمعون حديثا لم تسمع المرأة أن زوجها يخاطبها به، كذلك تسمع من زميلاتها وصديقاتها زوجها فعل معها كذا أو قال لها كذا أو اهتم بها بهذا النوع من الاهتمام، لاشك هذا يولد عندها أشياء في نفسها تجعل هنالك حواجز من قبول لما يقوله الزوج، ومن المهمات أن يكون لسان الزوج منطلقا مع زوجته، يعني لا يحسن أن يكون الزوج مع زوجته صامتا -بل هذا يعد من العيوب- إلا فيما يشتهيه هو؛ إذا اشتهى شيئا تكلم أما الأشياء التي لزوجته لا يتكلم فيها، كيف يكون القبول إذن؟ يعني الزوجة تحتاج إلى مدح، تحتاج إلى ثناء ولو كان طويلا، لا يعد هذا نقص في قيمة الرجل، الرجل له شخصيته لا تؤثر فيه هذه الكلمات، له شخصيته المتزنة التي فيها ويحزم في مواضع الحزم، ولكن أيضا يكون لسانه طريا في مواقعه.

وكذلك ادعي الإعجاب بالمرأة، المرأة ضعيفة مع الأسف، امرأة وُجِدَت على أمر ليس بحسن -مثلا عن طريق مكالمة هاتفية- وهي امرأة ليست

مستقيمة في الجملة ليست لهذه الأمور، كان سبب دخول هذا الخبيث إلى قلب هذه المرأة كلمة؛ مدحها بكلمتين، أظن بصوتها بطريقة صوتها بطريقة كلامها، فظنت أن هذا صادق فيما يقول، وربما يكون هو كاذب فيما قال، لكن هي صدّقت، وهكذا طبيعة المرأة، فإذن لابد أن يكون الرجل مُبدِيا لما في المرأة، المرأة بتحتاج إلى ذلك، يعني الكلمة مهمّة لسانك لا ينعقد لسانك بالكلام مع زوجتك، بل من المستحسن أن تكون مبديا لإعجابك بالمرأة في لباسها، في كلامها، في أدائها لمهمّات البيت، في تربيتها للأولاد، ما تعمل، تعمل، تعمل وأنت لا تبدي شيئًا؛ ساكت، فكيف ستقبل؟ لا بد أن يكون منك شيء، وهي بالتالي سيكون منها أشياء هذه نقطة.

النقطة الثانية: البذل من جهة المال؛ يعني بعض النساء يكون عندها حاجة لأشياء، تريد أن يكون ملبسها على نحوٍ ما، أو وضعها في بيتها على نحوٍ ما، أو وضعها فيما تعمل في البيت على نحوٍ ما ونحو ذلك . . . فيكون الرجل متسلطاً في أن لا يأتي بهذه الأشياء، إتيانه بهذه الأشياء، والموافقة على طلبات المرأة يُسبب لينًا عندها؛ لأنها إذا وجدت أنك تنفّذ كثيرًا أو أنّك تأتي لها بما تبغي تقبل منك، على الأقل في البداية خشية أن تخسر ما تبذل، هي تفكر تقول هو بذل لي أخشى أن أعانده أو لا أوافقه بعدين أخسر بعض الأشياء، فهي توفّق حتى يكون لها الخير؛ طبيعةً وجِبِلّة.

الجهة الثالثة: أن المرأة تحتاج إلى أشياء من الخروج مثلاً من المنزل، النساء ليس النساء على مرتبة واحدة، بعض النساء ممكن أنها تجلس يوم، يومين، ثلاثة، أسبوع ما تخرج، ما عندها إشكال، بعض النساء لا؛ تعوّدت قبل أن تأتي للزوج في وضع في بيتها، قبل أن تأتي إلى هذا الزوج في وضع

في مثلا في اشتراء بعض الملابس والأشياء، فإذا أتى الزوج وحملها على غيره وأراد منها أن تتخلص من أشياء كانت تمارسها في بيت أهلها مثلاً، أو نحو ذلك من الأشياء غير المحمودة، فإنها لن تقبل، أو يكون هنالك شيء من عدم القَبول.

فإذن المقصود من ذلك أن يكون هنالك توازن في شخصية الزوج، فبذله للمرأة وتحليله لنفسيتها من كل الجهات ومعالجة تلك النفسية، هذا سبب من أو هو من أكبر الأسباب في علاجها واهتدائها إن شاء الله.

[إن لي أخا صغيرا لا يطيع أوامري ويشرب الدخان لأنه مُتَيَقِّن أني لن أخبر والدي.]

هذا مع الطول يا أخي، الدخان أمر ليس حَلُّه في يوم وليلة، ولكن مع الزمن، وترغيبا في الخير وحضوره الجماعات والصلوات، وكثرة تحبيب، كثرة تلاوة القرآن له، سماع القرآن، يبدأ يستحي على الأقل في البداية من شرب الدخان، ثم يستتر به، ثم يتركه إن شاء الله تعالى.

[ذكرتَ في درس الأصول، الأصول الشرعية في التعامل مع الناس، تعامل المرء مع نفسه ومجاهدتها، وهذا العنصر أمر مهم يعيشه كثير من الشباب وهو ضعف الشخصية أمام الوالدين، والإخوان، والزملاء، بحيث أن الشخص قد يرى المنكر أمامه ولا يستطيع أن يفعل أي شيء خوفا من والده أو أحد آخر، ما هو علاج لهذا الموضوع؟]

هذا أمر نفسي؛ يعني يخاف أن يتكلم، يخاف أن يُبدي ما عنده، هذا أمر نفسي علاجه لا بد أن يكون المرء منتبهًا لنفسه، أولا أن يُجَرِّئ نفسه على الحق، الحق ما فيه مجاملة، لكن الحق ينبغي أن يؤديه بالطريقة الصحيحة،

ليس بطريقة الاستعلاء، بطريقة المحبة والإرشاد والترغيب في بداية الأمر، أما إذا كنت في بيتك الذي تعوله، وأنت رب ذلك البيت - يعني أنت صاحبه ولك فيه الأمر والنهي- أنت إذن غير معذور على وجود منكرات فيه إلا إذا كان هناك ترتيب في بعض المصالح في أشياء معينة من المنكرات، لكن مثل في بيت الوالد أو معك الإخوان -إخوانك أو نحو ذلك في البيت- هذا يحتاج منك أن تكون مرشدا متحببًا متوددًا شيئًا فشيئًا، الخوف يكون غالبا في الإنكار، لكن إذا ابتدأت بأن تكون داعيا غير منكرٍ يعني مرشدا تُبيِّن للناس الخير، تحثهم على الخير، لكن لا تنكر عليهم الشر؛ في البداية ينطلق لسانك، ثم بعد ذلك تبدأ تقول الجهتين؛ ما يرغِّبهم في الخير وما يبعِّدهم عن الشر.

هذه كلها توجيهات، من جهة الواقع العملي، أمَّا لو كانت فتاوى، فلكل واحد حالة تخُصُّه، معلوم أن الفتوى العامة غير الفتوى الخاصة.

[السؤال: هل ترون أن تخرج المرأة إلى دُور العلم لحفظ كتاب الله، وقد قلتَ يجب على المرأة قليل الخروج، يعني ألا تخرج إلا قليلا؟]

الجواب: أنّ الأصل أن المرأة لا تخرج من بيتها إلا لحاجة، لحاجة ماسّة، هذا الأصل من جهة الاستحباب، يعني أن لا تخرج إلا إذا احتاجت لشيء تشتريه لشيء تحتاجه في بيتها، لأمر ليس لها منه بد ونحو ذلك، هذا الأصل، قد قال جل وعلا﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[الأحزاب:٣٣]، فالقرار في البيوت هذا من خصال المرأة الصالحة في الجملة، وإذا نظرتَ إلى هذا الزمن وما فيه، فإن قرار المرأة في بيتها قد لا توافق عليه كثير من النساء، وكثير من النساء ربما إذا أكثرت المكث في البيت تولدت عندها أشياء ارتدت على العلاقة بينها وبين زوجها في البيت

بأشياء غير محمودة، فهذه يُخرَج بها بما يحصل الخير ويدفع معها الشر؛ فمثلاً إذا كان لها رغبة في حضور مجالس الخير يحضر بها إلى مجالس الخير، إذا كان لها رغبة تُدرِّس القرآن أو تدرُس القرآن يُذهب بها إلى المدرسة ويجاء بها منها، وهكذا إذن الأصل في مسألة خروج المرأة أنّ المرأة لا تخرج إلا لمصلحة؛ لمصلحة شرعية، وخروجها للمباحات هذا مختلف فيه بين أهل العلم هل هو مباح أو مكروه؟ والظاهر الكراهة في هذه؛ لأن الأصل عدم الخروج، وإذا كان الخروج ليس لمصلحة؛ يعني ليس فيه تحقيق مستحب ولا واجب، فإنه يكون مكروها، لكن إذا كان سيصد بهذا الخروج مفاسد أخر وسيحصل منه مصالح فإن خروج المرأة على ذلك يكون مشروعًا.

[هل إحضار الخادمة حسب طلب الزوجة يكون من حسن العشرة؟]

إحضار الخادمة إلى البيت لاشك أنه محفوف بمصالح ومحفوف بمخاطر أيضا، والخادمة كما قال أهل العلم: لا يجوز أن تُحضَر إلى البيت إلا إذا كان ثَم حاجة لها؛ مثل أن تكون أشياء البيت كثيرة لا تستطيع المرأة أن تقوم بها من كثرة الأولاد مثلا أو انشغالها بخدمة زوجها، الرجل مثلا مِضياف أو كثير الطلبات منها، أو نحو ذلك من الأسباب، أو امرأة مريضة فإذا كان ثم سبب يجعل المرأة يحضر لها خادم سبب شرعي فيجوز إحضار الخادمة للمرأة، وقد قال الفقهاء: إن الرجل يلزمه أن يُحضر للمرأة من يخدمها ويخدمه إذا كان من عادتها ذلك؛ يعني إذا كانت المرأة في بيت أهلها تُخدم إذا كانت في بيت أهلها معتادة على أنها لا تقوم بكل هذه الأعمال فإنه من المعروف أن يؤتى لها بمثل ما كانت عليه؛ لأنها إنما تعاشر بالمعروف يعني ما كانت تعرفه هي في بيت أهلها، وشيخ الإسلام رحمه الله تعالى ذكر أنه

مما يستفاد من قوله تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء:١٩]، يعني مما يتعارفه الناس في كل زمان تحصل العشرة بالمعروف فليست مقيدة بزمن.

والفقهاء تكلموا هل يجب على المرأة أن تخدم زوجها؟ ففقهاء الحنابلة رحمهم الله يقولون: لا، المرأة إنما هي معقود عليها للاستمتاع ليس عليها واجبا شرعيا أن تخدم زوجها؛ يعني أن تفعل له كذا، أو أن تطهو له، إلى آخره، أو أن تعمل له بيته، لكن هو أخذها للاستمتاع فهذا حظه منها.

وشيخ الإسلام ابن تيمية اختار، قال: هذا القول مرجوح والصواب أن قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء:١٩] يعم كل أنواع المعروف، فإذا كانت المرأة من المعروف عنها في بلد من البلاد، من البلدان إنما تُطلب زوجة للعشرة يعني للاستمتاع وللخدمة أيضًا، يعني تكون مع زوجها تطبخ له وتنظف له وتكون معه وترعى الأولاد إلى آخره، فإذا كان هذا من المعروف فهو داخل في قول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [البقرة:٢٢٨] فعليها هذا لأن هذا من المعروف.

وهذا القوّل هو المفتى به وهو الصحيح، فَحَصَّل من ذلك أنه إذا كان من عادة المرأة أنها تُخدم، أو أنها لا تستطيع أن تقوم بعمل البيت لسبب من الأسباب أو كثرة أولادٍ فإن للزوج أن يأتي لزوجته بمن يخدمها، هذا من جهة الحكم.

لكن وجود الخادمة في البيت له أضرار كثيرة من جهة الزوج، فعليه إذا حضرت أن يضبطها بالحجاب الشرعي عنه وعن غيره، وأن يبتعد معها عن الخَلوة، وعن الكلام فيما لا يعني، وأن ينتبه من المحاذير التي قد تكون من جهة الخادمة.

[هل اليهود يصومون يوم عاشوراء إلى يومنا هذا أم لا؟ وهل يهود هذا الزمان مختلفون عن اليهود في وقت الرسول؟]

الجواب: أن يوم عاشوراء اليوم الذي نجَّى فيه الله جل وعلا موسى عليه السلام ومن معه في توقيتهم كان قبل مجيء توقيت الهجري قبل مجيء محرم وصفر؛ لأن وقت موسى عليه السلام قبل نبينا بنحو ألف وزيادة من السنين، فيوم نجى الله موسى عليه السلام ومن معه كان التوقيت عند بني إسرائيل يختلف عن هذا، يعني التأريخ، والنبي ﷺ قدم المدينة ووجدهم يصومون ذلك اليوم؛ يصومون يوم عاشوراء، يعني بما يوافق تلك السنة، أو بما شاع عندهم في تلك السنين أنه هو اليوم الذي نجى الله فيه موسى، وموافقة التاريخ للتاريخ لا أعلمه؛ ولهذا اليهود يصومونه عندهم شكرا إذْ نجى الله جل وعلا موسى من فرعون، لكن لا يعني ذلك أن يوافق العاشر من محرم عندنا؛ لأن التاريخ غير التاريخ، وإنما جاءت المناسبة أنه جُعل العاشر من محرم؛ لأن النبي ﷺ حين قدم المدينة وجدهم يصومون ذلك اليوم، وكان يوما من تلك السنة يوافق العاشر من محرم هذا الذي يظهر لي، وإلا فإن تاريخ اليهود غير تاريخ المسلمين.

[يقول هل الدعوة إلى منهج السلف الصالح والابتعاد عن الحزبيات، مما يدعو إليه كل أحد أو العلماء فقط، وإذا كان ذلك لكل أحد فكيف يكون ذلك؟]

الدعوة إلى منهج السلف الصالح والابتعاد عن الحزبيات هذا مطلبٌ للجميع؛ لأن الواقع يدلّ على أن ضيق العمل الإسلامي وضيق الدعوة إلى الله إنما جاء من جهة الحزبيات، الحزبيات هذه تجعل المرء يتحرك في دائرة ضيقة، وأنا أذكر زمنا مرت به هذه البلاد من نحو عشرين سنة ما كان الشاب يخالط إلا شابًا، ما كان يعرف يدعو أهله بل كان إذا أتاه بعض زملائه يريد

أن يجتمع بهم ليقرؤوا في كتاب أو نحو ذلك ربما أغلق الباب، وهذا من الفهم الخاطئ للدعوة، وسببه الحزبيات، الحزبيات فيها إعطاء نفسية من بداخل تلك الجماعات نفسية الانغلاق، طبعا هذا تغيّر في الفترة الأخيرة يعني من نحو عشرة، اثنا عشر سنة، فصار هناك انفتاح على الناس في ذلك، لكن يبقى أثر الحزبيات في النفوس أنه يبقى المرء منغلقًا، يبقى المرء ضيقا، إذا أراد أن يتوجه لشيء وجد ثم من يمنعه لرؤية غيره، وهناك أشياء من الخير كثيرة يمكن أن يسلكها المرء، لكن لأجل وجود تلك الإطارات ربما حُدّ ذلك من نشاطه، فالدعوة إلى منهج السلف الصالح والابتعاد عن الحزبيات هذه عند العقلاء والمنصفين هذا مطلب عام يشترك فيه الجميع؛ لأننا وجدنا في مسيرة الدعوة في هذه البلاد أنها تسير ولله الحمد إلى وقتنا هذا وفيما نستقبل من الأيام والسنين إن شاء الله، تسير إلى التخفف من الحزبيات شيئا فشيئا، لكن التخلص من الشيء مرة واحدة هذا ليس بالسهل، لكن شيئا فشيئا ستنتهي ويكون الناس جميعًا متحابين في جماعة واحدة، كلهم يدعون إلى شيء واحد ويحكمون عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

الناس يختلفون في طرح هذه الموضوعات عليهم، ولهذا من يطرح هذه الموضوعات أحيانا يكون مصيبًا، وأحيانا يكون مخطئا؛ لأن المدعو ما حاله حتى تَطرحَ عليه موضوع جماعات أو حزبيات أو نحو ذلك، ربما لا يكون عنده فكرة أصلاً عن شيء، ليس عنده شيء من ذلك حتى تنقله إلى غيره، ومن التصور الخاطئ الذي في أذهان بعض الإخوة أن هذه الصحوة -التي تراها- الكبيرة، وهؤلاء الشباب ولله الحمد والشيب والنساء في إقبالهم على الخير، أنّ الأكثر عنده جماعة أو عنده حزب أو نحو ذلك، إما متحزب أو في جماعة أو عنده انتمى هذا ليس بصحيح، إنما الجماعات أو الانتماءات في

خضم هذا الموج ولله الحمد أو هذا الانتشار العظيم للدين قد لا يمثل عشرين في المائة، ولكن هذا التأثر العظيم، هم يتأثرون بمن حولهم، يتأثرون بمن يقول لهم، الجميع مقبل على الخير ومحب له، فمن الذي يبلغهم الخير؟ هم مع من يبلغهم، فإن بلغهم بطريقة صحيحة كانوا معه، وإن بلّغهم بطريقة غير صحيحة كانوا معه؛ لأنهم ليس عندهم من العلم ما يميزون به بين الحق والباطل، رأوا شيئًا من الفساد، ورأوا شيئًا من المخالفات وأنواع من الأشياء والمنكرات التي لا يقرها الدين ولا أهل العلم ولا يقول أحد بجواز وجودها، فيأتي من يقول لهم إن هذا منكر ولا يجوز ويثير فيه الغيرة فيقبل عليه سواء كان في حزب أو جماعة أو لم يكن كذلك.

إذن فالنظرة إلى وجود الحزبيات أو وجود الجماعات عندنا أو في العالم الإسلامي بعامة ينبغي أن تكون في إطارها الصحيح، وأن لا يُتَصوَّر أنَّ كل شخص يتكلم بكلام قد يشترك فيه مع كلام بعض الجماعات أنه يكون منهم، لا، هذه تأثرات عامة في المجتمع، والحزبيات أو أهل الانتماء والجماعات قليلون جدًّا.

وهؤلاء كيف تعرفهم؟ كيف تعرف أن هذا من الجماعة الفلانية وينتمي لها؟

لا يمكن أن يجزم على أحد بعينه إلا بشروط خاصة أن هذا فعلاً من الجماعة الفلانية، ومنتمي إلى آخره، وأكثرها ظنون، ومعلوم أن الشرعيات لا تُبنى على الظنون، وإنما تبنى على الحقائق، فمجال الدعوة أن تحذر من هذه الأمور، يعني من الحزبيات ونحو ذلك، أن تحذِّر من هو واقع فيها، وترى عنده بُعْد عن الصواب فيها، عند التعصب لجماعة من الجماعات، عنده غلو، عنده دعوة إلى أن ينتمي الناس إلى هذه الجماعة، ونحو ذلك،

دفاعٌ عنها وعن أصولها وعن مبادئها، هذا هنا يخاطب بنفسه، أمّا تخاطب العامة جميعا بمسألة ربما ما يدري وهو مش في الحالة هذه، ما يعرف جماعة أو غير جماعة، فيسبب شيء في نفسه شيء من الشكوك في الالتزام كما حصل ذلك فعلا.

إذن الكلام على هذه المسألة لا يقال الداعية يتكلم فيها بإطلاق، ولا يقال يتركها بإطلاق، بل يتكلم عنها في حدودها الشرعية، والكلام في هذه المسائل يحتاج إلى علم وحكمة وبصيرة، والشريعة -كما هو من القواعد- جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وجاءت بدرء المفاسد وتقليلها، فالكلام في هذه الأمور بما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد مطلوب؛ لأن تحقيق المصالح الشرعية أمر متفق عليه، ودرء المفاسد أمر متفق عليه، أمّا أن تحدث مصلحة ويكون معها مفاسد كثيرة فهذه، هذه لا تجوز؛ يأتي واحد وتدعوه وهو مقبل على الخير وتجعل في نفسه الكلام على فلان وفلان، وفلان أو الجماعة الفلانية والجماعة الفلانية ربما ما تَحَمَّلَ عَقْلَه ذلك فَكَرِهَ الخيرَ كلَّه.

فإذن هذه المسائل لا يُتكلَّم فيها إلا مع من كان واقعًا في تلك الانتماءات أو الجماعات رغبة في إصلاحه وإسداء الخير له بالكلام عام أيضًا وخاص.

ونرجو أن يكون هناك كلمة في أحد الدروس أو درس من الدروس في علاج هذه المسألة من جوانبها المختلفة.

[في هذا العصر كثرت وسائل الدعوة إلى الله وفي بعضها شبهة عندي مثل التمثيل والأناشيد فهل هي جائزة أم لا مع أن بعضهم قيد، (إيش ما أدري كلمة؟) قيد بعضها نجاحها خاصة مع النشء ومن يحب الخير؟]

جواب هذه المسائل مُورِست في الدعوة التي هي التمثيل والأناشيد ونحو ذلك، والأناشيد تختلف عن التمثيل، الأناشيد فيما أعلم من كلام علمائنا الذين يُصار إلى كلامهم في الفتوى أنهم على عدم جوازها؛ لأن الأناشيد أتت عن طريق - يعني في الخارج- أتت عن طريق الإخوان المسلمين، والإخوان المسلمون كان من أنواع التربية عندهم بالأناشيد، والأناشيد كانت ممارسة في الطرق الصوفية كنوع من التأثير على المريدين، فدخلت كوسيلة من الوسائل، وبحكم التجارب أو بحكم نقل الوسائل دخلت هاهنا في هذه البلاد، ومورست في عدد من الأنشطة، أفتى أهل العلم لما ظهرت هذه الظاهرة بأنها لا تجوز، قد قال الإمام أحمد في التغبير الذي أحدثه الصوفية، وهو شبيه بالأناشيد الموجودة حاليًا، قال: إنه محدث وبَدعة وإنما يراد منه- هذا كلام الإمام أحمد- الصدّ عن القرآن وكانوا يسمونه بالسماع المحمود وهو ليس بسماع محمود بل مذموم. هذا بالنسبة للأناشيد.

أما التمثيل فبحكم ما سمعت من فتاوى المشايخ فإنهم اختلفوا: فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، ومنهم من أجازه بشروط -هؤلاء علماؤنا- فمنهم من قال ممنوع بجميع أنواعه، منهم من أجازه بشروط منها أنه يشتمل على كذب ونحو ذلك، ومنهم من أجازه لأن فيه المصلحة.

فالتمثيل من جهة الحكم صار فيه اختلاف، ولكن من جهة العمل الذي ينبغي أن يُجعل الشباب على -يعني في وسائل الدعوة- أن يأتوا إلى المتفق عليه؛ لأننا في هذا الزمن نحتاج إلى الائتلاف، نحتاج إلى الاجتماع، نحتاج إلى عدم الفرقة، وأن نسعى إلى ذلك ما استطعنا، وإذا كان كذلك فإن استعمال وسائل قد يكون فيها اختلاف مثل مثلاً التمثيل؛ وهذا يحتج يقول أفتاني الشيخ فلان، وذاك يقول أمنع لأنه أفتى به الشيخ فلان، فهذا يعود في

الحقيقة تضارب بين أقوال المشايخ، نقول هذا تركه فيه مصلحة شرعية من هذه الجهة؛ لأننا إن قلنا: يمنع التمثيل فسيقول القائل أفتى الشيخ الفلاني بجوازه، وإن قلنا: يجوز سيقول القائل أفتى الشيخ الفلاني بجوازه.

فبقي التمثيل من هذه الجهة على أنه من المصلحة الشرعية المتحققة أن يُترك درءا للاختلاف ودرءا للافتراء.

مع أن كلامي أنا الذي أكرره في مسألة التمثيل والأناشيد أنها جميعا من باب واحد، وأنها لا يسوغ جعلها من وسائل الدعوة أصلاً؛ لأن في الوسائل الشرعية ما يكفي ويفي ولله الحمد.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

۞ ۞ ۞

أخلاق الداعي إلى الله

الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، نشهد أنّه بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد، وتركنا بعده عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ على طريقٍ بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده ﷺ إلا هالك.

اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد ما تتابع الليل والنهار كلّما صلى عليه المصلون وكلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون.

أما بعد:

فأسأل الله جل جلاله أن يجعلني وإياكَ ممن إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر.

وأسأله سبحانه أن يجعلني وإياك أخي من الذين يدعون إلى الله جل وعلا على بصيرة إذْ هم أولياء محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]

موضوع هذه المحاضرة: أخلاق الدَّاعي إلى الله وصفاتُه

وأخلاق الداعي إلى الله هي دينه؛ لأن الخُلق يطلق في الشريعة على شيئين:

على معنًى عام وهو الدين، فالدين كله خلق قال جل وعلا في وصف نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، وثبت في صحيح مسلم أن عائشة رضي الله عنها قالت في وصف النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: كان خلقه القرآن. يعني أنه كان قرآنا يمشي، يمتثل القرآن في عبادته، وفي توحيده، وفي خلقه، في تعامله مع نفسه، وفي تعامله مع من حوله، فهو وحي يوحى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

فهذا الإطلاق العام بمعنى الخُلق في الشريعة؛ لأن الخُلق يشمل كل أحكام الشريعة من العقيدة ومن امتثال الأمور العبادية والمعاملات والآداب إلى غير ذلك.

وهذا الإطلاق أثره ما يسمّيه الناس بالأخلاق، فإنّ الأخلاق التي يسمي الناس من تحلّى بها هذا صاحب خُلق، هذه من آثار الالتزام بالشريعة، ومن لم يكن خلقه حسنا فلم يلتزم بالشريعة؛ ولهذا ثبت في الصحيح أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ مدح ذوي الخلق الحسن فقال: «**إن من أدناكم مني منزلا يوم القيامة أحاسِنُكم أخلاقا**»، أحاسنكم أخلاقا، قال: «**إن من أدناكم مني منزلا يوم القيامة أحاسِنُكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون**» فإذن ما يسميه الناس الخلق الحسن وصاحب أخلاق، هذه من باب التمثيل، ولا يكون صاحب خلق حسن إلا إذا كان قد حكّم القرآن والسنة على نفسه، وأمّر السنة على نفسه قولاً وعملاً.

تأمير السنة على النفس ليس بالأمور الظاهرة في أمور الملبس وفي أمور الشكل العام فقط! لا؛ بل يشمل -وهو من الأمور المهمة- كل ما فيه صلة

بالآخرين، فكل ما فيه نوع من التعامل مع الناس، فإن امتثال الشريعة في ذلك من الخلق، فصاحب الخلق الحسن هو الذي يتمثّل القرآن ما استطاع في أقواله وفي أعماله على نفسه وفي أنواع تعامله مع الأفراد ومع المجتمع.

الإطلاق الثاني الذي جاء في الشريعة: أنّ صاحب الخلق الحسن هو الذي أُعطي ملكة تحلّى فيها لما يمدح من تعامله مع الناس فيما يأتي وفيما يذر، وفي هذا قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»، «اِتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»، فالخلق الحسن هذا إطلاق خاص في التعامل مع الناس في أن يكون رحيما بهم رؤوفًا بهم يأتي إليهم ما يحب أن يأتوا إليه، وهذا كما ذكرنا في النوع الأول هو الذي يفهمه الناس من إطلاق لفظ الأخلاق الحسنة.

إذا تبين ذلك فبحث أخلاق الداعي إلى الله جل وعلا وصفاته؛ بحث الخلق وما يتحلى به الموحد المؤمن صاحب السنة من الأخلاق هذا قسم ونوع وباب من أبواب عقيدة أهل السنة والجماعة.

فعقيدة أهل السنة والجماعة تشمل ثلاثة أقسام:

تشمل بيان أركان الإيمان الستة وما يتصل بذلك: الإيمان بالله؛ توحيده في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، إيمان بالملائكة بالكتب بالرسل باليوم الآخر بالقدر خيره وشره من الله تعالى وما يبحث في ذلك.

وأيضا القسم الثاني: من أقسام العقيدة -عقيدة أهل السنة والجماعة- أن يكون على نهج صحيح في أنواع التعامل مخالفًا الفرق الضالة، ولهذا بحث أهل السنة في العقيدة مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسائل طاعة الولاة وعدم الخروج على الوالي وطاعة الوالي في غير المعصية،

وبحثوا مسائل الصحابة وأمهات المؤمنين، وبحثوا مسألة المسح على الخفين، وبحثوا الحج والجهاد مع الأمراء أبرارًا كانوا أم فجارًا، وبحثوا مسائل كثيرة صارت من العقيدة؛ لأنه بها فارق السني أهل البدع.

والقسم الثالث من الاعتقاد الأخلاق:

ولهذا لو تأمل متأمل الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية لوجده قسمها هذه الأقسام الثلاثة فبين فيها أن هذه الرسالة موضوعة لبيان معتقد أهل السنة والجماعة فقال في أولها (أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة) وساق معتقدهم ثم في آخره ذكر أخلاقهم في أنفسهم وعبادتهم وذكر صفات أهل السنة والجماعة قال: وهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهم يأمرون بالصلاة ويقومون الليل ويصلون الأرحام ويأمرون بذلك ويخالقون الناس بخلق حسن، إلى آخر ما ذكر فيها من موضوعات.

إذن الكلام عن أخلاق الداعي ليس كلاما أدبيًا، ليس كلاما في الآداب، ومن رأى الفصل في هذه الثلاث في عقيدة أهل السنة والجماعة، فلم يفهم عقيدة أهل السنة والجماعة، فصاحب السنة هو الذي يمتثل هذه الثلاثة، فتجد أنّه في خلقه في دعوته ممتثلا السنة، كما أنه في أمور التعامل ممتثلاً السنة، كما أنه في أمور العقيدة ممتثل السنة.

هذا بعموم يبين أن هذا قد تماثل سنة محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، ولا شك أن القسمين الأولين من العقيدة والمنهج هذا واجب، والأخلاق منقسمة إلى ما هو واجب وما هو مستحب بحسب تفاصيلها في ذلك.

إذا تبين هذا فالكلام عن أخلاق الداعي إلى الله وصفات الداعي إلى الله

يُمكن أن يقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أخلاق الداعي إلى الله وصفاته إذا كان فردًا.

والقسم الثاني: أخلاق الداعي إلى الله وصفاته إذا كان الداعي جماعة أو مجموعة.

أما القسم الأول فنقدم له بمقدمة.

وهي أن الدعوة إلى الله تبين لبعض منكم ممن حضر بعض هذه المحاضرات أن الدعوة إلى الله مهمة، وأنها منوطة بالجميع بما يعلم؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أمر بالتبليغ فقال: «بلغوا عني ولو آية» وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داوود وغيره: «نضر الله وجه امرئ سمع منا حديثًا فبلغه كما سمعه فرب مبلّغ أوعى له من سامع».

أهمية الدعوة إلى الله وحكم الدعوة إلى الله تبين لكم في بعض هٰذه المحاضرات.

والمهم أن كل واحد منا ينبغي أن لا يُخلي نفسه من الخير، والدعوة إلى الله جل وعلا ليست أمرًا عسيرًا؛ هي أمر يسير إذا انضبط المرء فيما يدعو إليه بضوابط الشرع؛ يمكن أن تدعو المرأة في بيتها، يمكن أن يدعو الشاب في مدرسته، يمكن أن يدعو العالم، يمكن أن يدعو إمام المسجد، كلٌّ بحسب ما عنده، فهي متجزئة وليست شيئا واحدًا إما أن يأتي جميعًا أو أن يذهب جميعًا.

فسيأتي في أخلاق الداعي وصفات الداعي ما ينبغي أن يتحلى به وما يجب أن يتحلى به وكيف يدعو إلى الله سبحانه.

المقدمة الثانية بين يدي أخلاق الداعي الفرد أنَّ أصل الدعوة قائم على التعبد، والدعوة تبليغ وليست إلزامًا، والإلزام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولهذا فرق جل وعلا بين الدعوة وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في آية آل عمران، فقال سبحانه ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ففرّق ما بين الدعوة والأمر والنهي، والفرق ما بين الدعوة والداعي والمحتسب الآمر والناهي: أنّ الداعية لا يلزم، وإنما هو مبلغ إنما هو محبب مبشر.

وأما الآمر والناهي الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر المحتسب فهذا عنده سلطة من ولي الأمر يُلزم الناس بالأمر يلزم الناس بالحق.

فمثلا في الفرق بينهما:

الداعي يأتي إلى من لا يصلي ويقول له الصلاة حكمها كذا، واجبة عليك، ويرغبه بالأساليب المحببة للنفوس لعله يستجيب.

الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يأتيه أيضا أولاً بالأسلوب الحسن ويقول له: صل ما يعرض عليه فإن لم يستجب ألزمه، فإن لم يستجب عاقبه لأنه مخول بذلك.

ولهذا يفرق ما بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع المسلم ومَن يلي الحسبة من يلي الأمر والنهي، وما بين الداعي إلى الله جل وعلا، والآية فرقت بالواو والعلماء يقولون الواو تقتضي المغايرة، والمغايرة هنا مغايرة صفات لا مغايرة حقيقة؛ لأن الدعوة والأمر والنهي الجميع دعوة؛ لكن ثَمَّ مغايرة في الصفات، كما غُيِرَ وفُرِّق ما بين الكتاب والقرآن

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١]، فالكتاب والقرآن شيء واحد؛ لكن جاء العطف بالواو ليقتضي التغاير في الصفات لا في الذات، فالأمر والنهي والدعوة من حيث الذات شيء واحد؛ لكن من حيث الصفات والأحوال متغاير كما نبهتك عليه.

ندخل في الأخلاق فنقول:

الدعوة إلى الله جل وعلا عبادة وهذا أمر بيّن واضح، ما وجه كونها عبادة؟ أن الله جل وعلا أمر بها وأثاب الداعي إلى الله جل وعلا وعظّم شأنه:

فأمر سبحانه بالدعوة في قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ هذا أمر ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥].

وحضّ وبيّن عظم شأن الداعي بقوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

ومن المتقرر في الأصول: أن المسألة أو أن الشيء إذا أمر به فهو عبادة، وإذا بُين الثواب على إتيانه فهو عبادة.

إذا كانت الدعوة عبادة فلا شك أن العبادة لها شرطان لصحتها وقَبولها:

أما الأول: فهو الإخلاص.

وأما الثاني: فهو المتابعة.

الإخلاص والسنة، فمن لم يأت في الدعوة بالإخلاص وبالسنة فإنه لم يأت بالعبادة على وجهها الصحيح؛ بل هي غير مقبولة منه؛ ولهذا ما قُبلت دعوة الخوارج، ولا قُبلت دعوة الضالين؛ لأنهم دعوا قد يكونون مخلصين

لله دعوا، يرغبون ما عند الله، لا يرجون الخلق، ولكنهم لم يتابعوا السنة فصاروا مأزورين غير مأجورين؛ بل جعل النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ الخوارج كلاب أهل النار فقال في وصفهم: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاور حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم لمن قتلهم أجرًا عند الله جل وعلا**» وهم يدعون ويجاهدون، ويخلصون؛ يعني يرون أن فعلهم هذا يقرب إلى الله ولم يعبؤوا بالخلق لكنهم ما تابعوا السنة، كانوا على خلاف طريقة السلف طريقة الصحابة رضوان الله عليهم فصار عملهم مردودًا عليهم.

الإخلاص في الدعوة في الفرد:

كيف يكون أحدنا مخلصًا في الدعوة إلى الله؟ ضابط الإخلاص العام يعني الذي يكون في جميع العبادات أن يَقصد وجه الله جل وعلا بالعمل وأن لا يقصد غيره كما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**» فالقصد وجه الله جل وعلا بالأعمال والأقوال، فمن قصد وجه الله وحده يريد ما عنده فهذا عنده الإخلاص العام.

وضابط الإخلاص الخاص في الدعوة؛ لأن الإخلاص هناك إخلاص عام يشمل كل المسائل، وفي كل مسألة ضابط للإخلاص خاص يميزها عن غيرها.

نقول: ضابط الإخلاص في طلب العلم أن ينوي رفع الجهل عن نفسه، فمن طلب العلم سواء في المساجد أو في الجامعات أو في أي مكان أو استمع إلى دروس ينوي بذلك رفع الجهل عن نفسه، هذا ضابط خاص، مع النية العامة في الإخلاص وهو يقصد بذلك التقرب إلى الله جل وعلا.

كذلك في الدعوة مع نيته التقرب إلى الله جل وعلا وحده دونما سواه، ضابط الإخلاص في الدعوة أن ينوي دِلالة الخلق إلى ربهم جل وعلا، وأن لا يكون مترفِّعًا بينهم، كما قال جل وعلا ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[يوسف:١٠٨] قال إمام الدعوة في مسائل كتاب التوحيد في قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ تنبيه على الإخلاص لأن -هذا معنى كلامه- لأن كثيرين، أو لأن هناك من يدعو إلى الله وهو يدعو إلى نفسه أو إلى شيخه؛ يعني أن الداعي إلى الله يريد بدعوته أن يُقَرِّب الخلق إلى ربهم أن يجعل هذا العبد الذي أمامه عبدًا حقيقيًّا لله جل وعلا، أن يدله ليكون قلبه ذليلا لربه جل وعلا، هذا يكون مخلصًا، أما إذا دله ليترفع هو ليشتهر هو ليظهر هو، أو دعا ليكون منتسبًا إلى فلان فهذا خلاف الإخلاص، وما أكثر من يقع في هذا وهو لا يشعر.

وهذا إذا طرأ على النفس فواجب أن ينطرح العبد بين يدي ربه يسأله أن يكون مخلصًا في أقواله وأعماله. هذا الإخلاص.

أما الثاني: فهو السنة؛ يعني الدعوة أهم الأخلاق والصفات في الداعي أن يكون في عبادته بالدعوة مخلصًا على سنة، أما على سنة؛ فأن لا يدعو إلى شيء يخالف السنة، وأن يكون في دعوته متّبعًا طريقة السلف الصالح؛ يعني أنّه إذا دعا إلى الله جل وعلا يدعو إلى ما يعلم -ويأتينا صفة العلم-، يدعو إلى السنة، يدعو إلى أن يكون من دعي تبعًا لمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، ما يدعو لأهواء لفرق، ما يدعو لآراء يدعو إلى شيء يعلمه من الكتاب والسنة واضح بين جلي، وإذا اشتبهت الأمور فخذ بالمتيقن، إياك والأمور المشتبهة؛ لأن المرء إذا دخل في الدعوة في أمور مشتبهة ربما حبط عمله وهو لا يشعر، فإنه لا يكون على سنة، وقد جاء في حديث أبي ثعلبة

وهو حديث حسن عند طائفة من العلماء قال فيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وهو حديث طويل: «**حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا ودنيا مغترة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر**» إلى آخر الحديث، وجاء في الحديث أيضًا أنه قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ حينما سئل: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**نعم**» يعني في آخر الزمان، وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم وفيه دخن**» قال: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديي ويستنون بغير سنتي تعرف منهم وتنكر**» فقوله: «**يهدون**» يعني يدعون، «**يهدون بغير هديي تعرف منهم**» يعني عندهم أشياء صواب موافقة للسنة «**وتنكر**» وعندهم أشياء مخالفة للسنة، قال: فما تأمرني؟ يعني إذا وجدت هؤلاء قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» قال: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك**».

إذن فالسنة في الدعوة من أهم المهمات، وأن لا يكون المرء في دعوته يسير حسب هواه -وهذا سيأتي في الصفات- أن لا يسير حسب هواه، فالاتباع والإخلاص أن يكون محكمًا على نفسه هذا الشرط -شرط الإخلاص ومتابعة السنة- حتى يكون عمله مقبولاً.

الخلق الثاني والصفة الثانية للفرد العلم، فليس ثم دعوة بلا علم، ومعلوم أن العلم يتجزأ، العلم واسع، العلم الشرعي واسع، فالعلم يتجزأ.

فإذن الدعوة تتجزأ، قال جل وعلا ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[يوسف:١٠٨]، قال العلماء: البصيرة العلم. وسُمي العلم بصيرة لأن العلم للقلب كالبصر للعين، العلم يبين لك الطرق ما تشتبه عليك، إذا

اشتبهت على الجاهل أو على العامي أما على طالب العلم أو العالم مهما اشتبهت مهما جاءت الفتن تكون واضحة أمامه؛ لأن العلم بتوفيق الله جل وعلا يبين لك الطريق.

إذن العلم هو البصيرة، والعلم متجزئ؛ فإذن الدعوة تكون متجزئة.

مثلا أنت علمت مسألة من مسائل التوحيد، وجوب التوحيد، وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، رد الشرك بأنواعه، رد عبادة الأولياء والقبور والأوثان، وعلمت وجوب تحكيم شرع الله، وعلمت وجوب وصف الله جل وعلا بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ، تدعو إلى هذا الأصل الذي علمته وتيقنته.

تأتي في أمر الصلاة واحد ما علم هذا بوضوح؛ لكن يعلم أن الصلاة واجبة، وأن الصلاة حيث ينادى بها واجبة.

فإذن يدعو إلى ذلك؛ لأنه علمه، ما يقول: أنا لست بعالم ما أدع، لأ تدعو يعني تحبب تتلو الحديث الذي فيه، تتلو الآية التي فيها الحض على ذلك وهكذا، في أمر الزكاة إذا علمت كذلك، في أمر الصيام في أمر المبايعات في أمر الأخلاق في الاجتماعات إلى آخره، فكل من عنده علم فله أن يدعو إلى ما علمه، علمه يعني بيقين، علمه بنص من كتاب أو سنة ووضّح له هذا وأبانه عالم من العلماء حتى لا يكون النص منسوخًا أو مقيدًا أو مخصوصًا إلى آخر ذلك.

إذن فالعلم لابد منه فمن لم يعلم شيئًا لا تتكلم اللسان يهوي بك في جهنم، فتدعو إلى شيء لا تعلمه، هكذا بالرأي، الدعوى بالرأي، لأ، الدعوة بالأهواء لأ الدعوة خلافة لمحمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، فإن

محمدًا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وإخوانه من الأنبياء ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

والدعوة كون على بصيرة ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[يوسف:١٠٨].

فإذن هذه المسألة مهمة، مهمة للغاية وهو أنك تدعو وتنطلق بالدعوة؛ لكن إلى ما علمت الشيء الذي لا تعلمه لا تدعو إليه، ولا تنهى أيضًا عن شيء لا تعلم حكمه فقد تنهى عن شيء ويشتهر وينتشر أنه منهي عنه وهو في الواقع في الشريعة غير منهي عنه، قد تقول هو محرم وهو ليس بمحرم وهو مكروه، قد تقول هو واجب وهو ليس بواجب مستحب.

ولهذا حبذا إذا دعا الداعي في المسائل التي يدعو إليها ولم يكن طالب علم متمكن أن يجتنب الألفاظ الفقهية المحددة، ما يقول واجب مستحب محرم مكروه؛ لأن هذا قد لا يكون مصيبًا فيها فيقول على الله جل وعلا بلا علم، وربنا سبحانه حرم القول عليه بلا علم، وإنما يقول: أمر الله بكذا، نهى الله عن كذا، أمرنا نبينا ﷺ بكذا، نهى عن كذا. قال لك: واجب، تقول أمر ومن امتثل الأمر فهو الممتثل.

وهذه مهمة في حال الداعية وفي حال طالب العلم؛ لأنه تأتي أحيانا أمور مشكلة عنده وهو يتكلم بالدعوة؛ هل يقول: واجب، يحرجه السائل هو واجب والَّى غير واجب؟ فتقول أمر نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بذلك.

فإذن مسألة العلم مهمة في خلق الداعي وفي صفته، لا دعوة بلا علم، ولذلك الدعوة الفردية دعوة الفرد إذا لم تكن على علم -وكذلك الجماعية فيما سيأتي مع اختلاف في الضوابط- الدعوة الفردية بلا علم ليست دعوة،

وإنما هي إضلال، فلابد أن يكون المرء عنده علم، ولو كل واحد منا اقتصر على ما علم انتشر خير كثير؛ لأن كل واحد منا ولله الحمد عنده من العلم ما يسعه بأن يدعو إليه.

إذا تبين ذلك فازدياد المرء في العلم به ازدياده في الدعوة، كلما ازددت في العلم ازددت في الدعوة على بصيرة، وكلما نقص العلم نقصت الدعوة على بصيرة.

الخلق والوصف الثالث من صفات الداعي إلى الله أن يكون الداعي إلى الله جل وعلا حكيمًا.

والحكمة يعرفها أهل العلم بأنها: وضع الشيء في مواضعه اللائقة به الموافقة للغايات المحمودة منه.

وضع الشيء في موضعه هذا عدل، وضع الشيء في غير موضعه هذا ظلم.

أما الحكمة غير العدل، الحكمة أن تضع الشيء في موضعه اللائق به الموافق للغايات المحمودة منه، فقد ينظر المرء في الدعوة إلى أنه يضع الشيء في موضعه الآني الحالي؛ لكنه لا يوافق الغاية المحمودة، فلا يكون حكيمًا في الدعوة، والله جل وعلا جعل نبيه داعيًا إلى الله، ولهذا أنزل عليه الكتاب والحكمة، والحكمة هي السنة؛ لأن السنة هي التي فيها وضع الأشياء في مواضعها الموافقة للغايات المحمودة منها.

إذا اجتهد المرء في الدعوة فلابد أن ينظر؛ يعني مثلاً في الحكمة في تطبيق التعريف العام ثم نأتي إلى التطبيقات الفردية.

مثلا يأتي في مسألة وينظر هل يدعو إلى هذا الشيء أو لا يدعو؟ إذا دعوت إلى هذا الشيء المعين ماذا سينتج منه، فإذا كان سينتج منه خير فإن

الحكمة أن تدعوه، إذا كنت ستدعو لكن سينتج منه شر فإن الحكمة أن لا تدعوه لذلك.

مثاله أن تأتي في مجلس مثلا، ويأتي آت ويتكلم بكلام غير طيب؛ لكن لو رددت عليه لانتقل منه إلى ما هو أشد، بعض الناس ما يسلم لك في الدعوة، أليس كذلك؟ ما يسلم، أنت تظن أنك بتقنعه لأ ما يقتنع هو يزيد، فإذا كان سيزيد فالحكمة الصمت، ولا يقال فلان صمت لأنه صمت عن حكمة؛ لأنه يخشى أن المرء ذاك ينتقل من هذا الذيهو فيه، الذي هو أدنى من الشر إلى ما هو أعلى منه، فلهذا ربنا جل وعلا نهى عن سب آلهة المشركين مع أن سب الأوثان قربة إلى الله جل وعلا؛ لكن نهى عن سب آلهة المشركين بحضرة من يعبد تلك الآلهة لم؟ لأجل أن لا يسبوا الله جل وعلا، هذه الحكمة ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام: ١٠٨]، نعم قد يكون في موضع الحكمة أن تسكت، واحد يقول: فلان سكت، نعم سكت عن حكمة.

ولهذا وصف عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ورضي عنه وصف الصحابة بوصف عظيم فقال في وصف الصحابة: عليك بهديهم فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا؛ يعني على علم وقفوا فيما دعوا إليه وفيما عملوه، (وببصر نافذ كفوا) فيما كفوا عنه ما كفوا عنه عجزًا؛ لكن حكمة، ولهذا يختلف الشاب عن الشيخ عن الكبير يختلف الجاهل عن العالم في أمر الحكمة وفي معطياتها، من لم يكن حكيمًا فلا يصلح للدعوة؛ لأنه ربما أفسد وربما نقل الأمور إلى ما لا يحمد.

فإذن من أخلاق الداعي ومن صفاته الحكمة، وكما ذكرت لكم الحكمة لابد فيها من الموافقة للغايات المحمودة.

هذا كما ذكرت لك مثال عام عن الحكمة.

نأخذ مثالاً تطبيقيًا تأتي مثلاً إلى شخص، مثلاً تدعو إلى الله جل وعلا فيه شاب عندك أخٌ لك أو قريب أو نحو ذلك، أتيته مثلاً وهو ينظر إلى أشياء عنده في البيت مما لا ينبغي النظر إليه أو مما لا يجوز النظر إليه، أنت الآن تدعوه إلى شيء وتأمره وستحضه على شيء، هنا لابد أن تنظر في فعلك هذا إلى شيء سينتقل، فإذا كان والله تقول: والله هذه أشياء ما تصلح، ويبخرج من البيت وسيذهب مع أصحابه إلى كبيرة من الكبائر، هل يناسب أن تدعوه في هذا الموقع، هل يناسب أن تنهاه في هذا الموقع؟ لا، لأن ما به من الشر أقل مما تتوقع أن سيذهب إليه؛ لكن لو أخذته هيا بنا نزور أحد في زيارة صلة رحم، نذهب إلى المسجد، نتلو القرآن، أو عمل صالح، أو في نزهة مباحة، هذا أمر طيب لأنه انتقل مما هو أدنى إلى ما هو أعلى، وهذه يقدرها الداعي إلى الله جل وعلا بتقديرها.

ولهذا القصة المشهورة عن شيخ الإسلام ابن تيمية المعروفة أنه أتى قومًا هو وأصحابه، أنه هو وأصحابه رحمهم الله أتوا على قوم من التتار وهم يشربون الخمر في الشارع، فقال بعض أصحاب شيخ الإسلام له: هيا بنا نريق الخمور وننكر عليهم، فقال شيخ الإسلام: لا دعوهم فإنهم لو صحوا لسفكوا دماء المسلمين.

فإذن كونهم يقعون دائما سكرانين أحسن مما يصحون ويروحون يذبحون في المسلمين أو يتعرضون لأموالهم أو لأعراضهم.

هذه حكمة من الداعي.

كذلك في مخالطة المرء في تطبيقات الحكمة مع والده كثير من الإخوان والشباب لا يحسن دعوة والديه، مع والده لا يطبق قول الله جل وعلا ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، ما يحسن، يأتي كأنه أعلى من والديه، لأ، كذلك مع أهلك ما يحسن ترقية الأهل من شيء إلى شيء، ما يحسن تحبيب الخير إليهم، لابد في الدعوة من حكمة أن تنظر في الدعوة إلى الغاية المحمودة منه، ليس كل من يدعو في كل مكان هو الحكيم، لأ، قد يكون في مكان تؤخر الدعوة ولا يقال شيء، يكتفى بالخلق الحسن، يكتفى بالتودد بالتراحم بالصلة، ويكون هذا فيه رسالة وفيه دعوة.

إذن الداعي إلى الله جل وعلا بعد الإخلاص والعلم لابد أن يكون حكيمًا، فإذا كان حكيمًا كان على هدى وخير.

الصفة الرابعة -الخلق والصفات كما ذكرنا بالمعنى العام شيء واحد- الخلق الرابع والصفة الرابعة في الداعية المفرد أن يكون الداعية إلى الله جل وعلا متنزها عن الهوى.

والهوى مركب لذيذ، مركب لذيذ، إذا سرى الهوى يحسن ويأتي الشيطان ويحسّن للعبد أن يركب الهوى، فمعنى الهوى؟ يعني ما تشتهيه دون نظر في حكم الشرع فيه، تهوى هذا الشيء فتفعله، الداعية إذا كان صاحب هوى فإنه لا يصلح للدعوة هو يفسد أكثر مما يصلح، كيف يكون صاحب هوى؟ يعني أنه لا ينظر في الحكم الشرعي في فعله؛ بل ما بدا له من الحسن في أمور الدعوة يدعو إليه وما بدا إليه من السوء يتركه، بحسب المصالح التي يقدرها بحسب رأيه الخاص دون عرض على الشريعة، ولذلك كل صاحب هوى فهو مفسد في الدعوة، والدعوة لا تصلح مع الهوى؛ لأن الدعوة تعبد، والتعبد رفع لداعية الهوى، والهوى عكس ذلك إبقاء لداعية الهوى.

خذ أمثلة على الهوى الذي يأتي في حال الدعوة:

وأنت تدعو في حال الدعوة أنت تكلم بشر، تحتاج إلى إقناع، تحتاج إلى حوار، تحتاج إلى آلات تدعو بها، قد يأتي وأنت تحاور ذلك يرد عليك، فإذا رد عليك أو عاملك معاملة غير حسنة، قد يكون من في بيتك؛ قد يكون ابنك، وقد يكون والديك، وقد يكون زوجك، وقد يكون ابنك إلى آخره، هنا تأتي هل تنتصر للشرع أو تنتصر للهوى؟ فإن خلطت بينهما صارت المسألة هوى، صارت المسألة هوى.

ولهذا خذ من أمثلة الإخلاص والتنزه عن الهوى في الأمور قصة تنشّط للحافظ ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد بن رجب زين الدين رحمه الله كانوا يقرؤون عليه، فمرت بهم مسألة ففصل فيها الكلام، وذكر كلام العلماء ورجح وأصل وفصل بكلام بديع حسن سرَّ به طلابه وتلامذته، قال أحد تلامذته: فذهبنا مع شيخنا إلى فلان القاضي وطُرحت المسألة، فسكت شيخنا ولم يتكلم فيها أولئك بكلام حسن، ولم يفدهم شيخنا بما أفادنا، وكان بودنا لو أن تكلّم -يعني من رغبة الطالب ومحبته لشيخه أن لو تكلم حتى يظهر فضله على غيره- فلما انصرفنا قلنا له يا شيخنا: فصلت لنا في المسألة صباحًا، ولما كان في المجلس وعرضت لم تتكلم؟ فقال: أما مجلسنا في الدرس فذاك يراد به وجه الله، وأما ذلك المقام مع العلماء فذاك يراد به الذكر، وأخشى أن يغلبني الهوى، هذه من يتخلّص منها، تحتاج إلى، إلى قصر النفس على حكم الشرع، ولهذا كثير من الناس ما يقصر نفسه على حكم الشرع عنده علم لكن ما يستائل.....

إلا في هذا العصر، وأما قبل ذلك فلا توجد جماعة بالمعنى الحاضر بل توجد مجموعات وفرق ما بين الجماعة وما بين المجموعات هذا من حيث الحدوث إذن هي حادثة وليس لها مثيل في السابق.

المقدمة الثانية: أن الجماعات المعاصرة اتّخذت في دعوتها أشياء محدثة أيضًا، ومنها وهو أهمها التحزب.

والتحزب ما معناه؟ معناه أن يكون ثَمَّ ولاء وبراء، محبة وبغض على مبادئ الحزب، مبادئ الجماعة، كيف؟ يعني تأتي مثلاً جماعة من الجماعات من وافقها في أقوالها فهو الحبيب الذي تعطى له حقوق المسلم، ومن خالفها فهو عدوها، هذا مظهر حزبي مخالف للسنة وللشرع حينما قال جل وعلا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ في وصف الإيمان ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[التوبة: ٧١]، فالمؤمن للمؤمن ولي ينصره بالحق ويواليه بالحق، وإذا جاء غير الحق فهو ضده.

جاء رجل إلى أحد السلف -أحد أئمة السلف من القرن الثاني أظنه عبد الرحمن بن مهدي أو وكيع- فقيل له: يا فلان إنّك تقع في أناس، إنك تقع في أناس بكلام عسير وتحذّر الناس منهم، فكيف يكون هذا، والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ نهى عن الغيبة أو كما جاء -لا أحفظ الآن الكلام بحروفه المقصود المعنى- فقال -وهذا الكلام أحفظه الأخير- فقال: يا هذا إني لهم أعظم من آبائهم وأمهاتهم، ألم تر كيف أحذّر الناس منهم حتى لا تجتمع عليهم أوزار الناس ومن تبعوهم فتكثر أوزارهم. فانظر النية الصالحة أيضا في الرد هنا جاء قال أنا أرد ليش؟ لأنه لو تركت المسألة الآن بتزداد عليهم الأوزار، هذه نظرة محبة ليست نظرة حزبية؛ لكن يأتي النظرة الحزبية في مثل هذه الأشياء تقول فلان لابد يسقط هذه نظرة حزبية، يسقط فلان ويرتفع فلان إلى آخره، هذه النظرة غير شرعية، هنا هذا نظر، هذا الإمام نظرة شرعية من محبته ومن خوفه على المؤمن بمقتضى الولاية العامة؛ فحذّر، فحذر عبادة؛ لكن دافعه للتحذير أن لا يتبع هذا الذي خالف الحق هناك فتعظم عليه

الأوزار؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ قال: «ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه».

هذه مقدمات.

إذن الحزبية لها مظاهر، من مظاهرها -كما ذكرتُ لك- أيش؟ الموالاة والمعاداة على الحزب ليس على الدين، ليس على الديانة، على الحزب، وافق: فلان اتركه، فلان من الإخوة، فلان ما هو من الإخوان، وفلان من الإخوان وفلان ما هو من الإخوان، وهذا مسلم في قلبه التوحيد، في قلبه عبادة الله وحده لا شريك له، في قلبه محبة الله جل وعلا ومحبة رسوله ﷺ، كيف بأي حجة تبغضه؟! لأنه ليس منتميًا أو ليس داخل الحزب أو ليس مع الجماعة أو لأنه يخالفك؟ لأ، هذا مظهر حزبي لذلك أهل العلم الرّاسخون فيه الصالحون لا يرضون بمثل هذه المظاهر.

من مظاهر الحزبية التي تكون في الجماعات المعاصرة، أنّ الجماعات تقوم على الطاعة، والشريعة في العمل الدعوي الجماعي لم تأتِ بالطاعة؛ لأن الطاعة للإمام وإنما أتت بالتطاوع كما ثبت في صحيح البخاري وغيره أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ حينما بعث عليا إلى اليمن قال له، عليه الصلاة و السلام قال لهما: «**تطاوعا ولا تختلفا وبشرا ولا تنفرا**» لاحظ كلمة «**تطاوعا**» يعني يطيع بعضكم بعضًا؛ لكن الطاعة العامة للأمير الطاعة العامة للإمام؛ لكن التطاوع في الدعوة هذا مشروع.

فإذن المظهر الحزبي أن ثم طاعة ثم أمير يطايع أو لا يطايع، يطاع، يأتي هذا ويقول: انتظر حتى يأتينا توجيه، هذه أمور دعوة الآن ننتقل ونحضر درس علم حتى مر بعض الشباب يكلمه حتى في حضور درس علم، في

صحيح البخاري أو في تفسير ابن كثير في مسجد لابد أن يكون هناك استئذان هذا أمر غير شرعي، هذا مظهر من مظاهر الحزبية التي لا تقر.

في الدعوة إلى الله في الجماعات، الجماعات -كما قلنا- إذا كانت جماعة بمظهر حزبي فلا تقر؛ لأنها مخالفة للأصول الشرعية ومحدثة، وأُنشأت مضاهاة للجماعات العاملة في الحزب الشيوعي ونحو ذلك كما هو معروف في تاريخ نشأة الجماعات في العصر الحاضر؛ لكن المشروع ما هو؟ المشروع أن يكون هناك تعاون على البر والتقوى، عندنا أصول شرعية، معلوم أنّ الزمن هذا وأن الناس كثروا يتعقّد الزمن ويكثر؛ فلابد من تعاون، لابد من ترتيب، لابد من نظام في الدعوة، لابد من اختصاصات حتى يخدم كل واحد في مجاله الذي ينفع به وينفع فيه.

فإذن نقول: الدعوة إذا كانت على شكل مجموعات تتعاون على البر والتقوى، فهذا طيب؛ لكن لا يكون لها مظاهر حزبية مما ذكرنا.

أخلاق الأخلاق والصفات كما ذكرنا سابقاً قلنا:

أولا: الإخلاص: الإخلاص في حق الجماعات كيف يكون؟ أو بحق المجموعات إذا عبرنا بالجماعة، يعني الجماعة التي هي مجموعة، أما الجماعة التي هي حزبية فإن هذه الأشياء لا تنطبق عليها أصلاً؛ لأنها مخالفة للتحزب يخالف كل الآداب والشرائط الشرعية.

أولا الإخلاص: الإخلاص أن تكون الدعوة كما ذكرنا إلى الله، لا إلى المجموعة ولا إلى الطريقة، يأتي فلان هُدِي إلى الله جل وعلا، اهتدى ودُعي، وتكون الدعوة إلى الحق سواءً كان معك أو مع غيرك من أهل الحق، المسألة واحدة، المقصود أن يكون مستقيمًا على شرع الله جل وعلا، أن

يكون متعبدًا لله ﷻ معي مع غيري مع فلان، درسي يحضره خمسة ودرس فلان يحضره آلاف المسألة واحدة المهم أن يعبد الخَلق لربهم جل وعلا هذا المقصود.

فإذن من علامات الإخلاص أو من آثار الإخلاص في الدعوة الجماعية التي يُتعاون بها على البر والتقوى أنْ لا يَحزن بأن يكون المرء معه أو مع غيره من أهل الحق، قد لا يكون من أهل الباطل أما إذا كان سينصرف لأهل الباطل فيجب عليه أن يرده إلى أهل الحق.

الإخلاص: وهو الخلق الأول الواجب في حق الدعوة التي يتعاون أصحابها فيها على البر والتقوى أن يكون المراد من الدعوة هداية الفرد إلى الله جل وعلا، وأن لا يكون المقصود ربط الشخص ربط المدعو في هذه المجموعة؛ لأن ربط الأفراد بالمجموعات، هذه تُنشئ جماعات، فنقع في الأمور الحزبية المنكرة التي لا تقر شرعًا.

فإذن الإخلاص: أن يقصد المرء وأن يُجاهد نفسه في أن يكون في دعوته للأفراد وربطهم بهذه المجموعة لأجل هدايتهم، لا لأجل الربط التبعي، لاشك أن الفرد لا يمكن في الغالب في هذا الزمان أن يستقيم إلا بأن يوجد في فئة صالحة، إذا وجد في فئة صالحة أمكنه أن ينظر للاستقامة من واقع عملي، فإذا كان هذا المقصود فلا بأس هذا أمر طيب، والوسائل وسائل المشروع مشروعة، والأحكام لها، والوسائل لها أحكام المقاصد.

منافاة الإخلاص: أن يقصد بالدعوة أن تكثر المجموعة، أن تزيد، أن يكون الربط بفلان وفلان، ونحو ذلك، فهذا كما ذكرت ينشئ جماعات، ولهذا قدمت لك قول الإمام الدعوة في مسائل كتاب التوحيد: إن الداعي إلى

الله جل وعلا المخلص لا يدعو إلى نفسه ولا إلى شيخه؛ بل يدعو إلى الله مطلقًا، إلى الله بتعبيد الخلق إلى ربهم جل وعلا.

أما السنة، السنة، الإخلاص والسنة في الدعوة التي يتعاون فيها أصحابها على البر والتقوى كيف يتعاونون؟ مثلا أهل الحي، أهل المسجد، أهل مكتب مأذون به ونحو ذلك يتعاونون على دعوة للإصلاح وللخير، وهذا أمر مطلوب مجموعة من طلبة العلم في مكان من الأمكنة يجتمعون يرتبون أمرهم بدروس بدعوة بزيارات ونحو ذلك هذه كلها أمور محمودة إذا كانت لا على وجه الجماعة والتنظيم الحزبي.

نقول السنة، كيف تكون السنة؟ ذكرنا أن الجماعات الضالة ضلت ودعت إلى خلاف السنة، وصارت شرًّا من شر المسلمين، مثل ما ذكرنا الخوارج وغيره، كيف كان ذلك؟ لأنهم دعوا إلى غير السنة، كيف نشأ ذلك؟ دعوا إلى غير السنة، كيف بدأت الدعوة إلى غير السنة؟ تبدأ في المجموعات بالتساهل، وهذا شيء رأيناه فيما مر علينا من الزمن في العشرين سنة الماضية رأيناه أو في الخمس والعشرين سنة الماضية رأيناه في مجموعات كانت صالحة وبدأت صالحة ثم تساهلوا مع الذي يخالف السنة بينهم يخالف السنة في الكلام؛ يعني يقع في العلماء، يقع في الأمور السياسية بلا ضوابط شرعية، إذا سمع سبة نشرها دون تثبت، يأتي يربي إذن على غير السنة، يربي على قيل وقال، صارت المجموعات بدل أن تكون داعية إلى الله جل وعلا على بصيرة وعلى إخلاص وعلى سنة تحولت إلى أهداف أخر في أصحابها، تحولت على السنة، وهذا صار بالتساهل، ولو أن المجموعة أخذوا على يد المخطئ من أول الأمر وقالوا الحق كذا لا تخالف، ونصحوه ووعظوه من أول يوم، لما زاد الشر؛ لكن يتساهل ويبحث وإلى آخره وتزيد الأمور تزيد

حتى تكون أشياء غير محمودة، هذا لاشك يخالف المتابعة؛ لأن التابعة العامة للسنة يعني لمنهج السلف الصالح في أن لا يخرج المرء في المجموعة عن عقيدة، عقيدة السلف الصالح عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة الطائفة المنصورة والفرقة الناجية هذا أمر مقصود شرعًا، أما أن تكون المجموعة مجموعة تدعو إلى الله ثم يحدث بينها افتتان فتضل المجموعة، أو يحصل بينها نزاع في مسائل اتباع طريقة السلف الصالح والعقيدة الصحيحة، لاشك أن هذا يحدث مفاسد كثيرة كما رأينا.

إذن من أول الأمر ينتبه للسنة، السنة يبدأ واحد قد يكون لسانه جيدًا وقد يكون عنده ثقافة عصرية ثقافة سياسية فيعلل بأشياء غير جيدة، مثلا أنا كنت في بلد من البلاد من أمريكا أحد الإخوة من أحد البلاد العربية ذكر شيئا قلت هذا يعني ما عليه إثبات، قال أنا آتيك بالإثبات، وأتاني بملف مقالات في مجلات، هل هذا دليل؟ لا، نحن تعلمنا في منهج أهل السنة والجماعة أن وضع الأدلة والبرهان كيف يكون، البرهان العاطفي ليس برهانا شرعيًا، البرهان العقلي ليس برهانا شرعيًا لابد يكون برهان شرعي تأتيني بقول فلان وفلان لما نشر في المجلات وهم لم يطلعوا إنما سمعوا هذه ليست براهين.

فإذن تمشي مثل هذه الأشياء على مجموعات وتصير ثقافة في المجموعة ثم ينشأ عن المجموعة جماعة ثم تبدأ تتحزب ثم نخرج إلى شيء آخر.

لهذا تجد بعض الجماعات الإسلامية في بعض البلاد كانت واحدة وأصبحت مائة أو أصبحت أكثر ليش؟ لأن المجموعات الصغيرة الأسر الصغيرة بدأ فيها الأقوال، حتى أصحاب تلك الجماعات يقولون لابد من وأد الأقوال هذه والجيوب في مهدها ونحن نقول نعم لابد من وأدها في مهدها لكن على منهج السلف الصالح، ليس وأد من أجل بقاء الجماعة

العامة يعني الجماعة الحزبية لا أن توأد في مهدها لأجل أن لا يخرج أصحاب هذا القول بأقوال جديدة وبأفكار.

الآن كم عندنا من فكرة؟ كم عندنا من طرح؟ عندنا عشرات الطروح الجماعة الفلانية في البلد مجموعات عشرة خمسة عشرة، ثم بعد ذلك يبدؤون يزيدون يصيرون خمسين، يبدؤون بفعل شيء يتحدث عنه الناس، ربما تحدث عنه العالَم، كيف بدأ ذلك لابد من علاج.

إذن فالمسؤول الأول هي المجموعة الأولى، وعليها التبعة في أن لا يخرج من بينها من يخالف النهج الصحيح، وعليهم حساب أمام الله جل وعلا، ورأينا المخالف؛ لأن بداية الأمر إذا كان سهلة تتوسع، ثم بعد ذلك يكون وقع في أمور كثيرة وهم ينقدون ذلك طيب لماذا تساهلتم من البداية؟ كيف نحل الأمر بعد ما توسع، وهكذا في أشياء كبيرة.

إذن فمتابعة السنة نهج السلف الصالح العقيدة الصالحة لابد منها.

الثاني العلم: والمجموعات لابد أن تربي أصحابها على العلم؛ لأن كما ذكرنا لا دعوة إلا بعلم، كيف يدعو إلى غير علم؟!، يكون شاب مستقيم يدعو ويتنقل وحريص وهو غير فاقه لكلام الله جل وعلا وكلام رسوله ﷺ لا يصلح لذلك، وقد قدمنا ما يكفيه في هذا.

المسألة الثالثة الحكمة: إذا كان الفرد يجب أن يكون حكيما فحكمة المجموعة أولى، أولى لماذا؟ لأن المجموعة أثرها أعظم، فإذا فقدت المجموعة الحكمة لم تكن الغائلة على فرد، وإنما يقال هذا الشباب ويكونون مخطئين؛ لكن الخطأ نسب لجميع الشباب لجميع الدعوة، وهذا لا ينبغي، طبعا يجب أن نعرف جميعًا أن بعض الناس يظن أن الشباب الإسلامي الآن

أنه الموجود الآن والالتزام بالشّرع أنه نِتاج الجماعات الحزبية؟ لا هذا غلط، الجماعات التي دعت لم تنتج هؤلاء الشباب الصحوة التي تسمى صحوة -مع مؤاخذة في اللفظ وكما ذكرنا الصحوة تحتاج إلى صحوة- الصحوة هذه أو الشباب الملتزم أعظم من الجماعات، أوسع، فلا يصلح أيضا أن يصنف الشخص يقال: هذا تبع الجماعة الفلانية، الصحوة والشباب أوسع من الجماعات الثلاث والأربع أو الخمس الموجودة، أوسع وأوسع وأوسع.

ولهذا في هذا الوقت رأينا ورأى كل محب للدعوة وكل متفاني فيها وكل راغب في أن يعلو منار الإسلام وأن تعلو راية الإسلام، يرى في نفسه لزاما أن يكون مع هؤلاء الدعاة ومع هؤلاء الشباب فيما يصلحهم وفما يقوي راية الإسلام والمسلمين، لا فيما يضادهم ولكن فيما يصلحهم؛ لأن الشباب لا يعرفون هذه الأسماء والجماعات، وإنما هذه فئة قليلة ضمن الصحوة التي تسمى صحوة والالتزام والشباب العام هذا أكبر بكثير وإذا كان أكبر بكثير في البلاد الأخرى فهو أكبر بكثير وكثير وكثير في البلاد في بلادنا هذه؛ بل ربما تلاشت الأطر الحزبية إن شاء الله تعالى.

إذن فنقول: هذه مسألة مهمة لأن الحكمة لابد منها، وكل مجموعة لابد أن تنظر أن الحكمة في تصرفاتها أن تنظر للغايات المحمودة منها، الغايات المحمودة من التصرف، كم حرمنا من وسيلة دعوة بسبب الجهلة، وكم وكم صارت مفاسد بسبب الجهلة، ونصح ونصح لكن لا سبيل، كيف نصل الواجب على هذه المجموعات الواجب على من يرعاهم على الداعية فيهم على طالب العلم فيهم على إمام المسجد فيهم إذا كان يدعو في حيه، الواجب عليه أن يتقي الله جل وعلا في نفسه وفيمن معه في أن لا يخرجهم

عن مقتضى الحكمة في أن يكون تصرفهم موافقا للغاية المحمودة من الدعوة، والأمر في الجماعة كما ذكرنا والمجموعة أعظم من الأمر في الأفراد.

أما الكلام عن الهوى والذي يطرح على المجموعات فهو كلام طويل، ولنا فيه شجون وشجون وشجون، قلّ أن رأينا -أنا أقول: قلّ أن رأيت أنا والله أعلم بالحقائق وأبرأ إلى الله من القول بلا بينة - قلّ أن رأيت مجموعة تتخلص من الهوى تمامًا، وهذا سبيل الإنسان، كل إنسان لابد عنده شيء كل واحد يعرف من نفسه أنه عنده نوع هوى؛ لأن الشيطان يغذيه، له هوى في الشهوات، له هوى في التصرفات له هوى لكن المرء كلما كان أسلم من الهوى كلما كان صادقًا في دينه، والصدق عماده التخلص من الهوى، كما عرف بعض السلف الصدق من هو الصادق قال: من تخلص من الهوى. ولا شك، يتخلص من الهوى صادق، فإذن التخلص من الهوى في المجموعات واجب، ولابد على من يرعاها أن يجعل نفسه ومن معه بريئين من الهوى ما استطاعوا.

مظاهر البراءة من الهوى:

أن لا يكون مقلدًا في الأحكام، هذا واحد، تأتي مجموعة فلان فيه، فلان ما فيه، وتصمم فلان من الجماعة الفلانية، فلان ما فيه شيء كيف حكمت؟ سمعه من فلان، إذا قال واحد قول انتشر في الشباب وانتشر في الناس، هل هذا من مصلحة الدين؟ هل يجوز شرعا؟ هل هذا مقتضى الولاية؟ شخص يقول كلام ينتشر، فلان فيه كذا، يسبونه مسبات عظيمة هل هذا يجوز؟

من حق المسلم على المسلم أنك إذا سمعت فيه عيبًا أو رأيته منه فلا تنشره أن تكتمه، هذا من الحقوق العامة أنشروا الخيرات؛ لأنه إذا نشرت الخَيْر

زاد، لذلك إذا قلت فسد الناس فأنت أفسدتهم كما جاء في الحديث، من قال: «هلك الناس فهو أهلكم»؛ لأنك إذا قلت فسدوا الناس، والله الناس فسدوا، والله فيه كذا، الحريم فيهم كذا، الشباب صار، طيب أنت الآن عندك واحد في البيت تزيده، المسألة فاسدة، صار كذا وصار كذا، يعني لا ينبغي؛ بل لا يجوز أن يعاب المرء بالألفاظ الألفاظ يجب أن يتثبت منها، فالتقليد في الأحكام وفي إطلاق الألفاظ هي سبب عظيم من أسباب الهوى.

الهوى يكون في الأحكام، تأتي مجموعة واحد يتلقى كلمة ينشرها في مجموعة، فتنتشر إشاعة لا أصل لها، إنما هي ظن وبعض الناس يظن ظنًا فيتحدث به، فينقله الثاني على أنه ثابت حدثني ثقة وهو ظن أصلاً أصله ظن أصله استنتاج هو استنتج والاحتمالات كثيرة المستنتج ما ينبغي أن يحصر على احتمال واحد، ولهذا قال عمر ﷺ فيما رواه الإمام أحمد في الزهد ورواه غيره قال: لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملاً. ليه؟ لأن الاحتمالات كثيرة، أنت تجعل الاحتمال واحد في الكلام، المقصود بالكلام ثم احتمال ثاني، ثم احتمال ثالث، كذلك في التصرفات.

فإذن المسلم المؤمن الصادق في عبوديته لله جل وعلا من يريد أن يتخلص من الهوى يجب أن يبتعد من التقليد في الأحكام على الأشخاص، هذه مهمة، في الأشخاص جميعًا، لا تقلد تسمع كلمة خلاص نشرتها، سمعت مظهر من المظاهر المنكرة نشرته، لا، هذا التقليد يجب أن ينبذ؛ لأنه سبب من أسباب الهوى بل نشره من الهوى إذا لم يتثبت فيه ويكون الحكم الشرعي أنه لا بأس بنشره، فالأصل أن لا تنشر المسائل تنشر الخيرات حتى تنتشر، وأن لا تضعف قلوب المسلمين بذلك.

هذه كلمات موجزة في هذا الموضوع الكبير العظيم وهو أخلاق الداعي إلى الله وصفاته.

وهذه الكلمات أظن على وجازتها وعلى ضعف مادتها إذا تؤمّلت ربما تكون نافعة.

لكن أرجو من كل أخ منكم يستمع لهذا الكلام أن يقف بينه وبين ربه بمحاسبة لنفسه؛ لأن المسألة عظيمة، مسألة الدعوة اليوم عظيمة، ومثل ما جاء في الحديث قال: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: **«نعم وفيه دخن؛ خير لكن فيه دخن، قال: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي ويستنون بغير سنتي تعرف منهم وتنكر»**، طالب العلم داعي إلى الله هو قدوة، يجب أن يعرف أنه قدوة، تصرفه لا يحسب على نفسه، وتصرفه على المجموعة، مثلا مرّ واحد وقف بسيارته أمام باب شخص ملتحي عليه أثار الصلاح، هل الشريعة قالت لك تقف أمام الباب، ألم تنهك عن ذلك؟ جاء الرجل ليطلع لعمله صباحًا تأخر نصف ساعة سبب له مفاسد؛ لأجل هذا وقف هذا الموقف قال أنا شوي وطالع هل هذا طالب؟!، هل هذا خلق مسلم فضلاً أن يكون ملتزمًا؟!.

إذن المسألة قدوة هذا نظر، طيب يقول لك هذه صفاتهم، هذا فهمهم هذا سلوكياتهم.

الشريعة والخلق والدين ليس في مسائل محدودة، المسائل التي تطبقها على نفسك أهون؛ يعني أقل شأنًا في أجرها وفي ثوابها من الأمور المستحبات أو الأخلاق لما تعامل به غيرك؛ لأن حقوق الناس على المشاحة، حقوق الناس على المشاحة لا يسمح، ويوم القيامة الدواوين ثلاثة:

ديوان لا يغفر وهو الشرك بالله.

وديوان مبني على المسامحة وهو ما بين العبد وبين ربه.

وديوان لا يترك الله منه شيء وهو المبني على المشاحة وعلى أخذ الحقوق وهو ما بين العبد وبين الخلق.

والمسألة فيها حساب، المسألة قدوة، المسألة أنت تنشر الدعوة بقولك هل كان الصحابة رضوان الله عليهم أصحاب كلام؟ الصحابة أصحاب مؤلفات مثلنا محاضرات، دروس كل يوم، وجلسات؟ لا ، لكن نشروا الدين نشروا الخير لم؟ لأنهم كانوا يمشون بالقرآن، من رآهم ذكر الله جل وعلا ، برؤيتهم يذكر الله جل وعلا ، برؤيتهم تراه تذكر الله جل وعلا من حسن تصرفه ، من حسن معاملته من رحمته بالخلق من بذله إلى آخره من تخلصه من الهوى وهذا مما ينبغي للجميع العناية به.

اسأل الله ﷻ أن يجعلني وإياكم من الذين حباهم بالدعوة إليه، وممن أصلح ظاهرهم وباطنهم.

اللهم أصلح ظاهرنا وباطنا.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا .

اللهم نور قلوبنا بالإيمان اللهم نور قلوبنا بالوحي يا أكرم الأكرمين.

أسألك اللهم أن تجعل أقوالنا وأعمالنا على ما تحب وترضى، ونستغفرك اللهم مما تُسخط وتأبى إنك سبحانه جواد كريم.

اللهم اغفر لنا جميعا ومن علينا بالقول الصالح وبالعمل الصواب النافع إنك كريم جواد معطاء ذو الفضل والإحسان.

اللهم فمُنّ علينا فإنك أجود الأجودين وأرحم الراحمين.

ونسألك اللهم أن توفقنا وأن توفق ولاة أمورنا لما تحب وترضى، وأن تبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه لأهل الطاعة ويعافى فيه أهل المعصية ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر ويدعى فيه إلى الحق، إنك سبحانك جواد كريم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

نأخذ عددا من الأسئلة، من أجل أن بعد الصلاة ما نحبس، نعم.

[جزا الله آل الشيخ خير الجزاء وأحسنه وجعل ذلك في موازين حسناته يوم يلقاه ﷻ وجعلنا الله ﷻ من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسن]

ا للهم آمين.

[إنه ولي ذلك والقادر عليه]

اللهم آمين.

س١/ فضيلة الشيخ هل وسائل الدعوة يدخل فيها الاجتهاد؟

ج/ هذه المسألة كبيرة الحمد لله، هذه المسألة كبيرة هل وسائل الدعوة يدخل فيها الاجتهاد أم لا؟ ولابد فيها من تفصيلات وتعليلات يضيق المقام عن بسطها، فنرجئها إن شاء الله إلى بحث مستقل.

س٢/ يقول السائل: كيف نجمع بين قول الرسول ﷺ في الصحابي الذي قال له: ما شاء الله وشئت. فقال له ﷺ: «أجعلتني لله ندا قل: ما شاء الله وحده» وبين ما قال اليهود للصحابة رضوان الله عنهم: إنكم أنتم القوم لو لا أنكم تنددون. وجزاكم خير الجزاء.

ج/ لا مخالفة بين هذا وهذا، الصحابة في الألفاظ مرت عليهم مراحل لم ينهوا عن جميع الألفاظ مرة واحدة؛ يعني الألفاظ التي تركها أولى أو التي فيها نوع تشبيه أو نحو ذلك؛ لأن الصحابي بتوحيده لا يقصد حقيقة التشريك، مثل الأحكام الشرعية الأخرى الزنا تحريم الزنا مر بمراحل، تحريم الخمر مر بمراحل، فكذلك الألفاظ الحلف بالآباء الحلف بالكعبة أيضًا كان مسكوتا عنه في أول الأمر ثم نهي عنه **«لا تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليسكت»** فالحديث الذي ذكر لا معارضة بينه وبين القصة لأن القصة فيها أنهم كانوا يقولون ذلك، والنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وجههم، وحادثة الصحابي الذي قال ما شاء الله وشئت هذه حادثة عين محمولة على أنه لم يبلغه الكلام الأول، فلأجل أنّ القول الأول كان مستعملا، فلما سمع منه النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ذلك نهاه عنه.

فالباب باب واحد، فنهى النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ الناس جميعًا ثم نهى هذا الفرد بخصوصه لما سمع منه تلك المقالة.

س٣/ يقول السائل: كثرت وسائل التربية في هذه الأزمنة فما هي التربية الصحيحة التي يجب تربية الشباب عليها من بداية استقامتهم على الدين إلى انقباض أرواحهم، وجزاكم الله خيرا؟

ج/ الله يهديك، مثل ما قال، أظن مثل ما قال الشاعر:

غير جنى وأنا المعذب فيكم فكأنني سبابة المتندم

سؤال يحتاج إلى وقت، التربية كيف نجيب الآن؟!، كيف يربى الشباب؟!، كيف نجيب عنه؟! هذه محاضرة لعل مكتب الدعوة ينظم محاضرة، لكن التربية، نعم.

المقدم: صاحب السؤال حرّجنا كثيرًا وقال لابد أن نقدم.

الشيخ: طيب،هذا جيد، لكن السؤال يحتاج إلى جواب، ولو وجدت جوابًا مختصرًا ما يستوعب الموضوع، لابد من الإيضاح والتفصيل حتى يستزيد الحاضرون. نعم.

اقرأوا الأسئلة التي يكون الجواب يناسب الوقت.

س٤/ يقول السائل: ما هو ضابط الخلاف الذي ينكر فيه والذي لا ينكر؟

ج/ الخلاف نوعان الخلاف عند العلماء نوعان:

خلاف قوي وخلاف ضعيف.

الخلاف القوي: ما كان فيه الدليل الذي استدل به كل صاحب قول محتملاً أو له وجه في استدلاله عليه.

والخلاف الضعيف: الذي لم يتمسك فيه صاحبه بدليل وحجة أو كان التمسك ضعيفًا.

. . . مسائل الخلاف القوي التي اختلف فيها أهل العلم لا إنكار فيها لأن كل واحد منهم له حجته وله قوله الذي استدل عليه، والصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا ولم ينكر بعضهم على بعض؛ لأن كل واحد منهم أخذ بقول؛ بل النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في قصة بني قريضة المعروفة أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لما أرسل الصحابة قال لهم: «**لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريضة**» راحوا الظهر «**لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريضة**»، لما حان وقت العصر اختلفوا قال طائفة: أراد منا رسول الله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ الاستعجال أنا نستعجل ونصل مبكرين فلابد أن نصلي الآن، حنان لوقت لا بد أن نصل، وقال آخرون: لا قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ يعني أننا لا نصلي إلا إذا أتينا بني قريضة، فلما فصلى بعضهم وبعضهم لم يصلي أخر الصلاة حتى أتى بني قريضة فلما رجعوا إلى النبي ﷺ أخبروه الخبر فلم ينكر على أحد منهم لأن الدليل محتمل.

إذا كان الخلاف قويًا فلا إنكار.

من أمثلة الخلاف القوي مثلاً الآن زكاة الحلي، بعض العلماء يقول الحلي تزكى حلي النساء المعدة للبس تزكى وبعض أهل العلم يقول لا تزكى، الأدلة محتملة فيها نظر.

فمن قال تزكى فله حجته.

ومن قال لا تزكى وهم أئمة أهل الحديث في الزمن الماضي مالك والشافعي وأحمد وأبو عبيد وجماعة فلهم حقهم من النظر.

فلا إنكار فيه إذا المرأة ما تريد تزكي ما تزكي، ما يكون إنكار أو أمر أو فيه مثل هذه الأشياء؛ لأن الخلاف فيها سعة.

لكن مسائل الخلاف الضعيف لا، الخلاف الضعيف فيها، فيها إنكار، يأتي واحد ويقول الربا ربا البنوك يعني الفوائد الربوية جائز، نقول هذه فيها إنكار، صحيح فيها خلاف لكن الخلاف فيها ضعيف، الخلاف الضعيف لا يمنع من الإنكار فمن قال بإباحة الفوائد الربوية ينكر عليه لأنه خالف الحق في المسألة ولا دليل واضح يُستمسك به على ذلك، وإنما هو تلمسات لمن أباح الفوائد الربوية فيُنكر في هذه المسألة.

وجود الخلاف سواء كان قويًا أو ضعيفًا يَمنع من التكفير في المخالفة، إذْ لا تكفير في المسائل العملية التي ترتكب يعني المنهيات إلا بالاستحلال أو بفعل يعني باستحلال أمر مجمع عليه، استحلال معصية مجمع علي تحريمها، إذا استحلال معصية كبيرة مجمع على تحريمها فإنه كفر، أما إذا كانت المعصية ليست مجمعًا على تحريمها فيها خلاف ولو كان الخلاف ضعيفا فلا تكفير ولكن ثم إنكار.

هذه أصولها مقررة عند أهل العلم في القواعد وفي العقيدة.

طبعًا مسائل الخلاف غير مسائل الاجتهاد، مسائل الاجتهاد شيء آخر، مسائل الخلاف غيرها، الفرق ما بين مسائل الخلاف والاجتهاد بحث أصولي يحتاج إلى بسط.

س/ رجل أراد أن يحجّب زوجته ويلبسها النقاب فرفضت وتطوّر الأمر وكاد أن يصل إلى ما لا تحمد عقباه، فهل من الحكمة في الدعوة أن يصبر على زوجته ويستمر في دعوتها وتقديم الهدايا لها حتى تلبس النقاب أم يأخذها بالعنف؟

ج/ العلماء ذكروا أعظم من ذلك ذكروا إذا ابتلي الرجل بامرأة لا تصلي فإنه يصبر عليها ويأمرها وينهاها حتى يتيقن أنه لا فائدة منها؛ لأنها لا تصلي

لأن ترك الصلاة كفر أما في المسائل مثل التي ذكر مثل بعض المعاصي والذنوب مثل كشف الوجه وأشباه ذلك، هذه ينبغي للداعي للزوج الذي يدعو أهله لطاعة الله جل علا أن يجعل ثم قاعدة معها المرأة تستتر؛ لأن الاستسلام للحق لابد له توطئة، توطئة هي محبة الله جل وعلا ومحبة رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ محبة الدين، كيف تحدث في قلب المرأة محبة الدين حتى ترى هذا الحجاب الذي يراه الآخرون فيه وفيها أنها تراه قربة إلى الله جل وعلا لابد من غرس الإيمان الصادق في النفس.

فإذن الوصية أن تصبر عليها، وأن لا تصبر عليها دون محالة الدعوة ودون متابعة والله جل وعلا إذا علم منك أنك صابر لأجل إصلاحها ولأجل أن لا تخليها من أولادها وقد يكون ثم مفاسد أكبر، فإن الله سبحانه يعينك، واستعن بالدعاء الدعاء في أوقات الإجابة في آخر الليل وبين الأذان والإقامة؛ لأن الله جل وعلا يعينك على بيان الحق، وعلى أن تهديها، وأن يشرح الله صدرها لهذه الأمور.

وهذه المسألة ينبغي أن ينتبه لها الناس في من يدعون، الدعاء لا تتركه للمدعو؛ لأن القلوب بيد من؟ بيد الله جل وعلا، الكلمة التي تؤديها أو العمل هذه وسيلة؛ لكن القلوب من الذي يأخذها؟ هل الكلمة التي تقولها لا ينشرح لها صدر المتلقي؟ الرب جل وعلا لهذا انطرح بين يديه، واسأل الرب جل وعلا أن ينفع بكلامك.

فإذا سألت الله جل وعلا ربما أجابك إلى سؤالك فنفع الله جل وعلا بعبادتك وعملك.

فيه رسالة من الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لأحد علماء الحساء عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي كان يخالفه في أشياء،

فكتب له الشيخ رسالة وقال: له كنت زرتك ورأيتك علقت على أول كتاب الإيمان من البخاري تعليقا حسنًا -ذاك عالم- يخالف ما عليه أهل بلدك فعلمت أنك تطلب الحق، وكنت أرجو أن تكون فاروقًا لدين الله في آخر هذا الزمان كما كان عمر بن الخطاب فاروقًا لدين الله في أوله، وإني لأدعو لك في صلاتي. أين هذا لابد من توطين النفس عليه؛ لأن هذه محبة للتأثير محبة للدعوة الداعي ليس متسلطًا، الداعي يريد أن ينجح، يوطد علاقة المدعو، وأيضًا كل عمل صالح عمله المدعو فلك مثل أجره اتخذ الأسباب، ومن الأسباب العظيمة التقى، ومن الأسباب العظيمة التوكل على الله جل وعلا؛ بل قال ابن القيم رحمه الله التوكل على الله جل وعلا في صلاح الدين أعظم من التوكل على الله جل وعلا في صلاح الدنيا.

التوكل على الله يعني تسأل الأسباب التي تصلح بها الدين وتفوض الأمر إلى الله معتقدًا أنه لا حول لك ولا قوة، بعض الناس يأتون،إذا يعملون أعمال دعوية والله رتبنا بينا علمنا واتصلنا وراسلنا في الأخير لا نتيجة، ربما غاب التوكل؛ لابد أنك تفعل السبب وتفوض الأمر إلى الرب جل وعلا؛ لأن قلوب العباد هي بيد الله سبحانه.

أسأل الله ﷻ أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا وفي الختام لا يفوت. . .

۞ ۞ ۞

الضوابط الشرعية للدعوة إلى الله

الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

الحمد لله الذي بعث محمدا للهدى ودين الحق، ... من النار، ومنّ عليهم باتباع محمد ﷺ وأوردهم حوضه المورود الذي لا يرد عليه إلا من تابعه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، فقد جاء في الحديث الصحيح أنه يرد على المصطفى ﷺ الحوض أقوام قال: «**حتى إذا عرفتم اختلجوا دوني**» يعني دفعوا بشدة «**فأقول: أمتي أمتي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

قال العلماء: إن من أحد المحدثات في الدين ورغب عن سنة محمد ﷺ فإنه من المتوعدين بأن لا يردوا الحوض على المصطفى ﷺ؛ لأنه لا يرِدُه إلا أهل الاتباع أما أهل المحدثات فقد قال للنبي ﷺ: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**» قالوا: فدل هذا على أن أهل المحدثات لا يريدون الحوض على المصطفى ﷺ مع أنهم من أمته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

وأسأله جل وعلا لي ولكم الفقه في الدين والبصيرة فيه والسمع سمع القلب والاستجابة بالقول واللسان والجوارح.

إن موضوع هذه المحاضرة عن الدعوة إلى الله جل جلاله، والدعوة إلى الله هي المنزلة التي شرّف الله جل وعلا بها الأنبياء والمرسلين، فإن الأنبياء والمرسلين دعاة إلى الله جل وعلا ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾[الحج: ٥٢].

قال العلماء: فالإرسال يكون واقعًا على النبي وعلى الرسول، فالكل مبلغ عن الله جل وعلا ما أمر بتبليغه إما إلى قوم موافقين وإما إلى قوم مخالفين.

ولهذا أعلى الله جل وعلا منزلة من دعا إليه، فقال سبحانه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٣]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني لا أحد أحسن قولا من هذا الذي دعا إلى الله وعمل صالحا في نفسه وشهد الشهادة للناس بأنه من المسلمين، قال الحسن البصري رحمه الله فيما روي عنه في تفسير هذه الآية قال: هذا حبيب الله، هذا خليل الله، هذا صفوة الله من خلقه، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، هذا ولي الله، هذا حبيب الله.

وهذه مرتبة لا ينالها إلا أهل العلم؛ لأن أهل العلم هم ورثة الأنبياء، «**فإن الأنبياء لم يورثوا دينارا درهمًا وإنما ورثوا لعلم فمن أخذه أخذ بحض وافر**»، فالدعوة هي ميراث النبوة؛ لأن الدعوة هي العلم إذ لا يُتصور أن ثم دعوة بلا علم يعني لا يتصور شرعا أن ثمة دعوة يحكم عليها بالصواب والصحة إلا إذا كانت بعلم؛ ولهذا قال الله جل وعلا لنبيه ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨] في هذه الآية دليل على أنّ الدعوة أُمر بها نبينا ﷺ وأُمر بها أتباعه وأنها هي السبيل التي عليها المصطفى ﷺ ومن تبعه.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ والبصيرة للقلب كالبصر للعين، فإن العين إذا لم تبصر الأشياء لم تكن ذا بصر كانت عمياء، فكذلك القلب إذا لم يكن ذا بصيرة يعني في الدين فهو أعمى، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأظل سبيلاً؛ يعني من كان في هذه الدنيا أعمى القلب فهو في الآخرة أعمى عن السبيل وأضل سبيلاً.

لهذا لما كانت الدعوة بهذه المنزلة العظيمة وأنها دعوة الأنبياء والمرسلين وأنها دعوة الخلاصة من عباد الله المتقين المؤمنين، وكان شرف الدّاعي

متصلاً بمحمد ﷺ، كان لزامًا كل من همه أمر الدعوة أن يحرص تمام الحرص على اتباع النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في أمر دعوته؛ لأن الله جل جلاله قال لنبيه ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ فمن اتبعه فهو يدعو إلى الله على بصيرة كما دعا إليها نبينا ﷺ.

لهذا كان من اللوازم أن يكون هناك في قلب الداعي ومن المستحضرات عنده دائما أن يكون عنده الضوابط التي يرعاها والآداب وما تجب رعايته وما يجب عليه أن يعتني به في دعوته؛ لأن الدعوة كما سمعتم تعلّق بها كثيرون بين مجتهد مخطئ ومجتهد مصيب، وبين ضال لم يدرك السبيل وسار على وفق رأيه وهواه.

وهذا أمر لاشك مهم لأن كل مسلم يرغب أن يكون متبصرًا في الدعوة وأن لا يسير فيها إلا وفق السنة؛ لأن الغاية هي الرغبة في الأجر والثواب، وأن يكون المرء له فضل الداعين إلى الله جل جلاله.

لهذا كان لزاما عليك أن تتطلب هذا الأمر، وهذا الذي تتطلبه وتحرص عليه هو ما الضوابط والأصول التي ينبغي للداعي إلى الله جل وعلا أن يحرص عليها، وأن يكون دائمًا على ذكر منها غير مفرّط في شيء من ذلك؟

أول تلك الأمور وهو أمر وإن كُرّر كثيرًا؛ لكنه أصل الأصول، ذلكم هو أن الدعوة لابد فيها من الإخلاص لأن الدعوة عبادة إذ أمر بها شرعًا؛ فهي عبادة من العبادات، والعبادة لا تصح إلا بشرطين:

بأن يكون العبد فيها مخلصًا لله.

وأن يكون فيها متابعًا نبينا محمدًا ﷺ.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وحسن العمل بأن يكون خالص صوابًا.

وهذا ظاهر في ميدان الدعوة في قصة يوسف ﷺ، فإنك إذا تأملات قصة يوسف ﷺ في تلك السورة العظيمة، وجدتَ أن موضوع الصورة الذي تدور عليه هو حال يوسف ﷺ في رسالته وفي دعوته وطريقة مخاطبته للناس؛ للمخالفين المشركين الوضعاء كصاحبي السجن والرفعاء كالملك ومن كان معه، ولقرابته لإخوانه لأصحابه لمن ظلمه، ولمن نصح له، فهي في سيبل الداعية في (. . . .انقطاع في الشريط. . .) أهل العلم لهذا الموضوع الذي اشتملت عليه السورة، وأنها من بدايتها إلى آخرها أنها في هذا الموضع الرئيس؛ إذ غالب سور القرآن لها موضوع واحد يدور عليه موضوعات تلك السورة.

موضوع سورة يوسف الدعوة إلى الله جل وعلا، وهذا الموضوع كان متفرقًا فيها مع اختلاف الأحوال ليوسف ﷺ، في آخر السورة تلك قال الله جل وعلا ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨]، وقال جل وعلا في آخر السورة: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[يوسف:١٠٣].

وفي الآية الأولى التنبيه على أن الداعية إلى الله جل وعلا سبيله الذي يَقْفُ فيه سبيل الأنبياء إنما هو الإخلاص، فيوسف عليه السلاح كان مخلصًا لله جل وعلا في دعوته؛ دعا إلى الله وتحمّل ما تحمّل في الله جل وعلا لم ينتصر لنفسه في كل ما حصل له، وإنما كان همه بداية الخلق إلى الله جل جلاله، ولهذا جاء شرط الإخلاص في آخر تلك السورة لينبه أنّ الداعية لابد له من أن يكون مخلصًا لله في الدعوة، لهذا قال إمام هذه الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في بعض مسائل كتاب التوحيد في قوله جل وعلا: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ تنبيه على الإخلاص؛ لأن

كثيرين -معنى كلامه- لأن كثيرين وإن دعوا إلى الله فإنما يدعون إلى أنفسهم أو إلى طريقتهم أو إلى شيخهم. يعني بما كان شائعًا في ذلك الزمان، وهذا شيء يغلب على النفس ويحتاج المرء في تحقيق الإخلاص فيه إلى التجرد والمحاسبة؛ لأن من الناس من يهدي الخلق ويريد بهدايته أن يكون معه وإذا كان كذلك فهذا فاته بقدره، والإخلاص أن تدعو الخلق لا إلى نفسك أو إلى طريقتك، وإنما تدعو الخلق إلى الله جل جلاله وتجعل في قلوبهم تعظيم المولى تبارك وتعالى.

وهذه هي حقيقة الإخلاص، سواء كان معك أو مع غيرك، سواء كان مقدرًا لك أو غير مقدر، إنما الأجر على الله جل وعلا، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

فإذن هذا الأمر مهم جدًا في الدعوة وهو أن يتنبّه المرء إلى هذه القصة قصة سورة يوسف، ومعنى أن الله جل وعلا جعل في آخرها قوله العظيم ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف:١٠٨]، هذه السورة فيها العلم فإن يوسف ﷺ علمه الله جل وعلا علمًا، وعلمه جل وعلا حكمة ودعًا إلى الله جل وعلا بعد العلم، ولهذا أيضًا جاء في آخر السورة التنبيه على ذلك بقوله ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ والبصيرة هي العلم وأيضًا تجد في هذه السورة التي ذكر الله جل وعلا فيها قصة أحد المرسلين ودعوته وتنوع خطابه للناس ذكر في آخرها آية عظيمة بل ذكر آيتين قال الله جل وعلا: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف:١٠٣]، وهذا له مناسبة، ما مناسبة مجيء هذه الآية وهي قوله: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ في هذه السورة آخر سورة يوسف، قال أيضا المستنبطون: إن الداعية قد يلتفت إلى الكثرة، وإذا التفت

إلى الكثرة فإنه خالف أصل الدعوة؛ لأن الدعوة إلى الله إن استجاب واحد أو مائة أو ألف أو أقل أو أكثر المقصود أن تكون الدعوة على بصيرة وعلم وعلى وفق طريقة الأنبياء والمرسلين، أما كثرة المستجيب فإنها تغشى قلب الداعية يريد أن يكثر المستجيبون له؛ لكن هذا ليس هو الأمر المهم، إنما المهم أن يكون في دعوته موافقًا للصواب على السنة، قبل الناس أم لم يقبلوا، ولهذا الأنبياء والمرسلون كان المستجيبون لهم قليلاً، قال جل وعلا: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾[الأنعام:١١٦]، وقال جل وعلا في نوح: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠] إلى آخر الآيات في ذم الكثرة ومدح القلة التي اتبعت الحق عن علم وبصيرة.

وهذه لاشك مسألة مهمة من قواعد الدعوة وهي أن الداعية يهتم بقول الحق وببيانه وإن كان المستجيب لذلك قليلاً، قد يكون القول باطلاً ويكون المستجيب للباطل قليلاً، ليست العبرة بالقلة؛ ولكن العبرة بقول الحق وإن كان الموافق له قليلاً، بعض الناس يمدح نفسه بالقلة، ويأتي بالآيات التي فيها امتداح القلة ولو كان على باطل وهذا ليس بمراد؛ بل المراد أن يكون على حق على علم على بصيرة ولو كان قليلاً أتباعه أو كان قليلاً أصحابه فإن القلة ليست مطعنًا في الحق؛ ولكن يعرف الناس بالحق ولا يعرف الحق بالناس.

هذا الأصل عظيم جدًا وهو أن العبرة في صواب الدعوة، العبرة في كون الدعوة حقًا، العبرة في كون الدعوة على علم وبصيرة؛ لأنها هي التي تمكث، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧]، والله جل وعلا قص لنا أن نوحًا عليه السلام مكث في قولمه ألف

سنة إلا خمسين عامًا. . . إلى آخر الآيات في ذلك، ولكن هذه القصة في قصة نوح تعلم أن بعد هذه المدة الطويلة أنه لم يستجب لنوح إلا العدد القليل ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

إذن الكثرة لا تنظر إليها وإنما انظر إلى التأسيس إلى إصلاح القلوب إلى جعل القلوب معبدة إلى ربها جل وعلا، فإن هذا أساس مهم من أساسيات الدعوة إلى الله جل جلاله، وهذا إذا صلح؛ إذا صلح تأسيس القلوب وتأسيس القاعدة للدعوة التي تبين للناس الحق وقد اقتنعت به عن بصيرة وعلم، فإنها تنشر ذلك في الناس ويكون له أثر في الناس انظر إلى حال الصحابة رضوان الله عليهم كيف كانوا مع النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ في مكة قليلاً قليلاً، ثم في المدينة كثروا، ثم بعده عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ كان أولئك هم الذين هدوا الناس في شرق الأرض وفي غربها، فدخل الناس في دين الله أفواجًا أكثر من عهده عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ؛ وذلك لأنهم حملوا الدعوة على بصيرة وعلم، كانوا هم المتبعين للنبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

فإذن هذه المسألة مهمة في أن لا يغتر الداعي بكثرة المستجيب أو بقلته، وإنما يكون اهتمامه بصلاح دعوته وبكونها على بصيرة وهدى، لكونها على طريقة محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

من الضوابط المهمة في الدعوة إلى الله جل جلاله أن يعتني الداعية بالبداءة بالأهم فالمهم، الأمور لها درجات، فهناك أمور مهمة وهناك أمور أهم منها، هناك مسائل شرعية مهمة؛ ولكن ثم مسائل شرعية أهم منها فمن فقه الداعية إلى الله جل وعلا ومما يجعله يسير على السنة في الدعوة، أن يكون عنده فقه للأولوات في الدعوة للأهم فالمهم، وهذا ذكره إمام هذه الدعوة في مسائل كتاب التوحيد على حديث معاذ المعروف قال رحمه الله:

فيه -يعني في حديث معاذ- البداءة بالأهم فالمهم، وهذا ظاهر من حديث معاذ فإن معاذًا لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله**» كما هي رواية البخاري في كتاب التوحيد أو «**إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك أو فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم الليلة فإن هم أطاعوك في ذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم**» الحديث فهذا في عهد النبي ﷺ لما أرسل معاذًا إلى اليمن بيّن له أنه سيأتي قومًا أهل كتاب فكيف يدعو أولئك؟ جعل الدعوة معهم درجات فأولاً الدعوة إلى التوحيد فإن أجابوا إلى الصلوات، فإن أجابوا إلى الزكاة، وهكذا وهذا فيه تأصيل مهم في أن الداعية لا بد له أن يرعى البداءة بالأهم فالمهم، الأمور متنوعة في مخاطبة الناس، في الذنوب التي يقع فيها الناس، في الفرائض التي تخلفوا عنها، في مراحل الدعوة فيما يتبعون فيما يتركون، وهذا كله إذا ترك فيه البداءة بالأهم فالمهم فإنه الدعوة تكون غير ناجحة أو غير فقيهة فيما يجب عليها.

لهذا إذا نظر الداعية إلى الله جل وعلا في أحوال الناس فإنه يرعى أن ينقلهم إلى أحب ما يكون إلى الله جل وعلا، فإذا استجابوا لذلك يأتي إلى مرحلة ثانية فينقلهم إلى ما بعد ذلك إلى ما يصلحهم.

مثلا يأتي إلى من لا يصلي في المسجد أصلاً، مثلاً من المسلمين من لا يصلي في المسجد أصلاً، يصلي في بيته فتجد أنه يشتد عليه في أمور من اللّمم مثلاً، ويكون بينه وبينه شحناء وربما بغضاء في بعض الأمور التي هي من الصغائر، وهذا الأمر الذي هو من الفرائض الكبار أداء الصلاة محافظًا

عليها في المساجد مع جماعة المسلمين وأداء الصلاة في أوقاتها ونحو ذلك، تجد أنه لا يبحث عن السبيل إلى قناعة الناس به، نعم ذاك محرم وصغيرة من الصغائر يجب النهي عنه، وهذا فريضة من الفرائض يجب الأمر به، لكن كيف السبيل إلى الدخول إلى قلب هذا الذي تخلف، وهذا الذي عصى لابد أن تنظر إلى حاله فتبدأ معه بالأهم ثم وترجئ المهم وكل أمور الشرع مهم لكن المسائل درجات والطاعات درجات، ولهذا لابد رعاية مراتب ذلك.

إذا نظرت مثلاً في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من المهم أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر؛ لكن أهم من الأمر والنهي عن المنكر أن يكون الأمر والنهي على ما توجبه الشريعة؛ يعني أن يكون متفقها في الأمر والنهي؛ لأنه قد يأمر وينهى على غير علم أو على غير معرفة بما توجه الشريعة، سواء في ذلك الأمر للأشخاص أم للجماعات أم للدول أم للأحوال أم للعلماء أم للصغار، إذا لم يعلم ما توجبه الشريعة في ذلك فإنه يفسد ولا يصلح، وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى قال: من رأى منكرًا فأراد النهي عنه، ولم يعلم أنه بالنهي عنه تكون المصلحة راجحة فإنه يأثم إذا نهى؛ يعني إذا نظر إلى أمر فوجد ثَم مصلحة في الإنكار وثَم مفسدة من الإنكار وتساوت عنده، يقول شيخ الإسلام يأثم إذا أنكر؛ لأن الأصل أن تدرأ المفاسد ولا تحصّل المصالح مع بقاء المفاسد إذا استوتا، كما هي القواعد المعروفة: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وضابط هذه القاعدة إذا استوت هذه بهذه.

وهذا الأمر مهم فإن من الناس من يأمر وينهى ويدعو إلى الله جل وعلا ويجعل الدعوة هي همّه وهي حركته ونشاطه وجُزي خيرًا؛ لكن أهم من

النشاط في الدعوة أن يكون النشاط في الدعوة على وفق الصواب، أن يكون النشاط في الأمر والنهي على ما توجبه الشريعة، ولهذا ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في العقيدة الواسطية أن أهل السنة والجماعة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ليس بالإطلاق؛ ولكن قال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة؛ لأن من الناس من يأمر بما يمليه عقله ينهى بما يمليه رأيه ولا يتابع الشرع رعاية الأهم فالمهم والشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميها وبدرء المفاسد وتقليلها.

وهذا أصل مهم في أن الدعوة، لابد أن يرعى فيها الأهم فالمهم، في أحوالك في تنقلاتك، في تربيتك لنفسك، في نظرك في أهل بيتك، لابد أن تسعى في الأهم فالمهم، بعض الناس يقنع ممن حوله من أهل بيته من أصحابه في الاستجابة له في بعض الأمور؛ لكنه لا يكون على معرفة بما هو الأولى من ذلك، فتجد أنهم يحصّلون شيئًا من الطاعات ولكنهم يفرطون في أشياء أعظم منها أو يرتكبون ما هو أعظم ، وهذا من الغفلة عن هذا الأصل المهم في الدعوة ألا وهو أن يبدأ في الدعوة بالأهم فالمهم، إن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم، إن هم أجابوك فأعلمهم.

هذا فيه ترتيب بين ودعوة النبي ﷺ وتدرج في إخبار الناس بالأوامر والنواهي أصل في هذا واضح كما قرره العلماء.

من الأمور المهمة في الدعوة ومن الضوابط الشرعية التي يجب أن تُرعى أن الدعوة حقيقتها الإخبار عن الله جل وعلا فيما يحب وما يسخط؛ لأنك تدعو الناس إلى ما يحب الله أو تحذر الناس مما يسخط الله، فحقيقتها أن تخبر عن الله جل وعلا؛ ولهذا كان لزامًا في الدعوة من العلم.

فمن شروط الدعوة أن يكون الداعية عالمًا؛ عالما بما يدعو إليه، العلم أقسام:

منه علم تام ومنه علم ناقص، ومنه علم بمسألة، فالداعية يدعو إلى الله جل وعلا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ لكن بشرط أن يكون فيما دعا وفيما أمر وفيما نهى؛ يعني في عين المسألة التي تكلم فيها أن يكون عالمًا بحكم الله جل وعلا فيها، أما إذا كانت المسألة لا يعلم حكمها أو لا يعلم تفصيلات الكلام فيها؛ فإنه لا يخوض فيها، وإنما ينصح الناس نصيحة بأن يرجعوا في ذلك إلى أهل العلم.

ولهذا نقول إن الدعوة في حركة الداعي وحده أو في الدعوة التي يكون فيها تعاون على البر والتقوى، لابد أن يكون أصلها الأصيل العلم، وإذا فقدت العلم فإنها على غير السبيل وعلى غير الجادة، جاءت دعوات، وظهرت دعوات، وبادت دعوات، وإنما بقي من الدعوات مباركًا نفع وأثنى الناس عليه وآتى ثماره كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لَمّا كانت دعوة قائمة على العلم، فإذا كانت الدعوة قائمة على العلماء على أهل العلم فإنها منضبطة لأنهم يسيرون على السنة وعلى وفق ما جاء به الأدلة.

فإذن من مهمات الدعوة أن تكون قائمة على العلم الشرعي، في أصحابها، في أفرادها، في مجموعتها أن يكون العلم به التحرك، وأن يكون العلم به تحليل المواقف، وأن يكون العلم به الرؤية إلى الأشياء، أما إذا دخل الرأي في الدعوة ، ودخل اعتبار المصالح بدون النظر إلى الأمر الشرعي؛ فإن هذا يكون سيئة من سيئات أولئك الذين دعوا؛ لأن الدعوة ليست بالآراء، وإنما هي بالعلم قال الله قال رسوله؛ فإن هذا هو العلم،

والجهل به لاشك أنه داء قاتل، كيف إذا كان في أمر مصلحته أو مفسدته تعود إلى الجميع، ورحم الله ابن القيم إذ يقول في نونيته:

والجهلُ داء قاتلٌ وشفاؤه	أمران في التركيب متفقانِ
نص من القرآن أو من سنة	وطبيب ذاك العالم الرباني
والعلم أقسام ثلاث ما لها	من رابع والحق ذو تبيانِ
علم بأوصاف الإله وفعله	وكذلك الأسماء للديانِ
والأمر والنهي الذي هو دينه	وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكلُّ في القرآن والسنن التي	جاءت عن المبعوث بالفرقان
والله ما قال امرِئ متحذلق	بسواهما إلا من الهذيان

وهذا من الحق الذي هدى الله جل وعلا ابن القيم إليه، وهكذا تكون الدعوة ناجحة إذا كانت على علم، أما إذا كانت بآراء بمصالح بأهواء ولم تكن عن علم ودليل فإنها تضر ولو بعد حين، ولو كثر أتباعها فإنها تضر لأنها ليست على سبيل محمد ﷺ.

من ضوابط الدعوة المهمة أنه تقوم الدعوة على التعاون على البر والتقوى، قال جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[المائدة: ٢]، فحقيقة المجتمعين على الدعوة أن يتعاونوا على البر والتقوى؛ يعني يعين بعضهم بعضًا على تحصيل البر والتقوى، ويعين غيرهم فيمن يهدون إلى الحق يعينونهم على البر والتقوى، وهذا التعاون الرابطة التي تربط أصحابه الذين يتعاونون هي التطاوع، وهذا أصل جاء في القرآن وفي السنة، فالقرآن جاء في التعاون على البر والتقوى، وفي السنة لما بعث النبي ﷺ رجلين من أصحابه إلى اليمن قال لهما: «**تطاوعا ولا تختلفا وبشرا ولا تنفرا**» تطاوعا؛ لأنه بعثهما دعاة، فدل على أن الدعوة يحتاج أصحابها إلى

تطاوع بعضهم يطيع بعضًا، يطيع بعضًا في أي شيء؟ فيما دل عليه الدليل من الحق، فيما كان أقرب إلى مراد الشارع إلى تحقيق المصالح ودرء المفاسد.

فإذن من الضوابط المهمة في المسير في الدعوة إلى الله أن يكون ثَم بين الداعين إلى الله تعاون وتطاوع.

وإذا تقرر هذا فمعناه أن يُنفى أن يكون ثم بينهم طاعة؛ لأن الطاعة في الشرع إنما جاءت للإمام إمام المسلمين بالسمع والطاعة، وللعالم في أمر الدين تسمع له وتطيع، وللوالد للوالدين طاعة، ولأمير السفر طاعة، وليس ثم في الشرع نوع رابع من أنواع الطاعات.

فإذن من سلك في سبيله في الدعوة إلى أن ثم مطاعًا يطاع ويصدر عن أمره طاعة شرعية لا يعصى في هذا الأمر ولا ينظر في كلامه هل وافق الشرع أم خالفه فهو على غير السبيل؛ لأن النبي ﷺ أوضح لنا ذلك بهدي هدى به اثنين من أصحابه حيث قال لهما «**تطاوعا**» مع أنهما في سفر ومع أن أحدهما أمير على الآخر فقال لهما: «**تطاوعا ولا تختلفا وبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا**» يعني في الدعوة بشرا لا تنفرا في الدعوة يسرا في الدعوة لا تعسرا، وفي الدعوة تطاوعا ولا تختلفا؛ يعني ينفي أن يكون ثم طاعة يصدر الناس عن قول هذا يصدر الدعاة عن قول هذا لا يعصون له أمرًا.

لاشك أن هذا من المصايب التي دخت على المسلمين في آراء واجتهادات باطلة لا يوافق عليها أصحابها؛ بل الدعوة تحتاج إلى تعاون، إلى تطاوع؛ ولكن ليس ثم طاعة يلزم فيها المرء بفعل شيء ما، والتطاوع مبني على الدليل، مبني على العلم، ليس مبني على المراتب.

من الضوابط المهمة أيضًا في الدعوة إلى الله جل جلاله أن يرعى في الدعوة أن ثمة اجتهادات، ومعلوم أنّ الاجتهاد يعذر فيه الناس، إذا اجتهد

مجتهد في مسألة وآخر في مسألة، فكانت المسألة مسألة اجتهاد فإنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد، وهذه المسألة تحتاج إلى شيء من التفصيل، وهو أنّ من المسائل ما لا يكون فيها دليل واضح في الشرع، فتكون مسألة اجتهاد، فإذا كانت مسألة اجتهاد، فإن الواجب فيها أن يُرجع إلى أهل العلم للحكم فيها، ونعني بأهل العلم الراسخين فيه، الذين ثبتت قدمهم فيه، وشهد لهم بالعلم والعمل، فإنهم هم الذين يجتهدون في المسائل الواقعة في الدعوة، ما الذي يصلح الدعوة؟ هل هذا الفعل أصلح أو ذاك الفعل أصلح؟ فإنه إذا حصل ذلك فإن بعض المهتمين بالدعوة يعذر الآخر لحصول ذلك الاجتهاد من أهل العلم وليس من الجهلة أو من أنصاف المتعلمين؛ بل من الراسخين في العلم، وهذا يختلف عن مسائل الختلاف، فإن مسائل الخلاف يكون فيها إنكار، أما مسائل الاجتهاد فلا إنكار فيها، ومسائل الخلاف التي اختلف فيها الناس مع جود دليل، مع وجود حجة؛ لأحد القولين، فهذا من خالف الحجة، من خالف الدليل، من خالف السنة فإنه ينكر عليه، وهذا غير مسائل الاجتهاد، مسائل الاجتهاد مسألة واقعة نازلة اجتهد الناس فيها في حكم أو تصرف فيها باجتهاد ليس فيها نص لا من الكتاب ولا من السنة ولا من كلام أئمة أهل السنة والجماعة.

أما مسائل الخلاف فيأتي، تأتي المسألة ويكون فيها نص من القرآن أو في السنة أو في تأصيل أهل السنة والجماعة في عقائدهم ومنهجهم، فهنا من خالف طريقة أهل السنة والجماعة، من خالف طريقة أهل العلم بما استدلوا عليه من الكتاب والسنة فإنه ينكر عليه.

فثمة إذن فرق مهم بين قاعدتين من قواعد أهل العلم:

الأولى: يقولون لا إنكار في مسائل الاجتهاد، وهذا صحيح بالتوضيح الذي أوضحت.

والثانية: ينكر في مسائل الخلاف، وهذا صحيح.

بعض الناس يجعل القاعدة لا إنكار في مسائل الخلاف وهذا غلط فإن مسائل الخلاف كثيرة والمسائل المجمع عليها قليلة، فما ثَم مسألة إلا والخلاف قائم فيها إلا ما أُجمع عليه وهو قليل بالنسبة إلى كثرة المسائل المختلف فيها.

فلو قيل إنه لا إنكار في كل مسألة أُختلف فيها، صار المجال واسعًا ولا ينكر إلا ما خولف فيه الإجماع، وهذا باطل؛ بل ينكر على من خالف الكتاب والسنة؛ لأن من ذهب إلى قول من الأقوال، قد يكون فاتته السنة، قد يكون ما فقه الدليل، قد يكون له عذر؛ ولكن إذا اتضحت السنة وجب اتباعها ولم يُعذر أحد بمخالفتها، وإذا خالفها فإنه ينكر عليه ويبين لأنه حماية دين الله أعز من احترام الناس أو احترام الشخصيات.

هذه مسألة مهمة وقاعدة ضرورية في رعايتها، وكثير ما حصل الخلط بين هاتين القاعدتين، ولم يُعرف الفرق بين المسائل الاجتهادية التي يقال: هذه فيها اجتهاد لا إنكار فيها، اجتهد هؤلاء، وهؤلاء اجتهدوا فلا إنكار في مسائل الاجتهاد، هذا صحيح.

وبين المسائل التي يكون الخلاف فيها قائمًا خلاف للسنة، خلاف لقول أئمة أهل السنة خلاف لكلام أهل العلم الراسخين فيه، فهذا ينكر على المخالف فيه، وليست المسألة مما لا إنكار فيها؛ بل يجب أن ينكر على المخالف إذا خالف الأدلة، وخالف كلام أهل السنة وخالف كلام الراسخين في العلم المتحققين فيه، بخلاف مسائل الاجتهاد.

وهذا ضابط مهم أن يفرق بين المسائل الاجتهادية ومسائل الخلاف، وكثير من صغار طلبة العلم أو من المهتمّين بالدعوة يسمع هذه الكلمة، مسألة

اجتهادية، هؤلاء اجتهدوا، وهؤلاء اجتهدوا، فيظن أنها على حقيقتها مسألة اجتهادية، وفي الواقع تكون ليست مسألة اجتهادية وغير صحيح أنها من مسائل الاجتهاد؛ بل تكون من مسائل الخلاف؛ لأن المخالف فيها صادم نصًا صادم نصوصًا صادم قولاً أهل السنة في مسائل كثيرة.

وهذا يظهر في الدعوات في الداخل وفي الخارج في الذين يخالفون السنة، ويأخذون ببعض الآراء، أو يسهلون السبيل للمخالفين للسنة في البدع والاحتفالات وإلى آخره، ظنا منهم -وفي بعض صور ذلك- ظنا منهم أن هذا فيه مصلحة وأن هذه مسائل اجتهادية وفلان داعية وحبب البدع لكن يعذر؛ لأن هذه مسائل اجتهادية، لا بأس أن يدعو إلى البدع، لا بأس أن يدعوا إلى الاحتفالات، يخطئ في مسائل التوحيد لا نكر عليه.

ومن العجب العجيب أن من الناس من قال إنه حتى مسائل التوحيد اختلف فيها الناس، فلا ينبغي أن نفرق بينهم، وننكر فيها على الكبار؛ لأن ذلك يفرق الصف، وحصل من ذلك حادثة أخبرني بها بعض الأقارب وكان يدرس في أمريكا قال أتانا داعية من السودان وكان له شأن عظيم وعملت له دعايات وإخبار واجتمع الناس فأول ما جلس على الكرسي ابتدأ الكلام بدعوات شركية قال -والعياذ بالله من كل ذلك القول ومما قرب إليه ومن صاحبه- قال: مدد يا سيدي مرغني مدد يا فلان مدد يا فلان. ثم استأنف الكلام، فقام واحد من أمم من الناس قام واحد فقط وأنكر عليه الشرك العلني وقال: إذا كانت الدعوة تبتدئ بالشرك فأي خير في هذه الدعوة، المقصود ليس هذا ليس هذا بغريب على من لم يتمكن التوحيد والسنة من قلبه؛ لكن الغريب أن هذا المنكِر من هذه البلاد، لما انتهت وقام وترك، لما انتهت المحاضرة وحضرت الجموع وسمعت عوتب وقيل له كيف تنكر هذا

وفرقت وهذا جاء يدعو ويبين للناس ونحن كذا وكذا، إلى آخره، فلم الإنكار في هذه المسألة؟ وقيل له إن مثل هذه المسائل يختلف فيها الدعاة تختلف فيها الجماعات فأي خير يبقى؟ وأي اجتماع يبقى؟ إذا كان أصل الأصول وهو التوحيد وأصل الأصول وهي السنة واتباع السلف الصالح واتباع دعوة التوحيد إذا كانت فيها أيضا خلاف، فلا بقاء إذن لاجتماع البتّة.

فهذه مسألة مهمة راجت وربما لم يفطن كثيرون لحقيقتها، ولابد أن تدرسها وتراجع كلام أهل العلم فيها، وهي الفرق بين مسائل الاجتهاد ومسائل الخلاف.

ما هي مسائل الاجتهاد؟ وهل صحيح أن ما تسمع أن هذه المسألة اجتهاد، قال: فلان كذا، وقال: أولئك كذا اجتهد هؤلاء واجتهد هؤلاء هل صحيح أنها مسألة اجتهاد أم هي مسألة خلاف يجب فيها الإنكار؟ هذه من مسائل الدعوة المهمة ومن الضوابط التي ينبغي مراعاتها.

من الضوابط أيضًا المهمة في الدعوة إلى الله جل وعلا أن يكون الداعية مصلحًا لنفسه قبل أن يصلح الآخرين، فإنه هو المطالَب بأن يستقيم ثم من تاب معه ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[هود: ١١٢]، فتستقيم أولاً، وبعد ذلك ترجو أن يقبل الناس منك، وإذا كان الداعية هو صاحب الخلل وهو الضعيف في موعظة نفسه وهو الضعيف بين يدي، وهو الضعيف في شهواته، وهو قليل البكاء بين يدي الله جل وعلا، وهو قليل التضرع لله، وهو قليل المعرفة وتعظيم ذنبه، فكيف يرجى أن ينقل الدعوة الإصلاح إلى الناس؟! لاشك أن المرء إذا كان أعظم تأثيرًا على نفسه تأثر الناس منه، وإذا كان أضعف كان الناس في التأثر به أضعف في قبول ما يقول، ولا شك أن القلب يغرف ما فيه اللسان، وإذا كان ما في القلب مشوشًا، فإن اللسان يغرف شيئًا مشوشًا ولا يؤثر بذلك على الخلق.

ولا عجب أن بين ابن مسعود حال المطيع والعاصي حال المستقيم والفاجر في كلمات له منها قوله: إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل العظيم يخشى أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفيه فقال به هكذا.

وهذا واقع لعدد من الدعاة، ولا يحس هو بما يلحق الدعوة من خلل وهو لا يقيم نفسه على الحق والهدى، يستسهل بالذنوب ويستسهل ويستسهل ولا يحس أن أثر الذنوب يظهر في استجابة الناس له، والقلوب أوعية، والله جل وعلا بيده قلوب الخلق، هو الذي يكرم هذا بأن يستجاب له ويخذل ذاك بأن لا يستجاب له، ولا شك أن قبول الناس للحق من إكرام الله جل وعلا.

ومن فضله فمن المهمات في الدعوة أن يرعى المرء نفسه وأن لا يخلي نفسه من كثير المحاسبة وأن يكونِ كثير العبادة كثير الصلاة له نصيب من الليل، يُعرف بتلاوة القرآن، يجتهد في أن يكون حافظًا للقرآن أن يكون تاليًا له، وأن تكون حجته دائمًا من كتاب الله جل وعلا ومن سنة رسوله ﷺ ومن كلام أهل العلم وما يقرب إلى الله جل وعلا، فإن هذا فيه الخير والصلاح.

هذه كلمات وثَم كثير من الأمور التي يجب في الدعوة أن تراعى لكن لعل في الإجابة على الأسئلة ما يفصح عن ما غاب منها.

وأسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد والهدى والرشاد، وأن يجعل ما استمعتم في موازينكم، وأن يجعلنا وإياكم من المخلصين له المتبعين لنبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين لا حول لنا ولا قوة إلا بالله استغفر الله وأتوب إليه من جميع الذنوب والخطايا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

س١/ سائل يقول: فضيلة الشيخ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته هل الدعوة توقيفية أم اجتهادية أرجو التفصيل في ذلك؟

س/ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله، هذا السؤال كثير ما يرد، وله منشأ، ومنشؤه أنّ من الدعاة من جعل في دعوته أشياء من رأيه واجتهاده واتبعوه عليها أناس، فأثيرت هذه المسألة هل الدعوة -يعني في وسائلها- توقيفية أم اجتهادية؟ وفي قول الله جل وعلا ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[يوسف:١٠٨] فيها اشتراط البصيرة بعد شرط الإخلاص، وأن من اتبعه على هذه البصيرة.

وإذا كان كذلك ففي أصل الدعوة لابد أن يكون على ما دعا إليه الدعاة والمصلحون من أهل السنة والجماعة من أئمتنا، هذا في التأصيل العام.

من حيث الوسائل، وسائل الدعوة تنقسم إلى:

وسائل ظهرت حرمتها وبان بالدليل أنها لا تجوز.

وإلى وسائل ظهر أنها جائزة ومباحة، مثل هذه الأجهزة المختلفة، تأليف الكتب والتسجيل إلى آخره.

والقسم الثالث: وهو المشكل وهي وسائل يختلف فيها الناظر، فينظر بعضهم إلى أنها تورث خيرًا، وينظر آخر إلى أنها لا تورث خيرًا، فهذه الوسائل المختلف فيها يرجع فيها أهل العلم، وإذا اختلف أهل العلم في وسيلة من هذه الوسائل، أعني بأهل العلم الراسخين فإنها تكون المسألة اجتهادية، وإذا كانت كذلك فإنه لا يلام من أخذ بأحد القولين في الاجتهاد؛ لكن الذي يختار أن يترك المختلف فيه، يترك هذا الذي قال فيه بعض أهل

العلم إنه لا يجوز احتياطًا؛ لأن الدعوة إنما يبارك فيها إذا كانت على الاتباع.

وإذا كانت مسألة ثم من أهل العلم من يقول: لا تجوز من وسائل الدعوة، فإن تركها أقرب إلى الصواب؛ لأن تركها يمحّض الدعوة للاتباع.

من الوسائل المحرمة التي ذكرت لكم في أوله، من أمثلتها ما شاع في هذا العصر مما يسمى الأناشيد الإسلامية؛ لأن هذه الأناشيد حقيقتها أنها تدعو إلى الإقبال على الآخرة وإلى الزهد في الدنيا وإلى القوة وإلى الجهاد ونحو ذلك.

فهي إذن تحبب في أمر شرعي، وهذا ظهر في عهد الأئمة الشافعي وأحمد؛ أظهره بعض الصوفية وهو ما يسمى التغبير: ينشدون فيه القصائد ويضربون على جلود قديمة، ويحببون الخير إلى الناس عن طريق تلك القصائد.

فسماه العلماء التغبير، وسئلوا عنه فقالوا: محدث محدث وقال: بعضهم بدعة، وقال بعضهم: لا يجوز هذا ظاهر الشرع، ومما يدل على هذا أنه إنما جاء من البلاد التي تكثر فيها الطرق الصوفية الذين يغشون مثل هذا السماع، ويعرفون السماع الصوفي، فظهر له تحسين حتى صار يسمى الأناشيد الإسلامية ونحو ذلك.

إذن فخلاصة الجواب أن وسائل الدعوة:

منه ما هو محرّم لظهور حرمته وأنه محدث ولا يجوز بالدليل أو بكلام أهل العلم المتقدمين.

ومنه ما هو جائز مباح.

ومنه ما هو محل اجتهاد، وهذا الذي هو محل اجتهاد الأرجح والأحوط اجتنابه، اجتناب تلك الوسيلة حتى تكون الدعوة خالصة في الاتباع والله أعلم.

هنا إعلان من مكتب الدعوة عن محاضرة إن شاء الله يوم الخميس القادم ... هذه الليلة يعني في جامع الخالدية بفضيلة الشيخ عبد الله بن حماد الرشدي بعد صلاة المغرب مباشرة ونحن نريد من الجميع الحضور والاستفادة.

س٢/ له سؤال آخر، هل تعدّ إقامة -لعله توضيح للسؤال الأول- هل تعد إقامة الحفلات من الدعوة، وهل تكون عبادة من حيث أنها دعوة، أرجو التوضيح لذلك؟

ج/ الحفلات لا أدري ما هذه الحفلات التي يريد، أي حفلات هذه، ما فهمت المقصود منها، لعله يقصد حفلات المدارس التي تقام فيها أنشطة المدراس، النشاط المدرسي نعم، النشاط المدرسي منقسم فيما يشتمل عليه إلى ما يجوز وإلى ما لا يجوز منه أشياء طيبة جيدة، ومنه أشياء تمارس ليست بجيدة.

فمن حيث هو نشاط هذا أمر طيب ومحمود لأنه من الدعوة إلى الله جل وعلا، وهذه الحفلات إذا كان فيها تدريب على الخطابة. وعظ الناس أو التذكير بأصول إلقاء كلمات محاورات علمية، إفادة الناس بفوائد يجهلونها، ترسيخ معاني التوحيد والسنة والعلم النافع والصلاح والإقبال على الآخرة في أنفس الشباب، فهذا أمر محمود.

أما إذا كان عن طريق تمثيليات مثلاً أو عن طريق معسكرات أو عن طريق

أشياء نحو هذه لم تألفها هذه البلاد وإنما جاءت عن طرق لها أصولها في غير هذه البلاد، فهذا ينبغي تركه؛ بل يجب تركه لأن هذه البلاد متميزة، متميزة في عقيدتها ومتميزة في سلوكها، ومتميزة في دعوتها ولن يصلح أهل هذه البلاد أن تنقلهم إلى شيء مستجلب من خارجها؛ بل دعوتها فيها يحملها أهلها بين صدورهم، دعوة قامت وأسست هذا البنيان العظيم الذي ترونه، والذي هو أقرب ما على الأرض إلى الإسلام الصحيح فيما نعلم.

والحمد لله على توفيقه على ذلك، فالمحافظة عليه بأن لا نرضى بإدخال شيء غريب إليه، إذ المحافظة على رأس المال واجب، ورأس مالنا هم هؤلاء الشباب وما في قلوبهم من الفطرة الصحيحة وحب الدين والتوحيد، فلا ندخل عليهم أشياء تعكّر عليهم هذا التأصيل الذي قام في نفوسهم. نعم.

س٣/ سؤال يقول: ما الأحسن: أن يدعو المسلم إلى بنفسه مباشرة؟ أم يتعلم الدعوة ممن سبقه ويفيد من تجاربه في هذا المجال؟

ج/ الدعوة إلى الله جل وعلا مشترط فيها العلم كما أسلفت، وإذا كان كذلك فإذا علم مسألة يدعو إليها، إذا علم حكم الصلاة جماعة في المسجد دعا إلى ذلك، إذا علم حكمًا دعا إليه، إذا علم معنى التوحيد دعى إليه، إذا علم معنى السنة دعا إلى ذلك، كل ذلك بحسب العلم، والتجارب التي يستفيدها مما سبق إنما في طريقة مخاطبة الناس وما هو الأولى وما هو الأصلح ونحو ذلك، فإذا كان ثم من أهل العلم من يفيده بالأصلح فيما يجهله فإنّ عليه أن يستشير أهل العلم ممن سبقه في الدعوة إلى الله جل وعلا، ويسير على وفق ما قال؛ لأنها تجارب ومعها علم، هناك تجارب ليس معها العلم وهذه لا ترعى، وإنما التجارب التي معها العلم هي التي ترعى لأنها هي النافعة.

فإذن رجع السؤال إلى أنه فيما يدعو إليه إذا جهل الأسلوب فكيف يفعل؟ يسأل من جرب قبله إذا كان من الموثوقين بعلمهم وأمانتهم ودينهم.

س٤/ شكر الله إليكم، سائل يقول: فضيلة الشيخ بعض الشباب المتحمس للدعوة يشتم بعض طلبة العلم إذا كان عليه أخطاء، ولا يقبل منه أي حق، وإذا قيل له لا تغتابه قال أبين الحق للناس؟ وأيضا ترى أنه منه كأنه يعلم ماذا يقصد الشيخ، ويفسر المقاصد الشيخ حسب رأيه، فهل هذا صحيح؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

الشيخ: لو تعيده.

س/ بعض الشباب المتحمس للدعوة يشتم بعض طلبة العلم إذا كان عليه أخطاء، ولا يقبل منه أي حق، وإذا قيل له لا تغتابه قال أبين الحق للناس؟ وأيضا ترى أنه منه كأنه يعلم ماذا يقصد الشيخ، ويفسر المقاصد الشيخ حسب رأيه، فهل هذا صحيح؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

ج/ أولا ثم حق للمؤمنين بعضهم على بعض فالله جل وعلا وصف المؤمنين بقوله ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ يعني بعضهم ينصر بعضًا ويحب بعضًا، إذْ الولاية معناها المحبة والمودة والنصرة، فبين كل مؤمن ومؤمن ولاية يجب عليه أن يستحضرها وهي أن يحبه في الله وأن يواده في الله، وأن ينصره في الله جل وعلا، ولاشك أن المؤمنين من حيث التزامهم بالدين والشرع والحق تختلف مراتبهم، فكلما كانت مرتبة هذا أقرب إلى الحق كلما كان حقه أعظم، فحق أهل العلم أعظم المؤمنين؛ لأنهم لهم الحق الذي جعله الله جل وعلا لهم في آيات كثيرة، وإذا كان لهم الحق فإن لهم حق الولاية في محبتهم ومودتهم ونصرتهم.

وأهل العلم واجب احترامهم وواجب محبتهم كما أسلفت؛ لأن ذلك من الحقوق الواجبة.

وهناك طلبة للعلم، وهناك دعاة، وهناك معلمون، وهناك خطباء وهناك أساتذة، فهؤلاء أيضًا لهم حق ومن حقهم أن تحبهم وتودّهم وأن توادهم وأن تنصرهم في الحق الذي أصابوا فيه بما صوبهم فيه أهل العلم الراسخون؛ لأن طلبة العلم والخطباء والمعلمين ونحو ذلك، قد يكون عندهم خطأ؛ لأن العلم عزيز وهو حاكم لا محكوم، فإذا خالف من البشر من الناس يعني من أهل الإيمان خالف ما يقتضيه الحق والعلم والدليل إما بقول أو تصرف أو رأي تبناه أو نحو ذلك، فإنه يجب أن يوادّ فيما أصاب فيه، وأن يخطأ فيما أخطأ فيه.

وهذه التلازمية هذه قاعدة عند أهل السنة والجماعة، والرد على من أخطأ ليس تبرءًا من حقه؛ بل هو عين حق؛ ولهذا قيل للإمام أحمد ولغيره: إنكم تردّون على هؤلاء؛ يعني الذين أحدثوا بعض المقالات البدعية، قال رحمه الله: اذهب عني أو إليك عني نحن لهم أنصح من آبائهم وأمهاتهم، ألا تجد نُصحي له كيف أبيّن خطأه حتى لا يتبعه الناس في ذلك فتعظم أوزاره.

وهذه مسألة قل من يفقهها؛ لأن النفس قد تتعلق بمعظم قد تتعلق بكبير، ويكون الرد عليه فيما أخطأ فيه محزنًا للنفس وحرجًا، وهذا في الحقيقة من ردّ عليه وبين ما أخطأ فيه أنصح له ممن تابعه في الخطأ؛ لأن هذا حجز الناس عن أن يتبعوه، والنبي ﷺ قال: **«من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»** فالناس صار عندهم شيء من عدم التصور للواجب الشرعي، الواجب الشرعي في هذه المسائل أنه إذا

أخطأ مخطئ فإن تبيين خطئه لا يعني سلخه من القلب؛ لا يعني أن لا يحب أن لا يود أن لا ينصر؛ بل يكون المرء في محبة له بما معه من الإيمان والصواب والإخلاص الذي ظهر منه، ويكون فيما أخطأ فيه يبين ما عليه.

وأما ما ذكر من مسألة أن من بين الخطأ قيل له هذه الغيبة الجواب أن الغيبة لا تكون في بيان الواجب إذا كان ثم بيان واجب فلا غيبة الغيبة تكون بذكرك أخاك لما يكره.

وما ذكره في آخر السؤال هذا داء صحيح أنه فشا في ضعاف العلم وهو أنهم يفسرون كلام الناس بما يُدّعى فيه أنه مقاصد لهم، وهناك عند الأصوليين تأصيل في فهم العبارات، فهناك دلالة للكلام وضعية، وهناك دلالة للكلام حملية؛ يعني تستدل من الكلام على معناه بمجمله، ولا تأخذ كل لفظة وتحلّلها؛ لأن الكلام المجمل يعني نقصد بالمجمل الجمل المتابعة توضح القصد الخاص، توضح القصد للمتكلم وأما إذا أتى للحمل النفسي؛ يعني يتصور هذا الكلام على نحو ما ويأتي يحلله على وفق شهوة هذا الذي حلل كلام الناس، هذا يوقعه في باطل وهو أن يحكم على الناس بما لم يدلّ عليه صريح كلامهم والناس إنما يحكم عليهم خاصة أهل العلم وخاصة طلبة العلم ونحو ذلك بما دل عليه الصريح، لا بما دل عليه ما يظن أنه مقصد له.

والله جل وعلا أمرنا باجتناب كثير من الظن، فالأصل أن يحمل طلبة العلم على القصد الحق، فإذا كانت كلمة تحتمل معنيين، فتحمل على المعنى الخير، وإذا ظهر الخطأ منه فإنه ليس ثم معصوم في الأمة بعد محمد ﷺ، إلا بالإجماع وإذا كان كذلك يعني ليس ثم معصوم، فقد يكون ثم مخطئ يخطئ في مسألة في قول في رأي في قول إلى آخره، فيجاب عنه بطريقة علمية.

والفرق بين طريقة أهل العلم وطريقة من ليس من أهل العلم أن أهل العلم يبينون الحق فيما أخطأ فيه المخطئ الذي له ولاية يعني محبة وله نصرة يبينون ذلك بدليله وبوضوحه ولا يوجبون قطيعة ولا يوجبون براءة لأنهم يحذرون من أن يتبع المخطئ في خطئه، وأما من جهل فإنه يوجب أن يكون المرء إما أن يصيب تماما وإما أن لا يفعل شيئا، ولا شك أن هذا ليس بصحيح وهدي علمائنا كما علمتم أنهم يفعلون أو يتبعون طريقة آهل السنة الذين ذكرت تأصيلهم في هذه المسائل في الموالاة والمعاداة عند المؤمنين وحقيقة الرد وكيف يكون التلازم بين [قطع في الشريط] المحبة.

هذا كله إذا كان المردود عليه من أهل السنة والجماعة أما إذا كان من أهل البدع إذا كان من المخالفين للسنة المحببين للبدع والشركيات ومخالفة طريقة السلف الصالح، فهذا لاشك أنه الحديث في شأنه ليس داخلاً في السؤال، وإنما عنى السائل بعض ما جرى في الواقع كما يظهر الإصابة فيه والعدل في الغضب والرضا في وكلمة الحق في كل حال والله المستعان.

س/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج أحيانا إلى القوة في الأمر والنهي مما يكون وازعًا للعصاة لترك منكرهم، والدعوة قد تقتضي اللين وطول النفس، فإذا عرض لشخص من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر شيئًا من ذلك، فهل يقدم ما لديهم من قدرة على تغيير المنكر بسلطته، أم يدعو إلى تعالى على طول نفس حتى يقلع العاصي عن منكره باقتناع من نفسه؛ لأن كثير من أهل الخير يعاتبون الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر إذا قبضوا على بعض المجرمين في بعض القضايا لأنهم لا يعطونهم الفرصة وقد لا يوجهون لهم النصيحة.

فما توجيه فضيلتكم بارك الله فيكم؟

ج/ مسألة النصيحة والدعوة غير مسألة الإنكار، قال الله جل وعلا ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤] فهناك نصيحة وهناك دعوة وهناك إنكار، فإذا خلط بين هذه الثلاثة تداخلت المسائل في الواقع.

أما من جهة الإنكار فضابطه قول النبي ﷺ: **«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**، وأهل الحسبة أو الرجل في بيته أم من له ولاية على من تحت يده هو من أهل اليد، أهل الحسبة أعطاهم السلطان أعطاهم ولي الأمر في ذلك أن يكونوا من أهل اليد، فمقامهم مقام إنكار إذا ظهر لهم منكر فإنهم ينكرونه على قول النبي ﷺ: **«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده»** ورأى هنا يعني رأى بعينيه، قال العلماء أما إن سمع أنه فُعِل فإنه ليس الباب إنكار، **«من رأى منكم منكرًا»** يعني بعينيه، ألحقوا به السماع المحقق؛ يعني سمع مثلاً من بيت معازف محققة، ألحقوه بالرؤية لأنها في مقام الرؤية من جهة اليقين.

أما سمع أنه حصل في المكان كذا وكذا، فلا يكون الباب باب إنكار.

المقصود أنه إذا صارت المسألة مسألة إنكار برؤية المنكر صار الواجب فيها الإنكار.

باب النصيحة أن تسمع بوقوع هذا الشيء في دار فلان أو أن يكون جار مع جاره يراه يتخلف عن الصلوات مثلاً، أو يرى في بيته ما لا ينبغي أو يراه متخلفًا عن صلة الرحم، أو نحو ذلك في مثل هذه المسائل، فهذه يكون الباب فيها باب نصيحة؛ لأنه في المنكر لابد أن يراه يعينه، فإذا رآه أنكره، وهو يسوغ له الإنكار في هذه الحالة، وباب النصيحة فيما سُمع أنه فعل انتشر

أن فلانًا فعل كذا، أو عُرف أنه الواقع في المكان الفلاني كذا فيكون الباب باب نصيحة سواءً على الأمير أو على المأمور أو على العامة أو على الخاصة.

وباب النصيحة الأصل فيه أن يكون سرًّا؛ بل هو يكون بالسر؛ ولهذا قال الشافعي رحمه الله تعالى من نصحني سرًّا فقد نصحني، ومن نصحني علنا فقد فضحني، قال العلماء: يشترط في النصيحة أن تكون سرًّا. كما ذكر ذلك ابن رجب في شرحه للأربعين قال: يشترط أن تكون سرًّا لأنها أبلغ.

الإنكار نعم يكون ظاهرًا، وأما النصيحة فيما أسلفت بعض صوره هذا يكون سرًّا.

الدعوة إلى الله جل وعلا هذه عامة تدعو إلى الله عامة تخالط الناس بعامة تجتمع عند أناس تحدثهم بأشياء عامة وهذا يكون من باب الدعوة إلى الله جل وعلا.

عمل الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا راجع إلى أنه آمر ناهي عنده سلطة، فإذا أتته بعض القضايا وكان منكرًا ظاهرًا فإن عليه أن يوقع العقوبة الشرعية لمن أظهر المنكر في بلاد المسلمين، ونصيحته لها باب إذا لم تكمل الشرائط في حقه التي تجعله فعله منكرًا أو سُمع ها البيت يغشاه كذا، فيريد أن يحجز بينهم وبين هذا الفعل فيتصل بهم أو يكتب لهم رسالة أو يحذرهم، هذا باب نصيحة، أما إذا ظهر المنكر ووصل إلى رجال الحسبة، هذا يكون منكرًا يجب إنكاره.

هل رجال الحسبة يعني هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هل يعدون سلطانًا، فإذا بلغت الحدود السلطان فلا يشفع؟ فلعن الله الشافعَ

والمشفِّع، هل يعدون كذلك أم يعد ذلك الإمارة أم القاضي؟ الظاهر دخول الجميع -في فتوى أهل العلم- دخول الجميع في أنهم من السلطان لأنهم نواب عنه.

وقال بعض أهل العلم: السلطان القاضي أو الإمارة، أما الهيئات فهم شهود على القضايا وشهود عدول، فإنهم يدخلون في أنهم ليسوا بسلطان وإن كانوا نوابًا في ذلك؛ يعني في إقامة الأمر والنهي، وهذا، هذه مسألة اجتهادية.

المقصود أن يجتهد أهل الهيئات في أن يأمروا وينهوا وأن لا يتساهلوا لأن المنكر إذا تسوهل به فإنه يفشو، والخشية أن تنقلب هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى مراكز للدعوة ومراكز للنصيحة فقط دون إنكار، فتذهب حقيقتها التي أناطها العلماء بها أول ما أنشئت هذه الهيئات من عقود من الزمن مضت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

س/ ذكرتم بارك الله فيكم أن إنكار المنكر يشترط له رؤية المنكر، فمثلاً يحصل مسائل يأتي إمام المسجد ويتصل يبلغ الهيئة أن فلانًا من الناس يتخلف عن الصلاة فعلى حسب ما ذكرتم أنه لا يجوز أن ينكَر عليه فإنما يدخل في النصيحة، فلا يجوز مثلاً أن يسعى إلى رفع أمره إلى ولي الأمر أو للمحكمة أو إلى غير ذلك لأن الهيئة أو رئيس الهيئة أو عضو الهيئة لم ير بعينه منكر التخلف عن الصلاة فأرجو التوضيح؟

ج/ هذا رجع إلى مسألة الشهادة؛ يعني من جهة إمام المسجد الذي رأى توجه عليه الإنكار، إمام المسجد الذي رأى هذا المتخلف يتخلف هنا هو وجب عليه الإنكار، «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده» الواجب على إمام

المسجد أن ينكر هو، إذا أراد أن يوصلها إلى الهيئات فوظيفته هو شاهد عدل فيما شهد به؛ يعني شهد بأن فلانًا يتخلف عن الجماعة، فالهيئة ما توقع به عقوبة حتى تكمل الشهادة الشرعية في إقراره مثلاً، أو بشهود يعني بشاهدين أو نحو ذلك.

فإذن يفرق في المسألة بين توجه الإنكار على من تخلف عن الصلاة فيمن رآه، ووظيفة الهيئة أنهم يشهد عندهم أن هذا يتخلف.

فهنا يسأل هل أنت تخلفت أم لا؟ فإن أقر على نفسه صار عليه التعزير يعني رفع وعزر، وإن لم يقر على نفسه احتيجت المسألة إلى شاهدين؛ لأن إمام المسجد قد يكون متغرضًا لهذا المتخلف فالمسألة راجعة إلى الشرع إمام المسجد يجب عليه أن ينكر إذا رأى ذلك الرجل يتخلف عن الصلاة وهذا من مسؤولياته ومن واجباته.

أما الهيئة تأخذ كلام هذا الإمام ككلام شاهد ومبلغ عدل في هذه المسألة ثم تتحرك.

س/ قلتم حفظكم الله أنه لا طاعة إلا للأمير والعالم والواليد وليس ثم شيء رابع فما رأي فضيلتكم في طاعة الزوجة لزوجها والعبد لسيده؟

ج/ هناك طاعات أخر هذه الطاعات مقيدة، الطاعات العامة التي تكون في البلد هي ثلاثة، وفي الحضر واحدة طاعة الإمام، طاعة الوالد طاعة العالم، هذه لها فضيلتها الخاصة ولها الأمر الخاص بها أما طاعة المرأة لزوجها، فنعم أمرت المرأة بأن تطيع زوجها وطاعتها له فيما يتصل بالمنزل فيما يتصل بحقوقه هو، أما طاعة الوالد فليست متصلة بحقه هو طاعة مطلقة في غير معصية الله، وطاعة الإمام طاعة مطلقة في غير معصية الله، وطاعة العالم هي طاعة مطلقة في غير معصية الله؛ يعني فيما بلغه عن الدين.

فإذن طاعة العبد لسيده وطاعة المرأة لزوجها هذه طاعة مقيّدة فيما لها عليه من الحقوق، فافترقت المسألة، نحن ذكرنا أربع صور وقلنا وليس ثم خامس يعني أمير السفر الوالد العالم الأمير، الأمير والعالم يشتركان في كونهما من أولي الأمر والوالد له حق خاص بحيث إنه لو رغب لولده أن يتخلف عن فرض من الفرائض فإنه يطيعه في التخلف عن واجب من الواجبات، ليس دائمًا؛ ولكن لعارض عرض، وإذا أمره أن يترك نفلاً وجب عليه أن يطيعه، وإذا أمره أن يفعل مكروها وجب عليه أن يطيعه، فطاعته أخص، طاعته ملحقة بطاعة العالم وطاعة الأمير وكذلك أمير السفر.

وأما الزوجة فإن طاعتها لزوجها مقيدة لاشك بقيود معروفة في كتب أهل العلم.

وإذا أراد السائل أن يجعل المسألة أوسع ويدخل طاعة المرأة وطاعة السيد في ذلك بحسب يعني بتوسيع معنى الطاعة، فهذا لا بأس به لكن الحصيلة أنه ليس ثم طاعة لأمير دعوة أو لقائد جماعة طاعة مطلقة، مثل طاعة من أطلقت طاعتهم في النصوص في غير معصية الله جل وعلا.

س/ سائل يقول: هناك من يستعمل بعض الأمور في الدعوة ويكون عليها بعض الأشياء من الملاحظات يحتج قائلاً: الغاية تبرر الوسيلة، فنرجو منكم بيان ذلك بيانا شافيًا؟

ج/ الغاية تبرر الوسيلة ليست قاعدة شرعية، الغاية تبرر الوسيلة ليست قاعدة شرعية، وإنما القاعدة الشرعية الأمور بمقاصدها، وقاعدة أخرى: الوسائل لها أحكام المقاصد، لها أحكام الغايات، فليست الغاية مبرّرة للوسيلة، فإذا كانت الغاية محمودة لا تبرر كل وسيلة؛ بل لابد أن تكون

الوسيلة إلى المحمود محمودة، فيشترط في كون الوسيلة مأذونًا بها أن تكون مباحة، فتأخذ الوسيلة حينئذ حكم الغاية، حكم المقصد.

فمثلاً المشي من البيت إلى المسجد، حضور الصلاة في المسجد واجب، المشي هذا هو وسلة الوصول، ما حكم هذا المشي؟ نقول الوسيلة لها حكم الغاية، فسيكون المشي حكمه الوجوب، ما معنى كونه واجبًا؟ يعني أنه يثاب عليه ثواب الواجبات، فأحيانًا تكون الوسيلة مباحة؛ لكن لكونها توصل إلى واجب صارت واجبة، والله جل وعلا جعل الوسيلة إلى الجهاد يؤجر عليها العبد، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢١] هم ذاهبون إلى الجهاد، فكيف يكون قطع الوادي فيه أجر ويكتب له؟! قال العلماء: لأن الوسيلة لها حكم الغاية.

فإذن ما ذكر الوسيلة تبرر الغاية هذا باطل وليس في الشرع، وإنما في الشرع أن الوسائل لها أحكام المقاصد بشرط كون الوسيلة مباحة، أما إذا كانت الوسيلة محرمة كمن يشرب الخمر للتداوي، فإنه ولو كان فيه الشفاء فإنه يحرم، فليست كل وسيلة توصل إلى المقصود لها حكم المقصود؛ بل بشرط أن تكون الوسيلة مباحة.

إذا تقرر هذا، فمسألة الوسائل في الدعوة ليست على الإطلاق؛ بل لابد أن تكون الوسيلة مباحة، ليست كل وسيلة يظنها العبد ناجحة أو تكون ناجحة بالفعل يجوز فعلها.

مثال ذلك المظاهرات مثلاً إذا أتى طائفة كبيرة وقالوا: إذا عملنا مظاهرة فإن هذا يسبب الضغط على الوالي وبالتالي يصلح وإصلاحه مطلوب، والوسيلة تبرر الغاية.

نقول هذا باطل لأن الوسيلة في أصلها محرمة، فهذه الوسيلة وإن أوصلت إلى المصلحة؛ لكنها في أصلها محرم كالتداوي بالمحرم ليوصل إلى الشفاء.

فثم وسائل كثيرة يمكن أن تخترعها العقول لا حصر لها وتُجعل الوسائل مبررة للغايات، وهذا ليس بجيد بل هذا باطل، بل يشترط أن تكون الوسيلة مأذونًا بها أصلاً ثم يحكم عليها بالحكم على الغاية إن كانت الغاية مستحبة صارت الوسيلة مستحبة وإن كانت الغاية واجبة صارت الوسيلة واجبة، وهكذا.

جزا الله فضيلة الشيخ خير الجزاء على هذه الإفادات الطيبة.

۞ ۞ ۞

ملحق الفتاوى

فتاوى اللجنة الدائمة

فتوى رقم «٤٤٤٠»

١- مسألة «سب الدين» هل يحكم بكفر فاعله على الفور، وهل يفرق بين الدين كدين، وهل هذا الفرق موجود أصلا وكون النساء والأطفال يسبون الدين.

٢- مسألة العذر بالجهل في الاستهزاء باللحية أو النقاب أو القميص أو المسلمين ومسألة سب الدين هل فيهما عذر بالجهل أم لا؟

٣- مسألة «العذر بالجهل» في مواضيع عبادة القبور أو عبادة الطاغوت هل يعذر صاحبها بالجهل. الرجاء إفادتنا بما من الله عليكم من العلم في هذه المسائل وكذا مسألة «محاربة النشاط الديني هل يعذر موظفوها بالجهل أم لا»؟

٤- مسألة إقامة الحجة على المسلم الذي يذبح لغير الله أو يدعو غير الله أو يعاون الطاغوت، هل يقوم بها مسلم عادي عنده علم بهذه المسائل، وهل هناك شروط أخرى لإقامة الحجة؟

الإجابة

١- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن أمر مطلوب شرعا، قال الله سبحانه: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين

٢- ينبغي أن يكون الداعي إلى الله عالما بما يأمر به وبما ينهى عنه، فقد يكون عنده حرص على الخير ورغبة ومحبة لنفع الناس ولكن يكون عنده جهل فيحرم الحلال ويحلل الحرام ويظن أنه على هدى.

٣- سب الدين والاستهزاء بشيء من القرآن والسنة والاستهزاء بالمتمسك بهما نظرا لما تمسك به كإعفاء اللحية وتحجب المسلمة، هذا كفر إذا صدر من مكلف، وينبغي أن يبين له أن هذا كفر فإن أصر بعد العلم فهو كافر، قال الله تعالى: قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم.

٤- عبادة القبور وعبادة الطاغوت شرك بالله فالمكلف الذي يصدر منه ذلك يبين له الحكم فإن قبل وإلا فهو مشرك، إذا مات على شركه فهو مخلد في النار ولا يكون معذورا بعد بيان الحكم له، وهكذا من يذبح لغير الله.

٥- تغيير المنكر يكون من كل شخص بحسبه، ولهذا رتب الرسول ﷺ تغيير المنكر ثلاث درجات، فقال ﷺ: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان فالذين يستطيعون التغيير باليد هم الحكام ونوابهم، والعلماء ينكرون باللسان، ومن دونهم ينكرون بالقلب وقد يتمكن بعضهم من التغيير باللسان، وقد قال الله سبحانه: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها فالعبد لا ينبغي أن يكلف نفسه بما لم يكلفه الله به، ومما ينبغي التنبه له أن من أراد تغيير منكر بأي درجة من الدرجات فلا بد من النظر فيما يترتب على تغيير المنكر من حصول المصالح

والمفاسد وما يترتب على تركه من المصالح والمفاسد، فما ترجحت مصلحته في التغيير أو تركه أخذ به وما ترجحت مفسدته في التغيير أو تركه أخذ به، وإذا تعارضت المصالح في التغيير والترك جاز تفويت أدناها لحصول أعلاها، وإذا تعارضت المفاسد في التغيير والترك جاز ارتكاب أخفها، ليدفع أشدها وهكذا، وإذا تساوت المصالح والمفاسد فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

عضو، نائب رئيس اللجنة، الرئيس.

عبد الله بن غديان، عبد الرزاق عفيفي، عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

الفتوى رقم «١٠٧١»

س: لا يخفى على سماحتكم وجوب القيام بالدعوة إلى الله بين المسلمين وغيرهم وأن مسئولية المحافظة على إسلام المسلمين المغتربين ودعوتهم للتمسك بدينهم وتحذيرهم من حبائل الصليبية والإباحية واجب على القادر من المسلمين، وقد شاء الله لفئة من شباب الإسلام أن تدرس في أمريكا وتعرف من خلال الممارسة العملية واقع الطلاب المسلمين المغتربين في أمريكا وما يحيط بهم من مكر للشيطان وأوليائه، وفتن كقطع الليل المظلم، ولقد من الله على فئة من هؤلاء الشباب المسلم أن تجتمع وتتعاهد على الدعوة إلى الله في أمريكا وبذل ما تسعه جهودهم من تبصير الشباب والطلبة المسلمين بدينهم سواء المقيم منهم إقامة مؤقتة كالطلاب أو إقامة دائمة في أمريكا كالعاملين.

وقد اتفق هؤلاء على أن يؤسسوا جمعية تسمى «اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا» حيث أن العمل في أمريكا لابد له من إطار تعترف به الحكومة، وقد كان هذا التأسيس عام ١٩٦٢م، وقد قام بتأسيسه خمسة أشخاص من الطلبة والمدرسين، وقد توسع الآن بحمد الله حتى أصبح عدد أعضائه أكثر من خمسة آلاف عضو، من طلاب المسلمين من عرب وغيرهم، كما أن له مائة وخمسين فرعاً في الجامعات والمعاهد العلمية العليا، ويمول الاتحاد أنشطته من اشتراكات الأعضاء ومن تبرعات المحسنين والمشتركين، ولكن هذه التبرعات قليلة جداً أمام احتياجات العمل الإسلامي في أمريكا؛ لأنه لا توجد موارد ثابتة للإنفاق على جهود الاتحاد في الدعوة إلى الله وزكاة المسلمين في أمريكا أقل بكثير من أن تسد حاجة أنشطته الكثيرة؛ لأن مجالات العمل في أمريكا متعددة جداً من طبع كتب إسلامية إلى إرسال نشرات إسلامية للأعضاء وغيرهم إلى زيارة المساجين ودعوتهم إلى الإسلام التي أنتجت إسلام عدد كبير من المساجين وتحسن أحوالهم وتوبتهم، مما أثار استغراب المسئولين الأمريكيين، ويدخل في دين الله ما يقرب من مائة شخص في كل شهر، وتقام مؤتمرات للدعوة ومناظرات مع المعادين للإسلام من قسس ويهود وغيرهم في التلفزيون والإذاعة والصحف، وتعقد لقاءات عامة إلى غير ذلك من الجهود المماثلة.

وحيث أن العقبة الرئيسية أمام العمل الإسلامي في أمريكا وكندا هي التمويل المادي الذي يمكّن الاتحاد من توسيع نشاطه ليشمل عدداً كبيراً من أبناء البلدان الإسلامية يريد الكفرة تخريبهم وسلخهم من أمتهم ودينهم ليعودوا بعد دراستهم فيستلموا مناصب قيادية في بلدانهم المسلمة بأسماء إسلامية ولكن بعقول غربية. ومما يجعل مهمة الاتحاد صعبة حقاً هي أن عدد

هؤلاء الطلبة المسلمين الدارسين في أمريكا يبلغ ١٥٠,٠٠٠ مائة وخمسين ألف طالب، وبناء عليه فإني باسم اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا أرجو التكرم بالإجابة على الاستفتاء التالي:

هل يجوز صرف الزكاة لاتحاد الطلبة المسلمين ليصرفها في عمله الذي يقوم به وهو الدعوة إلى الله؟ أرجو التكرم بالإجابة على هذا الاستفتاء، أثابكم الله ووفقكم والسلام عليكم.

ج: سبق أن بحثت هيئة كبار العلماء بالمملكة السعودية هذا الموضوع، وأصدرت قراراً بينت فيه الحكم، فتكتفي اللجنة بذكر مضمونه فيما يلي لاشتماله على الإجابة عن هذا الاستفتاء:

بعد الاطلاع على ما أعدته اللجنة الدائمة في ذلك من أقوال أهل العلم في بيان المراد بقول الله تعالى في آية مصارف الزكاة: وفي سبيل الله «١٩»، ودراسة أدلة كل قول، ومناقشة أدلة من فسر المراد بسبيل الله في الآية بأنهم الغزاة وما يلزمهم من أجل الغزو خاصة، وأدلة من توسع في المراد بها، ولم يحصرها في الغزاة، فأدخل فيها بناء المساجد والقناطر وتعليم العلم وتعلمه وبث الدعاة والمرشدين إلى غير ذلك من أعمال البر ووجوهه.

ورأى أكثر أعضاء الهيئة الأخذ بقول جمهور العلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في آية مصارف الزكاة الغزاة المتطوعون بغزوهم، وما يلزم لهم من استعداد، وإذا لم يوجدوا صرفت الزكاة كلها لما وجد من مصارفها الأخرى، ولا يجوز صرفها في شيء من المرافق العامة من بناء مساجد وقناطر وأمثالهما، إلا إذا لم يوجد لها مستحق من الأصناف الثمانية المنصوص عليها في آية مصارف الزكاة.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

عضو، عضو، نائب رئيس اللجنة، الرئيس.

عبد الله بن منيع، عبد الله بن غديان، عبد الرزاق عفيفي، إبراهيم بن محمد آل الشيخ.

الفتوى رقم «٨٣٠٨»

س: نفيدكم أنه يعيش كثير من إخواننا المسلمين أهل السنة على ساحل فارس، ويريدون أداء فريضة الحج، ولكنهم لا يستطيعون السفر مع أهل إيران؛ لكونهم من الشيعة تحسباً لما ينجم من مشاكل معهم في الطريق وكذلك لا تسمح لهم حكومات الدول العربية المتاخمة لهم بالسفر من منافذها، فهل يجوز لهم أن يرسلوا نفقات حجهم إلى أقارب لهم بدولة أخرى ليحجوا عنهم، أفتونا مأجورين مع التوضيح الكامل في الإجابة وجزاكم الله خيراً.

ج: الواجب عليهم: أن يحجوا ولو مع الشيعة إذا كانوا مستطيعين للحج، وعليهم مع ذلك الحذر من شبهات الشيعة ومذهبهم الباطل، وإن تمكنوا أن ينصحوهم ويدعوهم إلى اعتناق مذهب أهل السنة وجب عليهم ذلك؛ لقول الله سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾، وغيرها من الآيات الدالة على وجوب الدعوة إلى الله سبحانه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أصلح الله حال الجميع.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

عضو، عضو، نائب رئيس اللجنة، الرئيس.

عبد الله بن قعود، عبد الله بن غديان، عبد الرزاق عفيفي، عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

فتاوى للشيخ ابن باز

س: رسالتان عن السبيل الأمثل للدعوة لله ﷻ، وعن السبيل الأمثل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. الرسالتان يذكر أصحابهما: أنهم يلاحظون أخطاء كثيرة من المسلمين ويتألمون لما يرون ويتمنون أن لو كان في أيديهم شيء لتغيير المنكر ويرجون التوجيه؟

ج: الله ﷻ قد بين طريق الدعوة، وماذا ينبغي للداعي، فقال ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾.

فالداعي إلى الله يجب أن يكون على علم وبصيرة بما يدعو إليه، وفيما ينهى عنه، حتى لا يقول على الله بغير علم، ويجب الإخلاص لله في ذلك، لا إلى مذهب، ولا إلى رأي فلان أو فلان. ولكنه يدعو إلى الله يريد ثوابه ومغفرته، ويريد صلاح الناس، فلا بد أن يكون على إخلاص وعلى علم، وقال ﷻ. ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾.

فهذا بيان كيفية الدعوة، وأنها تكون بالحكمة أي بالعلم «قال الله، وقال الرسول» سمي العلم بالحكمة: لأنه يردع عن الباطل، ويعين على اتباع الحق. ويكون مع العلم موعظة حسنة، وجدال بالتي هي أحسن، عند الحاجة إلى ذلك؛ لأن بعض الناس قد يكفيه بيان الحق بأدلته، لكونه يطلب

الحق فمتى ظهر له قبله، فلا يكون في حاجة إلى الموعظة، وبعض الناس يكون عنده بعض التوقف وبعض الجفاء، فيحتاج إلى الموعظة الحسنة. فالداعي إلى الله يعظ ويذكر بالله متى احتاج إلى ذلك مع الجهال والغافلين، ومع المتساهلين حتى يقتنعوا ويلتزموا بالحق، وقد يكون المدعو عنده بعض الشبهات، فيجادل في ذلك، ويريد كشف الشبهة.

فالداعي إلى الله يوضح الحق بأدلته، ويجادله بالتي هي أحسن. لإزاحة الشبهة بالأدلة الشرعية، لكن بكلام طيب، وأسلوب حسن، ورفق، لا بعنف وشدة، حتى لا ينفر المدعو من الحق، ويصر على الباطل، قال الله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾.

وقال الله لما بعث موسى وهارون إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ ويقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه» ويقول ﷺ: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله».

فالداعي إلى الله ﷻ عليه أن يتحرى الحق، ويرفق بالمدعو، ويجتهد في الإخلاص لله، وعلاج الأمور بالطريقة التي رسمها الله وهي الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وأن يكون في هذا كله على علم وبصيرة حتى يقنع الطالب للحق، وحتى يزيح الشبهة لمن عنده شبهة، وحتى يلين القلوب لمن عنده جفاء وإعراض وقسوة، فإن القلوب تلين بالدعوة إلى الله، والموعظة الحسنة وبيان ما عند الله من الخير لمن قبل الحق، وما عليه من الخطر، إذا رد الدعوة التي جاءت بالحق، إلى غير هذا من وجوه الموعظة.

وأما أصحاب الحسبة وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فعليهم أن يلتزموا بالآداب الشرعية، ويخلصوا لله في عملهم، ويتخلقوا بما يتخلق به الدعاة إلى الله من حيث الرفق وعدم العنف، إلا إذا دعت الحاجة إلى غير ذلك من الظلمة والمكابرين والمعاندين فحينئذ تستعمل معهم القوة الرادعة لقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ وقوله ﷺ «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» خرجه مسلم في صحيحه.

أما غيرهم فيعامل في إنكار المنكر والدعوة إلى المعروف بمثل ما يفعل الداعي: ينكر المنكر بالرفق والحكمة، ويقيم الحجة على ذلك حتى يلتزم صاحب المنكر بالحق، وينتهي عما هو عليه من الباطل، وذلك على حسب الاستطاعة، كما قال الله سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ وكما قال الرسول ﷺ في الحديث السابق: «من رأى منكم منكرا» الحديثَ.

ومن الآيات الجامعة في ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ وقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾.

وقد توعد الله سبحانه من ترك ذلك، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم، حيث قال في كتابه الكريم في سورة المائدة: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾.

فالأمر عظيم والمسئولية كبيرة، فيجب على أهل الإيمان وأهل القدرة من

الولاة والعلماء وغيرهم من أعيان المسلمين الذين عندهم قدرة وعلم أن ينكروا المنكر ويأمروا بالمعروف، وليس هذا لطائفة معينة، وإن كانت الطائفة المعينة عليها واجبها الخاص، والعبء الأكبر، لكن لا يلزم من ذلك سقوطه عن غيرها، بل يجب على غيرها مساعدتها، وأن يكونوا معها في إنكار المنكر، والأمر بالمعروف حتى يكثر الخير ويقل الشر، ولا سيما إذا كانت الطائفة المعينة لم تقم بالمطلوب ولم يحصل بها المقصود، بل الأمر أوسع، والشر أكثر، فإن مساعدتها من القادرين واجبة بكل حال.

أما لو قامت بالمطلوب وحصل بها الكفاية فإنه يسقط بها الوجوب عن غيرها في ذلك المكان المعين أو البلد المعين؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، فإذا حصل بالمعينين أو المتطوعين المطلوب من إزالة المنكر والأمر بالمعروف صار في حق الباقين سنة، أما المنكر الذي لا يستطيع أن يزيله غيرك لأنك الموجود في القرية أو القبيلة أو الحي وليس فيها من يأمر بالمعروف فإنه يتعين عليك إنكار المنكر والأمر بالمعروف ما دمت أنت الذي علمته، وأنت الذي تستطيع إنكاره، فإنه يلزمك، ومتى وجد معك غيرك صار فرض كفاية، من قام به منكما حصل به المقصود، فإن تركتماه جميعا أثمتما جميعا.

فالحاصل أنه فرض على الجميع فرض كفاية، فمتى قام به من المجتمع أو القبيلة من يحصل به المقصود سقط عن الباقين. وهكذا الدعوة إلى الله متى تركها الجميع أثموا، ومتى قام بها من يكفي دعوة وتوجيها وإنكارا للمنكر صارت في حق الباقين سنة عظيمة؛ لأنه اشتراك في الخير وتعاون على البر والتقوى.

العلم الذي يحتاجه الداعي

س: ما هو العلم الذي يحتاجه الداعي إلى الله، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر؟

ج: لا بد في حق الداعي إلى الله والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من العلم لقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ والعلم هو ما قاله الله في كتابه الكريم، أو قاله الرسول ﷺ في سنته الصحيحة، وذلك بأن يعتني كل منهما بالقرآن الكريم والسنة المطهرة؛ ليعرف ما أمر الله به وما نهى الله عنه، ويعرف طريقة الرسول ﷺ في دعوته إلى الله وإنكاره المنكر، وطريقة أصحابه رضي الله عنهم، ويتبصر في هذا بمراجعة كتب الحديث، مع العناية بالقرآن الكريم، ومراجعة أقوال العلماء في هذا الباب، فقد توسعوا في الكلام على هذا وبينوا ما يجب.

والذي ينتصب لهذا الأمر يجب عليه أن يعنى بهذا الأمر حتى يكون على بصيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ليضع الأمور في مواضعها؛ فيضع الدعوة إلى الخير في موضعها، والأمر بالمعروف في موضعه، على بصيرة وعلم حتى لا يقع منه إنكار المنكر، بما هو أنكر منه، وحتى لا يقع منه الأمر بالمعروف على وجه يوجب حدوث منكر أخطر من ترك ذلك المعروف الذي يدعو إليه.

والمقصود أنه لا بد أن يكون لديه علم حتى يضع الأمور في مواضعها.

إنكار المنكر على الأقارب

س: إذا رأت المؤمنة أحدا من أقاربها يرتكب بعض المنكرات كيف يكون

موقفها؟

ج: عليها أن تنكر المنكر بالأسلوب الحسن، والكلام الطيب والرفق والعطف على صاحب المنكر؛ لأنه قد يكون جاهلا، وقد يكون شرس الأخلاق، فعند الإنكار عليه بشدة يزداد شره فعليها أن تنكر المنكر بالأسلوب الحسن والكلام الطيب، والدليل الواضح مما قاله الله وقاله رسوله مع الدعاء له بالتوفيق حتى لا تحصل النفرة، هكذا يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، عنده من العلم والبصيرة والرفق والتحمل ما يجعل من ينكر عليه يتقبل فلا ينفر ولا يعاند، فيجتهد الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في استعمال الألفاظ التي يرجى بسببها قبول الحق.

نصح المؤمنة لأختها

س: إذا كان المنكر الذي تراه الأخت المؤمنة: الاختلاط وعدم الحجاب، فكيف تنصحهم؟

ج: تنصحهم، تقول لأختها في الله الواجب عليك عدم الاختلاط، وعدم السفور والاهتمام بأمر التحجب عن الرجال الذين ليسوا محارم لك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ الآية.

فتأتي بالآيات والأحاديث التي في المقام، وفيها إيضاح المطلوب والتحذير مما يخالف الشرع المطهر، وتوضح لأخواتها في الله أن الواجب علينا جميعا أن نحذر مما حرم الله، ونتعاون على البر والتقوى، ونتواصى بالحق والصبر عليه.

مقاطعة مرتكب الجريمة

س: مقاطعة مرتكب الجريمة، ما موقف الداعية منها، ولا سيما إن كان من الأقارب؟

ج: هذا فيه تفصيل: يشرع هجره ومقاطعته إذا أعلن المنكر وأصر ولم ينفع فيه النصح شرع لقريبه أو جاره هجره، وعدم إجابة دعوته، وعدم السلام عليه، حتى يتوب لله من هذا المنكر.

هكذا فعل النبي ﷺ والصحابة لما تخلف كعب بن مالك وصاحباه عن غزوة تبوك بغير عذر شرعي، أمر النبي ﷺ بأن لا يكلموا ويهجروا. فهجروا جميعا حتى تابوا وتاب الله عليهم.

أما إن كان هجر الشخص قد يترتب عليه ما هو أنكر من فعله؛ لأنه ذو شأن في الدولة أو ذو شأن في قبيلته، فيترك هجره ويعامل بالتي هي أحسن ويرفق به حتى لا يترتب على هجره ما هو شر من منكره وما هو أقبح من عمله، والدليل على ذلك: أنه ﷺ لم يعامل رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول بمثل ما عامل به الثلاثة وهم: كعب وصاحباه، بل تلطف به ولم يهجره؛ لأنه رئيس قومه، ويخشى من سجنه وهجره فتنة لجماعته في المدينة، فلهذا كان النبي ﷺ يرفق به حتى مات على نفاقه، نسأل الله العافية.

وهنا مواضع أخرى جرت للرسول ﷺ على بعض الناس، لم يهجرهم بل رفق بهم حتى هداهم الله. فالرفق في الدعوة من ألزم أمورها. وبالله التوفيق.

ثقافة الداعية

س: ماذا ينبغي للداعية أن يفعله تجاه ثقافته، وممَ يستمدها حتى تكون دعوته مؤثرة ومستجابة بإذن الله؟

ج: إن الدعوة إلى الله ﷻ من أهم المهمات، ومن أعظم الفرائض، والناس في أشد الحاجة إليها سواء كان مجتمعا مسلما أو مجتمعا كافرا.

فالمجتمع المسلم بحاجة إلى التنبيه على ما قد يقع فيه من أخطاء ومنكرات، حتى يتدارك ما وقع من ذلك، وحتى يستقيم على طاعة الله ورسوله، وحتى ينتهي عن ما نهى الله عنه ورسوله.. والكافر يدعى إلى الله، ويبين له أن الله خلقه لعبادته، وأن الواجب عليه الدخول في الإسلام والأخذ بما جاء به نبي الهدى عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولكن الداعي إلى الله يلزمه مراعاة أمور مهمة في الدعوة حتى تكون دعوته ناجحة، وتكون عاقبتها حميدة، أعظمها وأهمها العلم، فلا بد أن يكون لديه العلم، والعلم إنما يؤخذ من كتاب الله العظيم، وسنة رسوله الكريم ﷺ، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ قال أهل العلم معناه: على علم؛ لأن العلم بالنسبة إلى المعلومات كالبصر بالنسبة للمرئيات، فيجب على العالم أن يعلم كيف يأمر، وكيف ينهى، وكيف يدعو إلى الله، كالبصير الذي يرى أمامه ما يضره من حفر وأشواك ونحو ذلك فيتجنبه.

فالحاصل أن الداعي إلى الله يجب أن يكون لديه من العلم والبصيرة والثقافة الإسلامية المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله عليه من ربه أفضل

الصلاة والسلام، ما يمكنه من توجيه الناس إلى الخير، وتحذيرهم من الشر. وينبغي أن يستعين بكتب أهل العلم المعروفين بالاستقامة والفضل وحسن العقيدة، حتى يكون على بصيرة فيما يدعو إليه، وينهى عنه.

ثم أمر آخر وهو أن يتحرى في دعوته ويرفق فيها، فإن كان المدعو يمكن أن يستجيب من غير حاجة إلى موعظة وإلى جدال يوضح له الحق بالأدلة الشرعية والأسلوب الحسن، فإذا تقبل ذلك انتهى الموضوع وحصل المقصود.

ومما يلزم في ذلك الإخلاص لله، وأن يحذر الرياء، وأن يكون في دعوته قاصدا وجه الله والدار الآخرة، لا يقصد حمد الناس ولا مراءاتهم، ولا يقصد عرضا في الدنيا، إنما يريد وجه الله، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

وهناك أمر آخر، وهو اختيار الألفاظ المناسبة، والرفق في الكلام، وعدم الغلظة إلا عند الضرورة إليها، كما أمر الله بذلك في قوله جل وعلا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى﴾ هِيَ أَحْسَنُ، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وهم الكفار من اليهود والنصارى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾.

فلا بد من الرفق كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**»وقال عليه الصلاة والسلام: «**من يحرم الرفق يحرم الخير كله**» فعلى المسلم في دعوته الرفق، والأسلوب الحسن، حتى يستجاب له، وحتى لا يقابل بالرد أو بالأسلوب الذي لا

يناسبه.

فإن بعض الناس لما عنده من الشدة وسوء الخلق قد يقابل بالشتم والسب الذي يزيد الطين بلة. فمتى كان الداعي إلى الله ذا أسلوب حسن، حكيما رفيقا فإنه لا يعدم قبول دعوته أو على الأقل الكلام الحسن والمقابلة الحسنة من المدعو، الذي يرجى من الرفق به أن يتأثر بدعوته ويستجيب لها، والله المستعان.

الكتب المفيدة في مجال الدعوة إلى الله

س: هل من كتب معينة ينصح بها سماحة الشيخ، إلى كل من يود أن يعمل في مجال الدعوة إلى الله؟

ج: أعظم كتاب وأشرف كتاب أنصح به هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فأنصح كل داع إلى الله، وكل آمر بالمعروف وناه عن المنكر، ومعلم ومدرس ومرشد، ذكرا كان أو أنثى، أن يعتني بكتاب الله ويتدبره، ويكثر من قراءته. فهو أصل كل خير، وهو المعلم، وهو الهادي إلى الخير، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾.

وهو يهدي بهداية الله إلى الطريق الأقوم، إلى سبيل الرشاد. فالواجب على الدعاة والآمرين بالمعروف، والمعلمين، أن يجتهدوا في قراءته وتدبر معانيه، فإنهم بذلك يستفيدون الفائدة العظيمة، ويتأهلون بذلك للدعوة والتعليم بتوفيق الله ﷻ. ثم أنصح بالسنة، وما جاء فيها من العلم والهدى، وأن يراجع الداعي إلى الله والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمدرس ذكورا وإناثا، كتب الحديث، وما ألفه الناس في هذا، حتى يستفيد من ذلك،

وأهم كتب الحديث وأصحها، صحيح البخاري، وصحيح مسلم، فليكثر من مراجعتهما والاستفادة منهما، ومن بقية كتب الحديث كالسنن الأربع، ومسند الإمام أحمد، وموطأ الإمام مالك وسنن الدارمي وغيرها من كتب الحديث المعروفة.

كما أوصي بمراجعة كتب أهل العلم المفيدة، مثل المنتقى للمجد ابن تيمية، ورياض الصالحين، وبلوغ المرام، وعمدة الحديث، وجامع العلم وفضله لابن عبد البر، وجامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب، وزاد المعاد في هدي خير العباد للعلامة ابن القيم، وأعلام الموقعين، وطريق الهجرتين، والطرق الحكمية، كلها له أيضا.

فقد ذكر رحمه الله في هذه الكتب الشيء الكثير حول الدعوة، وحول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فينبغي للمسلم أن يستفيد منها لأنها كتب عظيمة من أئمة وعلماء لهم القدح المعلى في هذا السبيل مع حسن العقيدة، والتجارب الكثيرة.

وكذلك ما كتبه أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة الشرعية، والحسبة في الفتاوى ومنهاج السنة، فهو من الأئمة العظماء الذين جربوا هذا الأمر، وبرزوا فيه، ونفع الله به الأمة ونصر به الحق، وأذل به البدع وأهلها فجزاه الله وإخوانه العلماء عن صبرهم وجهادهم أفضل ما جزى به المحسنين، إنه جواد كريم. فأنا أنصح كل مسلم، وكل معلم وكل مرشد أن يعتني بهذه الكتب المفيدة بعد العناية بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

كما أوصي بالكتب المؤلفة في هذا الباب من أئمة العلم والهدى في المذاهب الثلاثة، المالكية والشافعية والحنفية، وغير ذلك من كتب الحنابلة

المعروفين بالعلم والهدى، وحسن العقيدة.

والمقصود أنه يستعين الداعية بكتب أهل العلم التي ألفت في هذا الباب. لأنها ترشده إلى ما يجهله، وتدله على كثير من العلم، قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ ولا شك أن التعلم والتبصر من التقوى.

المرأة والدعوة إلى الله

س: عن المرأة والدعوة إلى الله ماذا تقولون؟

ج: هي كالرجل عليها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن النصوص من القرآن الكريم، والسنة المطهرة تدل على ذلك، وكلام أهل العلم صريح في ذلك، فعليها أن تدعو إلى الله، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر بالآداب الشرعية، التي تطلب من الرجل، وعليها مع ذلك أن لا يثنيها عن الدعوة إلى الله الجزع وقلة الصبر، لاحتقار بعض الناس لها أو سبهم لها أو سخريتهم بها، بل عليها أن تتحمل وتصبر، ولو رأت من الناس ما يعتبر نوعا من السخرية والاستهزاء، ثم عليها أن ترعى أمرا آخر، وهو أن تكون مثالا للعفة والحجاب عن الرجال الأجانب، وتبتعد عن الاختلاط، بل تكون دعوتها مع العناية بالتحفظ من كل ما ينكر عليها، فإن دعت الرجال دعتهم وهي محتجبة بدون خلوة بأحد منهم، وإن دعت النساء دعتهن بحكمة، وأن تكون نزيهة في أخلاقها وسيرتها، حتى لا يعترضن عليها، ويقلن لماذا ما بدأت بنفسها.

وعليها أن تبتعد عن اللباس الذي قد تفتن الناس به، وأن تكون بعيدة عن كل أسباب الفتنة، من إظهار المحاسن، وخضوع في الكلام، مما ينكر عليها، بل تكون عندها العناية بالدعوة إلى الله على وجه لا يضر دينها، ولا

يضر سمعتها.

دعوة المتأثرين بثقافات معينة

س: إذا كان المدعوون أو المدعوات متأثرين بثقافات معينة، أو بمجتمعات معينة، ما هو السبيل الأمثل لدعوتهم؟!

ج: يبين لهم الداعي إلى الله جل وعلا ما في المذاهب التي تأثروا بها، والطرق التي انتسبوا إليها، والبيئات التي عاشوا فيها، من الأخطاء والبدع ونحو ذلك، وهكذا يبين لهم ما في الجمعيات والمجتمعات التي عاشوا فيها من الأشياء المخالفة للشرع، ويدعوهم إلى أن يعرضوا كل ما أشكل عليهم على الميزان العادل، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما وافقهما أو أحدهما فهو المعتبر شرعا، وما خالفهما رد على قائله كائنا من كان.

وهكذا كان أهل العلم يعرضون مسائل الاختلاف على الأدلة الشرعية فما وافق الشرع وجب أن يبقى، وما خالف الشرع وجب أن يطرح، ولو كان قائله عظيما؛ لأن الحق فوق الجميع، وهكذا العمل فيما يخالف الشرع من العادات والأخلاق يجب أن يترك، ولو كان من خلق الآباء والمشايخ والأسلاف وغير ذلك، وأن يتمسك الجميع بكل ما أمر الله ورسوله به؛ لأن ذلك هو سبيل النجاة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ وبالله التوفيق.

تبادل الزيارات بين المسلمات وغير المسلمات

س: لدي بعض الجارات من غير المسلمات ومسلمات أيضا، لكن لي

عليهن بعض الملاحظات، ما حكم تبادل الزيارات فيما بيننا؟

ج: تبادل الزيارات في مثل هذا إذا كان للتوجيه والنصح والتعاون على البر والتقوى طيب مأمور به، يقول النبي ﷺ: «يقول الله ﷻ وجبت محبتي للمتحابين في والمتزاورين في والمتجالسين في والمتباذلين في» أخرجه الإمام مالك رحمه الله بإسناد صحيح، ويقول النبي ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»

وذكر منهم: «رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» مثل بالرجلين، والحكم يعم الرجلين والمرأتين، فإذا كانت الزيارة لمسلمة أو نصرانية أو غيرهما لقصد الدعوة إلى الله وتعليم الخير والإرشاد إلى الخير لا لقصد الطمع في الدنيا والتساهل بأمر الله فهذا كله طيب.

فإذا زارت المسلمة أختها في الله ونصحتها عن التبرج والسفور وعن التساهل بما حرم الله من سائر المعاصي، أو زارت جارة لها نصرانية أو غير نصرانية كبوذية أو نحو ذلك لتنصحها وتعلمها وترشدها فهذا شيء طيب ويدخل في قوله ﷺ: «الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة» فإن قبلت فالحمد لله وإن لم تقبل تركت الزيارة التي لم يحصل منها فائدة.

أما الزيارة من أجل الدنيا أو اللعب أو الأحاديث الفارغة أو الأكل أو نحو ذلك - فهذه الزيارة لا تجوز للكافرات من النصارى أو غيرهن. لأن هذا قد يجر الزائرة إلى فساد دينها وأخلاقها. لأن الكفار أعداء لنا وبغضاء لنا، فلا ينبغي أن نتخذهم بطانة ولا أصحابا، لكن إذا كانت الزيارة للدعوة إلى الله والترغيب في الخير والتحذير من الشر فهذا أمر مطلوب، كما تقدم، وقد قال الله ﷻ في سورة الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ

إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ الآية.

س: فضيلة الشيخ: كثير من الخلاف الذي ينشأ بين العاملين في حقل الدعوة إلى الله والذي يسبب الفشل وذهاب الريح - كثير منه ناشئ بسبب الجهل بأدب الخلاف. فهل لكم من كلمة توجيهية في هذا الموضوع؟

ج: نعم، الذي أوصي به جميع إخواني من أهل العلم والدعوة إلى الله ﷻ هو تحري الأسلوب الحسن والرفق في الدعوة وفي مسائل الخلاف عند المناظرة والمذاكرة في ذلك وأن لا تحمله الغيرة والحدة على أن يقول ما لا ينبغي أن يقول مما يسبب الفرقة والاختلاف والتباغض والتباعد، بل على الداعي إلى الله والمعلم والمرشد أن يتحرى الأساليب النافعة والرفق في كلمته حتى تقبل كلمته وحتى لا تتباعد القلوب عنه، كما قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ وقال سبحانه لموسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ والله يقول سبحانه ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾ الآية. ويقول ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه» ويقول ﷺ: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله».

فعلى الداعي إلى الله والمعلم أن يتحرى الأساليب المفيدة النافعة وأن يحذر الشدة والعنف؛ لأن ذلك قد يفضي إلى رد الحق وإلى شدة الخلاف والفرقة بين الإخوان، والمقصود هو بيان الحق والحرص على قبوله والاستفادة من الدعوة، وليس المقصود إظهار علمك أو إظهار أنك تدعو إلى

الله أو أنك تغار لدين الله، فالله يعلم السر وأخفى، وإنما المقصود أن تبلغ دعوة الله وأن ينتفع الناس بكلمتك. فعليك بأسباب قبولها وعليك الحذر من أسباب ردها وعدم قبولها.

س: ما هي الطرق الناجحة لديكم للقيام بالدعوة إلى الله في هذا العصر؟

ج: أنجح الطرق في هذا العصر وأنفعها استعمال وسائل الإعلام، لأنها ناجحة وهي سلاح ذو حدين. فإذا استعملت هذه الوسائل في الدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى ما جاء به الرسول ﷺ.

من طريق الإذاعة والصحافة والتلفاز فهذا شيء كبير ينفع الله به الأمة أينما كانت، وينفع الله به غير المسلمين أيضا حتى يفهموا الإسلام وحتى يعقلوه ويعرفوا محاسنه ويعرفوا أنه طريق النجاح في الدنيا والآخرة.

والواجب على الدعاة وعلى حكام المسلمين أن يساهموا في هذا بكل ما يستطيعون، من طريق الإذاعة، ومن طريق الصحافة، ومن طريق التلفاز ومن طريق الخطابة في المحافل، ومن طريق الخطابة في الجمعة وغير الجمعة، وغير ذلك من الطرق التي يمكن إيصال الحق بها إلى الناس وبجميع اللغات المستعملة حتى تصل الدعوة والنصيحة إلى جميع العالم بلغاتهم.

هذا هو الواجب على جميع القادرين من العلماء وحكام المسلمين والدعاة إلى الله ﷻ، حتى يصل البلاغ إلى كافة العالم في جميع أنحاء المعمورة باللغات التي يستعملها الناس. وهذا هو البلاغ الذي أمر الله به، قال الله ﷻ لنبيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ فالرسول ﷺ عليه البلاغ وهكذا الرسل جميعا عليهم البلاغ صلوات الله وسلامه عليهم، وعلى أتباع الرسل أن يبلغوا، قال النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية» وكان إذا خطب الناس

يقول: «**فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع**».

فعلى جميع الأمة حكاما وعلماء وتجارا وغيرهم أن يبلغوا عن الله وعن رسوله ﷺ هذا الدين، وأن يشرحوه للناس بشتى اللغات الحية المستعملة بأساليب .

واضحة، وأن يشرحوا محاسن الإسلام وحكمه وفوائده وحقيقته حتى يعرفه أعداؤه وحتى يعرفه الجاهلون فيه، وحتى يعرفه الراغبون فيه، والله ولي التوفيق.

حكم حلق اللحية لأسباب سياسية

س: رجل حلق لحيته لظروف سياسية، وحين سألته قال: لا أستطيع أن أنطلق كداعية في هذا المكان والزمان إلا بحلق اللحية، فهل يعذر في ذلك؟

ج: لا يجوز للمسلم أن يحلق لحيته لأسباب سياسية، أو ليمكن من الدعوة، بل الواجب عليه إعفاؤها وتوفيرها؛ امتثالا لأمر الرسول ﷺ فيما صح عنه من الأحاديث، ومن ذلك قوله ﷺ: «**قصوا الشوارب وأعفوا اللحى خالفوا المشركين**» متفق على صحته.

فإذا لم يتمكن من الدعوة إلا بحلقها انتقل إلى بلاد أخرى يتمكن من الدعوة فيها بغير حلق، إذا كان لديه علم وبصيرة؛ عملا بالأدلة الشرعية في ذلك، مثل قوله سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ الآية، وقوله سبحانه: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ الآية.

وقول النبي ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» أخرجه مسلم في

صحيحه، وقوله ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ لما بعثه إلى خيبر لدعوة اليهود وجهادهم: «ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» متفق على صحته.

والآيات والأحاديث في وجوب الدعوة إلى الله وبيان فضلها كثيرة، وحاجة المسلمين وغيرهم إليها شديدة؛ لأنها هي الوسيلة لتبصير الناس بدينهم وإرشادهم إلى أسباب النجاة، ولأنها وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم بإحسان. والله ولي التوفيق.

فتوى للشيخ ابن عثيمين

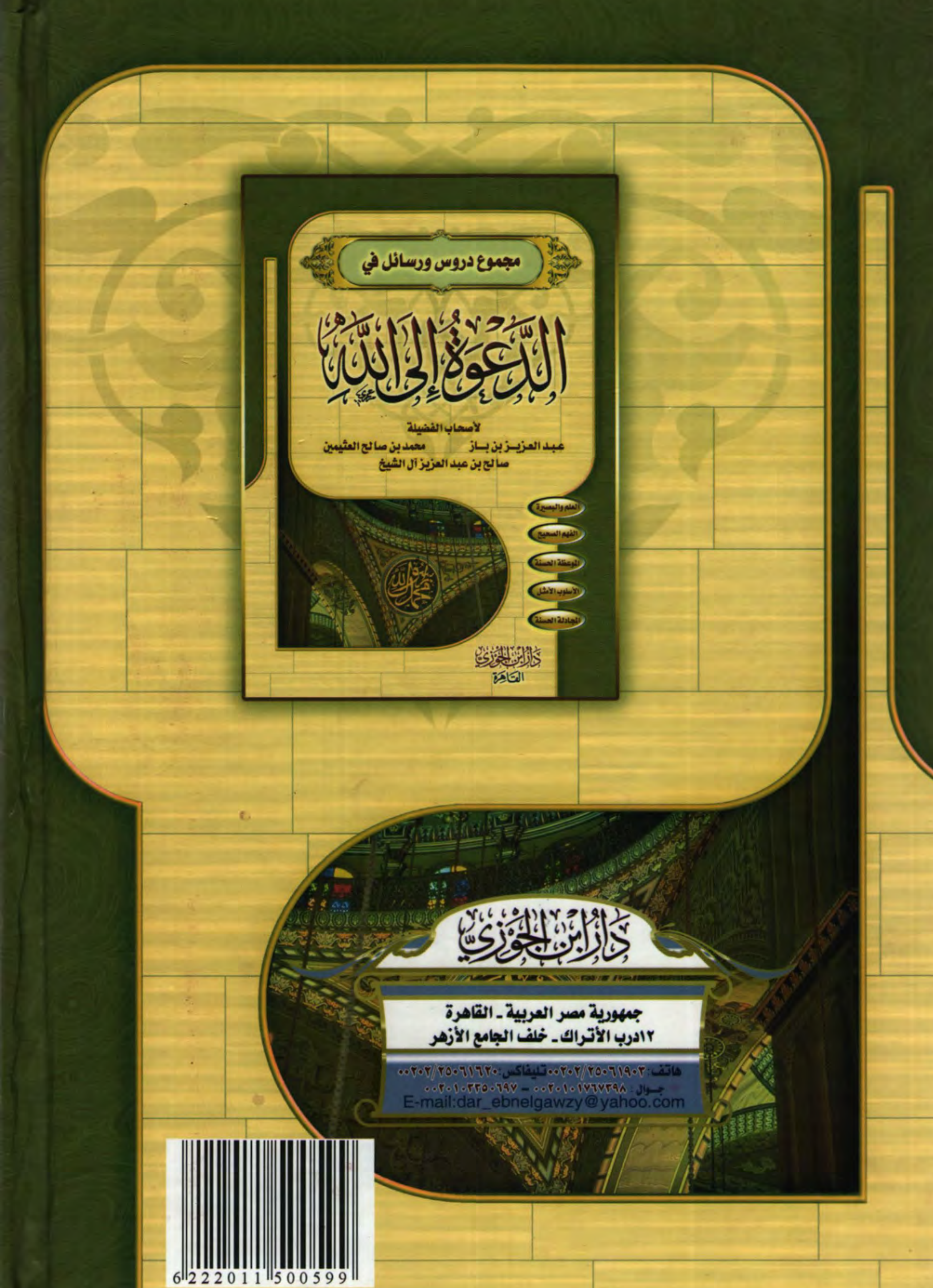
س: فضيلة الشيخ: ورد في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله، ﷺ، قال: «لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه» أليس في العمل بهذا تنفير عن الدخول في الإسلام؟

فأجاب بقوله: يجب أن نعلم أن أسدَّ الدعاة في الدعوة إلى الله هو النبي، ﷺ، وأن أحسن المرشدين إلى الله هو النبي، ﷺ، وإذا علمنا ذلك فإن أي فهم نفهمه من كلام الرسول، ﷺ، يكون مجانباً للحكمة يجب علينا أن نتهم هذا الفهم، وأن نعلم أن فهمنا لكلام النبي، ﷺ، خطأ، لكن ليس معنى ذلك أن نقيس أحاديث الرسول، ﷺ، بما ندركه من عقولنا، وأفهامنا، لأن عقولنا وأفهامنا قاصرة، لكن هناك قواعد عامة في الشريعة يرجع إليها في المسائل الخاصة الفردية.

فالنبي، عليه الصلاة والسلام، يقول: «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه» والمعنى: لا تتوسعوا لهم إذا قابلوكم حتى يكون لهم السعة ويكون الضيق عليكم بل استمروا في اتجاهكم وسيركم، واجعلوا الضيق إن كان هناك ضيق على هؤلاء، ومن المعلوم أن هدى النبي ﷺ ليس إذا رأى الكافر ذهب يزحمه إلى الجدار حتى يرصه على الجدار ما كان النبي، ﷺ، يفعل هذا باليهود في المدينة ولا أصحابه يفعلونه بعد فتوح الأمصار.

فالمعنى أنكم كما لا تبدءونهم بالسلام لا تفسحوا لهم فإذا لقوكم فلا تتفرقوا حتى يعبروا بل استمروا على ما أنتم عليه واجعلوا الضيق عليهم إن كان في الطريق ضيق، وليس في الحديث تنفير عن الإسلام بل فيه إظهار لعزة المسلم، وأنه لا يذل لأحد إلا لربه ﷻ.

فهرس


مجموع دروس ورسائل في
الدعوة إلى الله
لأصحاب الفضيلة
عبد العزيز بن باز
محمد بن صالح العثيمين
صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
العلم والبصيرة
الفهم الصحيح
الموعظة الحسنة
الأسلوب الأمثل
المجادلة الحسنة
دار ابن الجوزي
القاهرة
دار ابن الجوزي
جمهورية مصر العربية ـ القاهرة
١٢درب الأتراك ـ خلف الجامع الأزهر
هاتف: ٠٠٢٠٢/٢٥٠٦١٩٠٣ تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٢٥٠٦١٦٢٠
جوال: ٠٠٢٠١٠١٧٦٧٢٩٨ - ٠٠٢٠١٠٣٣٥٠٦٩٧
E-mail:dar_ebnelgawzy@yahoo.com
6 222011 500599